دار
كتابات
KITABAT

أيمن الحكيم

الفن الحرام

تاريخ الإشتباك بين السلفيين والمبدعين



أيمن الحكيم

الفن الحرام

تاريخ الإشتباك بين السلفيين والمبدعين



الفن الحرام
تاريخ الاشتباك بين
السلفيين والمبدعين
الحكيم، أيمن

أيمن الحكيم

القاهرة: دار كتابات
2012، 194 ص، 24 سم
تدمك: 4 - 09 - 5023 - 977 - 978
1 - الحلال والحرام
أ- العنوان 251.22
رقم الإيداع: 1812 / 2012

الإخراج الفنى والغلاف
أشرف سعيد



الناشر
الشركة الحديثة للدراسات
والمعارض والنشر
(دار كتابات) ش م م
21 ش إسماعيل أباظة
لاظوغلي - القاهرة

ت: 27949313-27944254
فاكس: 27942542
info@darkitabat.com
www.darkitabat.com

الطبعة الأولى - يناير 2012

إهداء

الي المنير المستنير
صاحب العقل الجميل
الانساني
المتوهج
الي بلدياتي
الي د. محمد المخزنجي



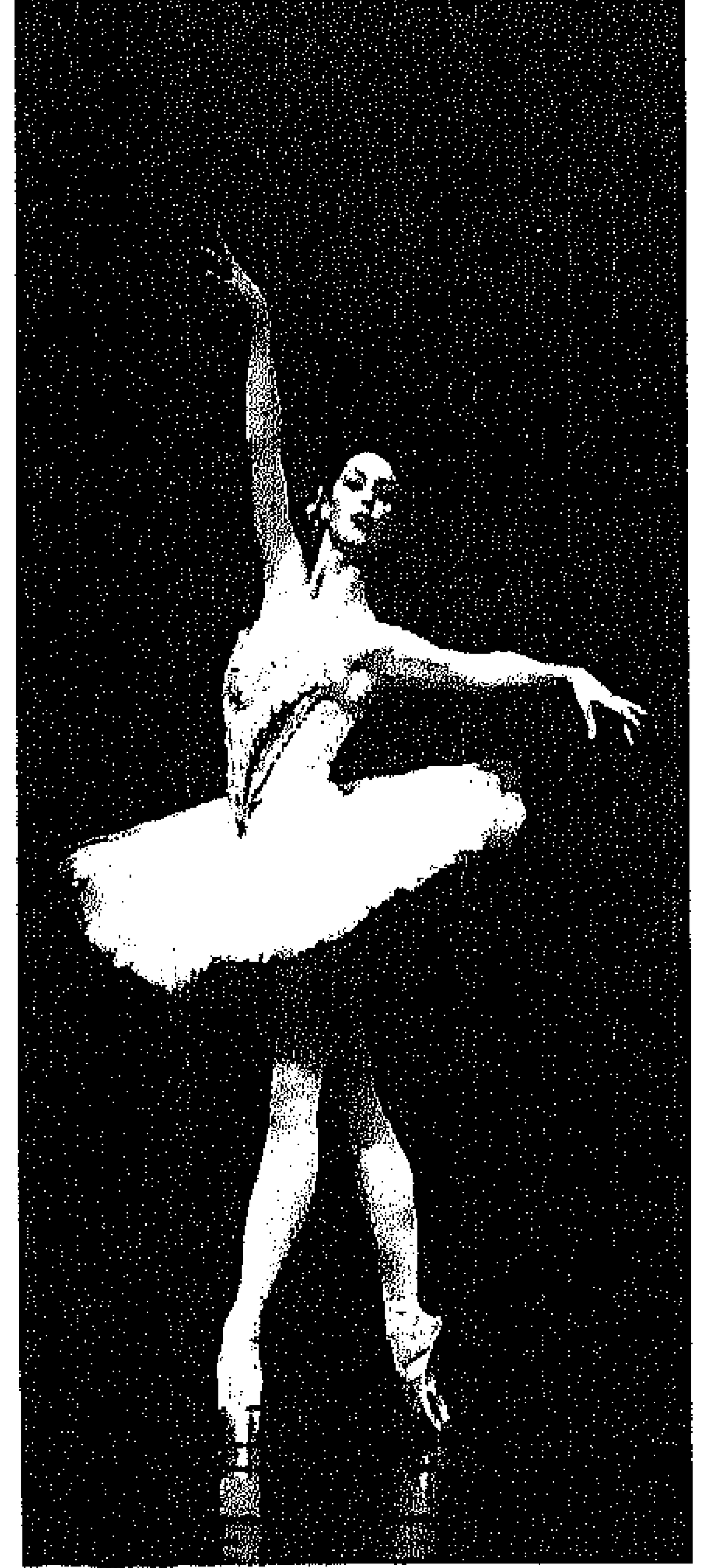
هذه المقدمة كتبها المفكر الكبير د. مصطفى محمود قبل رحيله وأهداها إلى المؤلف اهتماما منه بموضوع الكتاب

بقلم د. مصطفى محمود

الإسلام جميل.. يحب الفن

الفن والدين، كلاهما يتنافسان على القلب.. وما أكثر ما أصابت الغيرة رجال الدين فرموا الفن والفنانين بالكفر، وما أكثر ما تصالح الاثنان ، فانضوى الفن خادما للدين يرسم له المحاريب، ويزين السقوف، وينحت التماثيل، ويرتل الأناشيد.

وفي كنائس الفاتيكان، أبدعت ريشة مايكل أنجلو ورافاييللو في رسم الجدران والسقوف، وتألق الفن القوطي في بناء الأبراج، وفي العصر الإسلامي ازدهرت العمارة والزخرفة.



فلم يرفض القرآن الكريم الشعر، ولا الفن بإطلاقه، وإنما جعل من الفنانين فريقين.. أهل الكذب، وأهل الصدق والإيمان، فأقام بذلك موازين ثابتة للحكم على الفن وتقييمه.

ثم جاء بعد ذلك أهل التطرف والمغالاة فحاربوا فن الرسم والتصوير والنحت وحّرموه على إطلاقه، كما حّرموا الموسيقى والغناء والرقص.

وسمعنا اليوم من يقول إن السينما حرام، على إطلاقها، كما أن المسرح حرام والتليفزيون حرام، وكلها موجات من التطرف والتعصب لا أساس لها في قرآن أو عقيدة وكلنا نعلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام استمع إلى شعر الخنساء واستزاده وأستحسنه.

كما أن القرآن فّرق بين الفن الهابط، والفن العالي وهو، ميزان ينطلق على كل فروع الفن.

وهناك السيمفونية التي تحرك الوجدان، وهناك موسيقى الجاز التي تحرك الغرائز، وفى المسرح هناك مسرح العبرة والحكمة والموعظة، وهناك مسرح الهزليات والنكات الرخيصة، وفى السينما هناك الفيلم التاريخي والعلمي والتسجيلي والدراما العظيمة التي تربى وتعلم، كما ان هناك أفلام الإثارة الهابطة وفى الأغنية هناك القصيدة الجميلة، وهناك الأغنية السوقية العارية.

كما أن تحريم الرسم والتصوير والنحت قياسا على ما جاء من أحاديث نبوية قياس خاطىء، فالنبي صلي الله عليه وسلم حّرم الصور والتماثيل لأنها كانت تعبد وتتخذ في البيوت آلهة، أما الآن فلا أحد يعبد أو يسجد لتمثال أو صورة.

دعونا ننظر إلى آيات صنع الله تعالى في الطبيعة، ألا نراه قد خلق طيورا تغنى وعصافير تغرد، وخيولا ترقص، ألا نراه قد رسم أجنحة الفراش، وزخرف الطواويس، ونحت أجسام الحيتان كأنها الغواصات في انسيابها وجمالها؟ ودعونا نسأل، ماذا تفعل بنا مشاهدة مسرحية لشكسبير أو سيمفونية لبيتهوفن أو



رؤية باليه "بحيرة البجع"؟ هل تنحط بنا هذه الفنون أم ترتفع؟ هل تستحضر في الذهن شهوات غريزية أم تستحضر خيالات ملائكية؟.

إن الفن الراقي يقيم معبدا للجمال في القلب، وهل ربنا إلا الجمال والكمال والحق والخير؟

إن القرآن الكريم على ترفعه وقداسته، قد روى لنا جانبا جنسيا من حكاية يوسف وامرأة العزيز، وكيف أغلقت امرأة العزيز الأبواب، وكيف همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، وكيف رأي أن قميصه قطع من دبر فعلموا من ذلك أنها هي التي راودته عن نفسه. ولكنها كانت لمحة خاطفة للعبرة ولم يعمد القرآن فيها إلى إضافة أو تفصيل أو تجسيد، وهذا مقياس نفهم منه انه يمكن أن تتطرق الرواية إلى الجانب الجنسي، فتلمح وتوجز بالإشارة الخاطفة دون إضافة وتجسيد وإثارة فلا يتنافى هذا مع جلال الهدف وجمال الأثر

ومن ذلك نفهم آيات الله في كتابه، ومن آيات الله في كونه أن الفن والجمال كالعلم والفكر نشاط إنسانى محمود وعظيم، وانه من آثار نفخة الله الربانية في آدم ونسله، وهى النفخة الروحية التي استوجبت سجود الملائكة وتسخير الكون لهذا المخلوق من طين.

قال تعالى: "إنى خالق بشرا من طين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين".

أما الغلاة والمتطرفون الذين يريدون تحريم كل الفنون على إطلاقها فهم من الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله ألا أن يتم نوره وهم الجاحدون بنعمة الله حقا.

ومدد الدين والفن من عين واحدة هي العين التي تنورت بها كل المظاهر وهى العين التي إخضّرت بها الصحارى، وازدهرت الحياة، وأضاءت النجوم وغرد الكروان.. الفنان ورجل الدين، يأخذان من يد واحدة وإنما يسقط الفنان حين يتصور أنه يأتي بما يأتي به من عند نفسه وتلك هي بداية الغواية.

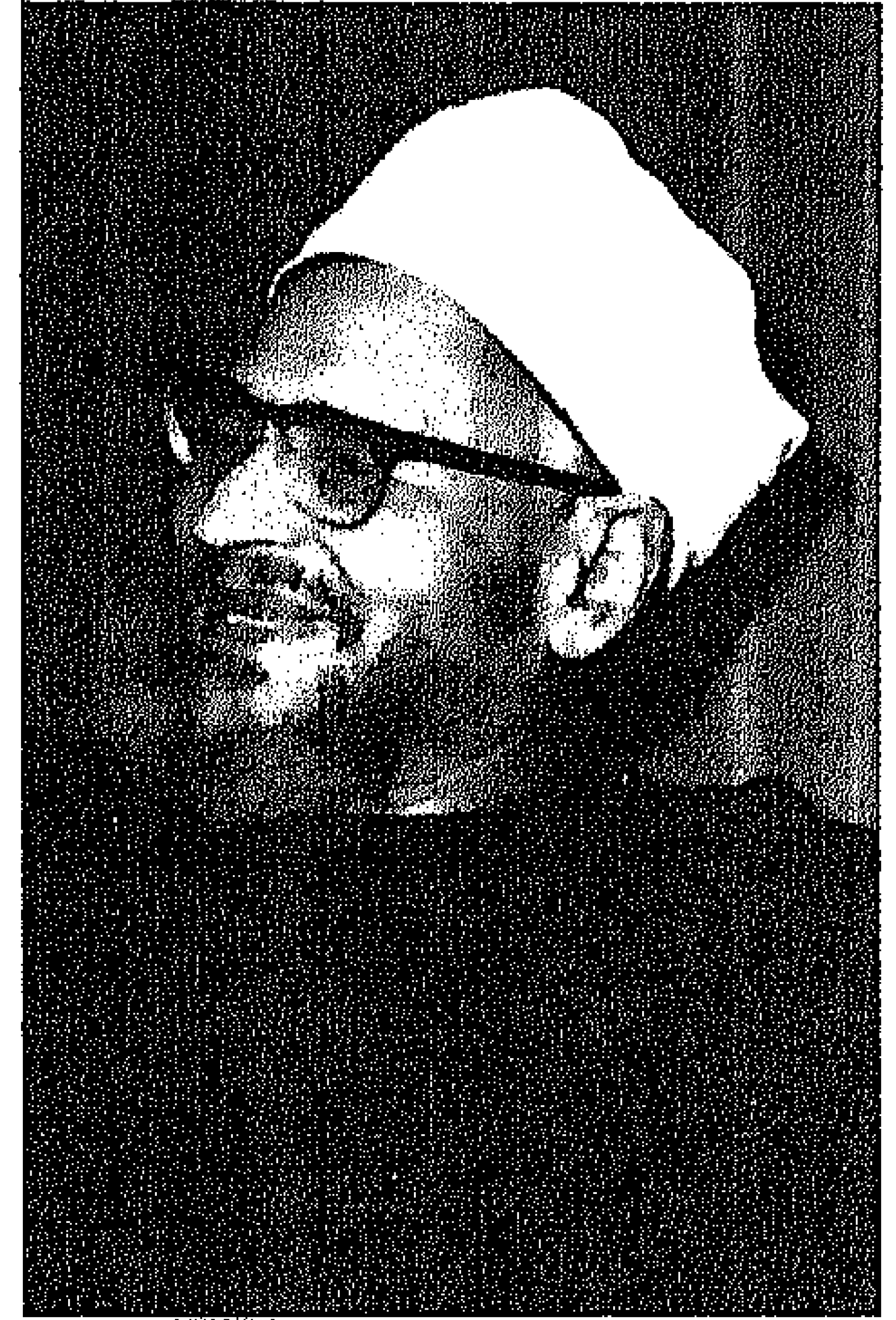
د. مصطفى محمود

مقدمة المؤلف

قد تبدو فصول هذا الكتاب من النظرة الأولى منفصلة، مختلفة "الأبطال" والأزمات والظروف والأهداف... ولكن بقليل من التأمل ستدرك الخيط المتين الذى يجمعها ويوحدها ويربط بينها.

إنها بحث في أسباب العلاقة الملتبسة بين الفن والدين، وهى قضية تشغلنى منذ زمن، وتمثل عندى علامة استفهام كبيرة، احترت طويلاً في إزالتها... إذ ما الداعى لتلك الحرب المعلنة حينا والمستترة في أحايين أخرى بين نجوم الفن وعلماء الدين، والتى تصل في أغلب الحالات إلى صدام هائل يتجاوز الحوار والدعاوى القضائية إلى إهدار الدم؟!

وإذا سألت بعض رجال الدين عن موقفهم من الفن، فإنهم يأخذونك إلى أراء هلامية مطاطة من قبيل "حسنه حسن وقبيحه قبيح"، ويلفون ويدورون في عبارات إنشائية ومواقف تراثية وأدلة شرعية تجعل الفن الحلال ضرباً من ضروب الخيال. ونادرا ما تجد رجلا منهم بالوضوح والصراحة التى كان يملكها الدكتور عبد الحليم محمود في فتاواه التى كانت تميل إلى التحريم والتجريم ولا تتورع عن توجيه السهام إلى الفن وأهله. فالفن عنده صنو للانحلال الأخلاقى والخروج على الآداب والتقاليد.


د. عبد الحليم محمود

وفى كتابه "موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة" يعلن الأمام الأكبر الأسبق غضبه على أهل الفن وسلوكياتهم ومهنتهم... أنقل عنه بنص كلماته: لقد ذهبت مرة إلى تسجيل في الإذاعة وكان ذلك فى شهر رمضان، ولظرف طارئ غيرت الإذاعة مكان تسجيل الحديث... وذهبت إلى مكان التسجيل الجديد، فإذا به مكان تسجيل التمثيليات، وإذا بالممثلات كثيرات.. بعضهن ينتظرن التمثيل وبعضهن يسترحن خارجات من التمثيل.. فكان فى شهر رمضان "العرى الفاضح" والجلسات التى لا تتسم بالأدب، والتدخين، والشراب، والكلمات التى لا تتسم بالتهذيب، والضحكات الخارجة، وغير ذلك من نواح لا أخلاقية. إن هذا اللون من السلوك، وهذا التصور للحياة وهذا الطابع للأخلاق هو الذى نحاربه في الفن وفى الأدب وفى السينما وفى المسرح وفى التصوير وفى النحت وفى كل وضع يظهر فيه"

هكذا ينظر رجل الدين إلى أهل الفن: مجتمع بلا أخلاق، لم

يسمع عن الفضيلة والالتزام. ويعيش حياته بالطول والعرض دون مراعاة للدين ولا وازع من ضمير. ولذلك لابد أن ينظر بعين الريبة لإبداعهم كما ينظر لسلوكهم.

فإذا ما انتقلت إلى المعسكر الآخر وجدت أن الانطباعات لا تقل سوءا. فرجال الدين - عند أهل الفن - بما ينتمون إليه من مؤسسات يمارسون سلطة كهنوتية متعسفة، ويقومون بدور الرقيب المتزمت، بغير تقدير للفن ودوره وتأثيره، مع أن هذا التأثير قد يكون أكثر عمقاً في قلوب الناس وعقولهم من خطبهم الإنشائية ووعظهم البارد!

ولأن هدف المعسكرين واحد وملعبهم مشترك: وجدان الناس، كان من الطبيعي أن يكون الصراع على أشده بين فريق يحمل "قداسة" الدين، تحميه السلطات والقوانين، وفريق لا يملك إلا "سحر" الفن... وهكذا جرت المعركة بلا هوادة، وتعددت وقائع النزال، التي حاولت في فصول هذا الكتاب أن أرصد أشدها سخونة، وهي التي وصلت إلى حدود التكفير والتحريم والتجريم وإهدار الدم... دم الفنانين طبعاً.

وكان الربع قرن الأخير هو أكثر أزمنة المعركة التهابا. ولا يخفى السبب، وهو رياح الأصولية التي هبت على مصر من الجزيرة العربية، حاملة للفكر الوهابي المتشدد متأثرة بموقفه من الفن. فمما لا شك فيه أن آلاف المصريين الذين سافروا للعمل هناك بدوافع الانفتاح الساداتي والثراء النفطي في سنوات السبعينيات عادوا محملين بهذا الفكر... وفي حين تسامح المجتمع المصري مع كتاب عنوانه "لماذا أنا ملحد" صدر في الثلاثينيات ولم يرجم مؤلفه إسماعيل أدهم (نشره أولاً في مجلة الإمام عام 1937) ولم يقم عليه حد الحرابه، وأكتفى بالرد عليه وتفنيد إلحاده بالحجة (مثلما فعل محمد فريد وجدي الذي عارضه بكتاب "لماذا أنا مؤمن")، فإنه لم يكن بذاك التسامح مع مطربة مثل ذكرى في التسعينيات وكانت كل جريمتها أنها استعانت بهجرة النبي كمثال وقدوة لكل مستضعف في بلده، فدخل رجل الدين في نواياها، وأعتبر تشبيهها تعديا على مقام النبي يستوجب القتل...

هي منطقة شائكة إذن لا ريب...

والاقتراب منها خطر داهم لا شك...

ومن هنا تكمن أهمية توثيقها....

هذه هي فصول الصدام الكبرى بين الدين والفن، بكل ما خلفته من غبار وأزمات ومشكلات واتهامات... وما سال فيها من رصاص ودماء... علّها تكون فاتحة لدراسات أخرى، وأبحاث جديدة ترصد هذه المعركة التي لا أظن أنها ستنتهي...

أيمن الحكيم

قبل الطبع :

السلفيون الجدد ..

و الفن الملعون



كنت قد انتهيت من إعداد فصول هذا الكتاب و تجهيزه للطبع قبل شهور من اندلاع ثورة يناير الباهرة المبهرة فى مصر 2011م وهى الثورة التى لن تكون فارقة فى تاريخ مصر السياسى فقط ، بل يبدوا انها ستكون كذلك و بشكل قوى و مباشر و مؤثر فى موضوع كتابنا نفسه ،الذى يرصد تاريخ العلاقة الشائكة بين الفن و الدين ... المبدع و الشيخ .. الفنان و العمامة

وصحيح أن العلاقة كانت متوترة دائما ، و إن اختلف هذا التوتر و تراوح و تباين من الرفض المستتر ، من جانب رجال الدين طبعا تجاه الفن و الابداع ، خصوصا ما بدا منه أنه متجاوز و متصادم مع الاعراف و التقاليد ، وصولا الى التكفير العلنى و التهديد بالقتل إعمالا لقاعدة النهى عن المنكر .. إلا أن الصدام كان على فترات ، تطول أو تقصر حسب ظهور و ميلاد الاعمال الابداعية و الفنية التى تثير ثائرة المشايخ و تدفعهم للثورة و الغضب و الغيرة على الدين و الاخلاق ..

ومع صعود التيار الاسلامى الهائل بعد ثورة يناير ، و تصدره للمشهد السياسى ، و نجاحه المذهل فى الانتخابات البرلمانية وإحساسه انه امتلك زمام الامور و دفة الحكم لم يعد صوته واهنا ولا مواقفه مواربة فى مواجهة ما يراه إسفافا و عريا و انحلالا فى مجال الفن و الابداع .

لم يعد هناك حسابا لسلطة و لا مواءمة مفروضة و لا خشية من معارك غير محسوبة ، اصبح الهجوم صريحا جارحا و لا يبقى و لا يذر ، و لا يستثنى حتى أسماء من المبدعين يعرف السلفيون ان لها منعة و لها مريدون و أنصار و لها من يحميها و يزود عنها و لها فى النفوس مكان و مكانة ..كنجيب محفوظ مثلا ، اديب مصر الاكبر ، و صاحب نوبل الاشهر الذى فوجئ الوسط الادبى بمن يرجمه على رءوس الأشهاد و يهبط به الى أسفل السافلين ، و يكاد يطعنه فى دينه و إيمانه ، و يصف ادبة بانة منحط و منحّل و حول مصر الى خمارة كبيرة ، و يصفه هو بأنه أحد المتسببين فى الانحلال الاخلاقى فى المجتمع المصرى ...!

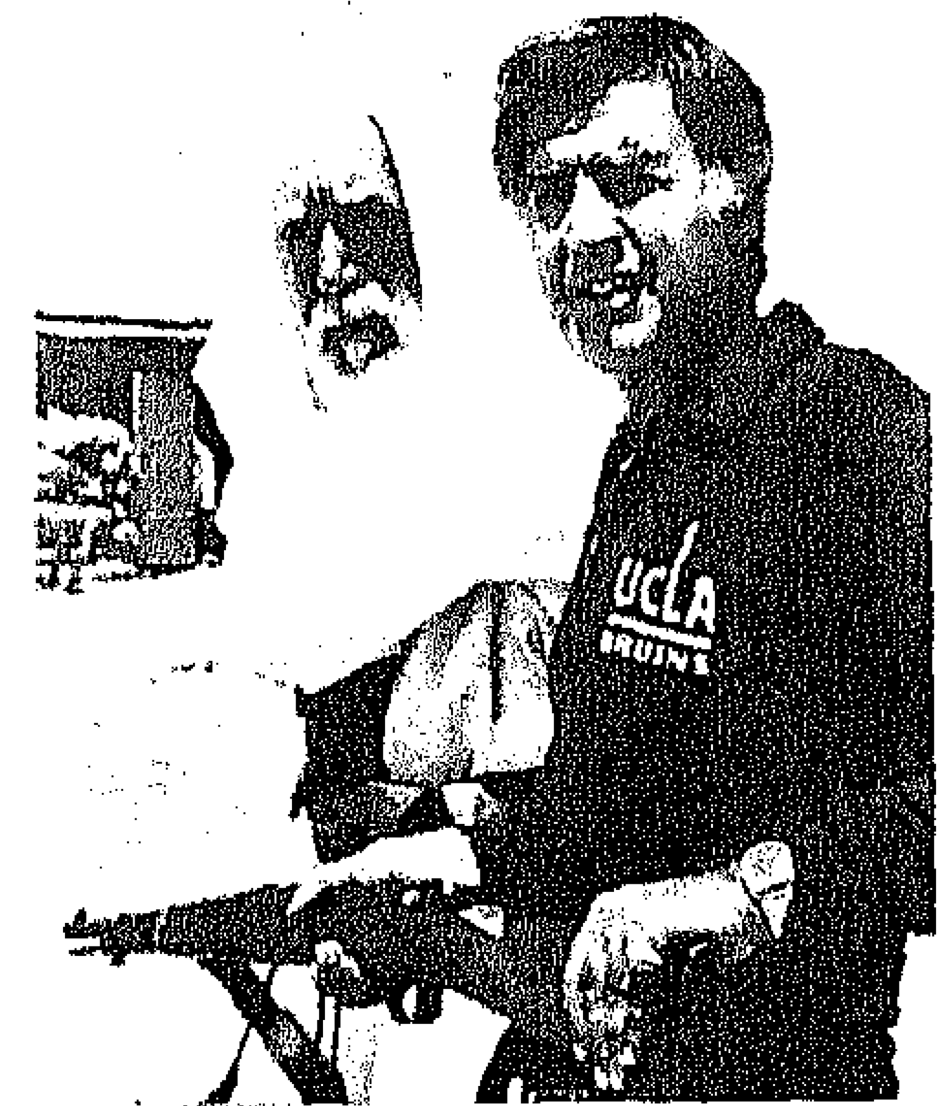
بل من العار على أي مصرى ان يقدم مصر من خلال روايات نجيب محفوظ

فعلها الشيخ السلفى البارز عبد المنعم الشحات المتحدث الرسمى باسم الدعوة السلفية و قالها علنا بلا تحفظ عندما حل ضيفا على أحد برامج قناة الجزيرة (مباشر من مصر) ليشعل الغضب فى صدور المحفوظيين و هم كثر ، و يشعل دهشتهم ايضا . بعد ان ظنوا ان الاسلاميين قد غفروا للرجل . و عقدوا معه هدنة ، بل و قدموا له شبه اعتذار ، بعد أن قام اثنان من رموز التيار الاسلامى (د. احمد كمال أبو المجد و د. سليم العوا) بكتابة مقدمة لرواية اولاد حارتنا عند طبعها رسميا فى مصر لاول مرة ، برأوها مما علق بها من اتهامات و تفسيرات أخرجت صاحبها من الملة و كادت تودى بحياته فى محاولة اغتيال شهيرة اهتز لها العالم .



سحب الاسلاميون إذن شهادة الغفران التى منحوها لنجيب محفوظ ، و عادوا سيرتهم الاولى فى موقفهم الضيق من الرجل وأدبه و أفكاره ، و لم يكن المتحدث باسم السلفيين هو اول من نقض الهدنة بعد ثورة يناير ، فقد سبقه إحد شيوخهم البارزين ، د. ياسر برهامى ، الذى كان اكثر عنفا و قسوة عندما حل هو الاخر ضيفا على برنا مج تليفزيونى (الحقيقة لوائل الابراشى) على قناة دريم سبق ظهور الشحات باسابيع ، و قال برهامى بلا مواربة إن ادب نجيب محفوظ و رواياته ساهمت فى هدم هوية الامة ، واعمالة تنطوى على طعن صريح فى الدين و العقيدة و تدعو الى فلسفة الحادية تعلن موت الاله و مولد الانسان السوبر مان ، وهى الافكار التى يشجعها الغرب الملحد و يصفق لها و كانت سببا رئيسيا فى فوزه بجائزة نوبل !

و لم يكتف القطب السلفى بالطعن فى عقيدة نجيب محفوظ ، بل أطلق لسانه فى أخلاقه ، ووصف روايته بأنها إباحية تدعوا إلى التحلل و الانفلات الاخلاقى ..



انتوني كوين
ومصطفي العقاد

و فى الحلقة نفسها طاشت سهام برهامى وصلت الى كل مجالات الابداع و ليس روايات نجيب محفوظ (الاباحية الملحدة) فقط وحظى الغناء و التمثيل بالنصيب الاكبر من الطعن و غمز و لمز فى أسماء لامعة كعبد الحليم حافظ و فريد الاطرش و سعاد حسنى و سخر من أغانى بعينها (قارئة الفنجال لحليم و خاصة المقطع الذى يقول : و الشعر الغجرى المجنون يسافر فى كل الدنيا ... احضنينى لفريد الاطرش ، و المقطع الشهير للسندريلا "بوسة و نغمض و يالا" ...

بل ذهب الى اتهام مثل هذة الاغانى المنحلة بانها كانت أحد أسباب تردى الاخلاق و انتشار الزواج العرفى بين الشباب المصرى ... و هو ما يستدعى ضرورة وضع ضوابط شرعية للفن و الابداع ، حتى لا يخرج عن صحيح الدين بما فى ذلك التمثيل ، ضاربا المثل بفيلم (عمر المختار) الذى نجح و ذاع صيته و حقق المراد

رغم أنه جاء خاليا من النساء و الموسيقى !

الوضع الجديد (صعود الاسلاميين الهائل فى المشهد السياسى بعد ثورة يناير) اذن ساهم الى حد كبير فى إعلان التيار السلفى بشكل خاص عن موقفه المعادى للفن و الابداع . إعلانا سافرا لا مواربة فيه . و هو الامر الذى جعل الصدام متواليا متلاحقا بلا فواصل زمنية واضحة كما اعتدنا فى السابق .



ثم إن الصدام لم يتوقف عند القول و النصح و الذهاب إلى القضاء بل اتخذ شكلا جديدا يتناسب و يتفق مع الظروف الجديدة . و يصل الى تغيير المنكر باليد لا باللسان وحده ، أو بأضعف الايمان بالقلب .

وحتى قبل الاعلان رسميا عن فوز الاسلاميين فى أول انتخابات برلمانية بعد ثورة يناير فانهم بدأوا ما يمكن وصفه بالتحرش بالفنانين و المبدعين و يمكننا أن نرصد نماذج عديدة لهذا التحرش :



1 - اقتحام الداعية السلفى حازم شومان لحفل غنائى أقامه طلاب إحدى الجامعات الخاصة بالمنصورة و دعوا لإحيائه المطرب هشام عباس ، و لما فشل الشيخ السلفى فى الوصول الى مطرب الحفل لاقناعه بعدم الصعود لخشبة المسرح فقد اكتفى بالقاء مواعظه على منظمى الحفل و شرح لهم حكم الاسلام و موقف الشرع من الغناء و هو حكم و موقف يجعل الغناء حراما أو على الاقل منكر لايرضاة الله و رسولة !

2 - ذهب أبطال المسلسل الجديد " باب النهار" لتصوير مشهد مهم فى أحداثه اختاروا له مبنى مستشفى فى مدينة 6 اكتوبر رآوا انه الانسب للتصوير و حصلوا على كل الموافقات و التصاريح اللازمة ، و ما ان نصبوا كاميراتهم و معداتهم حتى فوجئوا بنائب مدير المستشفى الطبيب الملتحي يامرهم ان يحملوا أشياءهم و يرحلوا فورا وراح يردد على مسامعهم ما يحفظه من كتب التراث و الفقه عن تجريم التمثيل و ان صنعتهم رجس من عمل الشيطان و دخلوا معه فى جدال استمر ما يقرب من خمس ساعات صمم فية على موقفه و على رفضه استخدام المستشفى لتصوير أحداث مسلسلهم و كان عليهم فى النهاية ان يرضخوا .. و يرحلوا و يقبلوا بالواقع الجديد ذي اللحية الطويلة .

3 - فى اطار اتجاه المجتمع الى الأسلمة و امتداد الطابع الاسلامى الى كل مجالاته و نشاطاته كان طبيعيا و متوقعا ان تصل رياح الاسلمة الى الفنون .. لكن الذى ليس عاديا و لا متوقعا هو التعامل مع الفن على انه نشاط ضد الامة ، نشاط خارج لابد من تطهير المجتمع من شروره و آثامه .. و فى هذا السياق سعى أثرياء إسلاميون و بينهم تاجر سلفى شهير يمتلك سلسلة

محلات شهيرة عرفت بطابعها الاسلامى الى شراء كباريهات شارع الهرم لغسيل سمعة الشارع المعروف الذى اشتهر بكباريهاتة وليالية الملاح و تحويل نشاطه و تعديله لتتناسب مع المرحلة الاسلامية القادمة .. وكما تحولت مكتبات شارع الفجالة لمنافذ لبيع السيراميك مع هبوب رياح الانفتاح فستغير كباريهات شارع الهرم نشاطها لبيع الادوات المنزلية مع هبوب رياح السلفية ! وقائع تحرش السلفيين بالفن و الابداع كثيرة و متوالية و تشهد كل يوم جديدا و يمكنك ان تتابع تفاصيله يوميا فى الصحف السيارة ، ولابد انك توقفت مثلا عن الحملة السلفية على الاثار الفرعونية و المطالبة بتغطيتها حتى لا تكون فتنة للناظرين و لا تربك عقيدة المؤمنين .

و هى حملة لن تكون الاخيرة على كل ما هو فن و كل ما هو إبداع. المدهش أن المبدعين أنفسهم أخذتهم الصدمة واستغرقتهم ، فلم يحركوا ساكنا و اكتفوا بتلقى الصفعات والاتهامات و التحرشات و الفتاوى السلفية التى تطعن فى الفن والابداع و تحرمه و تسخفه و تسخر منه و لم يزد رد فعلهم عن تصريحات غاضبة خافتة الصوت و عن تهديدات بالهجرة هروبا من المد السلفى ، فى حين كان صوت الشباب الليبرالى على مواقع التواصل الاجتماعى أكثر رنينا و شجاعة و جرأة ، فلم يتوقفوا عند إعلان الرفض و الصد و الدفاع عن الفن و رسالته بل استخدموا سلاح السخرية اللاذع فى المواجهة و تفننوا فى إطلاق الافيهات الحراقة و فى تحويل اسماء و عناوين الافلام و الاغانى الشهيرة لتتناسب مع الواقع الجديد ، فتحول ، سلام يا صاحبى الى سلام يا سلفى و "همام فى امستردام "تحول الى"همام فى قندهار" اما "شورت و فانلة و كاب" فتحول الى" شورت وفانلة وجلباب" ... و فيلم اكتوبر الشهير "الرصاصة لاتزال فى جيبى" فتعدل الى "السواك لا يزال فى جيبى" ، و "على من نطلق الرصاص اصبح فى طبعته السلفية الجديدة "على من نقيم الحد" ، و لم تسلم أفلام إسماعيل ياسين من التحوير و يكفى عنوان: اسماعيل ياسين فى مكتب الارشاد ..وعلى مستوى الاغانى كان التحوير لا يقل سخونة و سخرية تقطر بلاغة و نباهة وخفة ظل .. فجعلت انغام تغنى "بشويش عليا أنا إخوانية" ، وجعلت شعبان عبد الرحيم يعدل اغنيته الاشهر إلى "هبطل أكون ليبرالى و هاكون إخوانى شديد".. و من أول يناير هجيب إسدال جديد ... هيييييه !!!

و كم كان زميلنا رسام الكاريكاتير عمرو سليم بديعا و مبدعا وبليغا فى كاريكاتيره الساحر الساخر الذى يصور فيه مذيعا سلفيا يطل من شاشة و على ملامحه علامات الغضب و القرف و هو يقدم البرنامج التالى : أما الان فنلتقى و العياذ بالله مع برنامج عالم الموسيقى (جريدة الشروق ديسمبر 2011)

و تبقى هنا ملاحظتين أساسيتين :

الاولى : ان موقف الفكر السلفى فى مصر من الفن و الابداع يكاد يكون صورة طبق الاصل من موقف الفكر الوهابى السعودى، بل لنكن اكثر وضوحا و نقول ان مشايخ السلفيين فى مصر ينقلون عن الوهابية و يتبعونها و يسيرون على خطاها و يتطابقون مع موقفها القائم على رفض الفن و تحريم ازدرائه .

فشيوخ الوهابية فى أدبياتهم و فتاواهم يجمعون على أن الفن بصورته الحديثة حرام شرعا ، و يرون فيه منكرا لا يجوز ولا يمكن السكوت عليه ، و ذهبوا فى تشددهم الى درجات غاية فى القسوة ، فقد حرموا تدريس الرسم فى المدارس و حرموا التمثيل والغناء بكافة أشكاله الحديثة بل و حرموا مشاهدة السيرك وألعاب السحر و الفهلوة كما وصفها مفتى المملكة ، و قال إن من يذهب الى مشاهدتها آثم شرعا ...

و قد حدث فى اجازة عيد الفطر (2011) ان نظمت بلدية الرياض بالاتفاق مع أحد الفنادق عرضا فنيا عبارة عن أفلام كارتون عالمية مدبلجة و مسرحية خاصة للنساء و الاطفال .. لقى إقبالا جماهيريا لافتا استفز مشايخ الوهابية و مفتويها فاصدروا فتوى جماعية بتحريم العرض و تأثيم حضوره على اعتبار انه إعانة على المنكر و ان الذهاب الى مثل هذه الاماكن هو أولي خطوات الشيطان !!!

و هكذا ارتبط الفن فى الادراك السلفى العام بالابتذال والاباحية و الانحلال الاخلاقى .. لا فرق بين سلفى وهابى وسلفى سكندرى .

و الثانية : أن الفن دائما فى المفهوم السلفى يرتبط بوجود المرأة التى هى رمز الغواية و الفساد و الافساد ..فالمرآة هى الحياة فى حين ان هدفهم الاسمى هو الاخرة ...

و للكاتب المصرى فرانسوا باسيلى تحليل ممتع لاسباب كراهية السلفيين المزمن للفنون يقول فية :

"مادامت المرأة هى الحياة ، و مادامت هى ملهمة الابداع و المحفز عليه ، و ما دام الفن هو لغة الرجل العاشق للحياة و المرأة يكون من المفهوم إذن معاداة السلفيين المتزمتين المتشددين دينيا للمرأة والفن معا ، فالفن ـ الانثى ـ هو الوحش ذو الرأسين الاكثر ترهيبا وتخويفا للسلفيين المتزمتين ، فالسلفى يرهب الفن و يخافه بنفس درجة رهبة الحياة و رعبة من المرأة "

سمعة وابنة





أما الذين استيقظوا على تحرشات السلفيين الجدد بالفن وموقفهم اللاعن لاهلة و دهشتهم و فزعهم من آرائهم فية و التى تصل الى التكفير الكامل و التحريم القاطع فنقول لهم ان ما يحدث الآن ما هو إلا جولة فى معركة طويلة مريرة بين الفنان والفقيه بين المبدع و الشيخ بين عاشق الحياة و مبتغى الاخرة ، معركة سنقف على تفاصيلها فى هذا الكتاب و فى فصوله التى ترصد و تكشف و تحلل و تنير و تسأل و تجيب و تروى قصة الحرب غير المقدسة على الفن الملعون!

تاريخ تكفير المبدعين

النبي "يوسف وهبي"



لم يكن عميد المسرح المصري يوسف وهبي مبالغا عندما أطلق علي مذكراته هذا الاسم "عشت ألف عام".. نعم عاش يوسف وهبي ألف عام إذا أخذنا في الاعتبار ما فاضت به حياته من أحداث وتفاصيل وصراعات ونجاحات وإحباطات وأزمات، لخصها هو في تلك العبارة الدالة الموحية، التي تمتلئ بصراحة نادرة، وجرأة غير معهودة في السير الفنية العربية.

في مقدمة مذاكرته كتب يوسف وهبي يقول: عشرات السنين عشتها بين مد وجزر.. في قصور فاخرة، وفي غرفة علي السطح يشاركني فيها الدجاج.. رأس مال ضخم ورثته عن أبي وأضعته.. ثم استرددته.. ثم فقدته.. دوامة لا تهدأ.. فقر وغني.. شظف وترف.. ظلام وبهرة أضواء.. قامرت وربحت وخسرت.. انتصرت وانهزمت، ولكني لم أسلم سلاحي ولم أخضع للأقدار (....) أعاصير وزوابع، وحرب عوان شهرتها علي الرجعية والحقد.. مغامرات مع الجنس اللطيف تفوق الخيال.. راغبات في خلق علاقة مع ذي الشهرة.. وفضوليات متعطشات للتذوق والتجربة..

ويضيف صاحب التجربة الخبير بالحياة والناس: " اتهموني بأني قناص أصطاد الطير الضعيف.. نهم في المتعة.. حشاش.. سكير.. عربيد.. وأنا لا أدعي أنني كنت قديسا أو راهبا في محراب.. أو متصوفا.. أو معصوما من الخطأ والشهوات.. لكنني كغيري أيام الشباب والفتوة - كنت استجيب أحيانا للأغراء والجمال في شيء من النهم.. بيد أنني لم أشرب الخمر ولم أتعاط المخدرات،ولم ارتكب موبقات سوى حبي السابق للقمار الذي سلبني عشرات الألوف "

عمر في العاصفة عاشه يوسف بك وهبي، وحياة أشبه "بالمقامرة"، اللعبة التي اعترف هو بإدمانها، وخسر بسببها

الألوف، وربح من ورائها الكثير أيضا.. كان حب المغامرة يدفعه دفعا، ويسوقه أحيانا إلى الدخول في مغامرات خطرة، وصلت إلى حد الدخول في صداقة مع عصابات "المافيا" عندما سافر إلى إيطاليا لدراسة التمثيل وهو في ريعان شبابه.

مغامراته الفنية لم تكن تقل خطورة، ربما كان أول ممثل على شاشة السينما العربية يقبل أن يمثل دور "الشيطان".. حدث ذلك في فيلم "سفير جهنم" الذي أخرجه وكتب له السيناريو والحوار بنفسه، وشاركته بطولته ليلى فوزي وفردوس محمد وفؤاد شفيق وعبد الغني السيد، وكان عرضه الأول في 19 فبراير عام 1945، وجسد يوسف وهبي شخصية الشيطان بأسلوبه المسرحي الميلودرامي الفاقع، لكنها رغم كل التحفظات كانت تجربة تدل على نزقه الفني غير المحدود.

هذا النزق الذي وصل إلى ذروته عندما وافق على تجسيد دور النبي عليه الصلاة والسلام في فيلم سينمائي تنتجه شركة فرنسية ويخرجه المخرج التركي وداد عرفي.



عاصفة من الغضب

كان ذلك عام 1926، ويومها كان يوسف وهبي نجما متألقا في سماء المسرح المصري، وله شهرته وسطوته، بسبب أدواره التراجيدية وأسلوبه التمثيلي اللافت للنظر.

في الجزء الثالث من مذكراته مر يوسف وهبي على تلك الواقعة مرور العابر، ولم يذكر تفاصيلها على كثرتها، ربما رغبة منه في تجاهلها، لما تركته في نفسه من آلام، وما خلفته في وجدانه من أسى، إذ ثارت الدنيا يومها في وجهه، وقوبل بعاصفة من الغضب والاتهامات والصفعات اضطرته - على كبريائه - أن يتراجع ويعتذر علنا على صفحات الصحف، ويتبرأ من تلك المغامرة التي كادت تكلفه مستقبله وربما حياته.


الريحاني

في هذا الجزء من مذكراته اكتفي يوسف بك وهبي أن أشار إلى العرض الذي تلقاه من الأستاذ الأديب التركي - كما سماه - وداد عرفي، وكان بصحبته يوم زاره في مسرح رمسيس المنتج السينمائي الألماني د. كروس، وقدمه إليه وداد عرفي على أنه شخصية لها وزنها، وأنه رسول "عاهل تركيا" الرئيس أتاتورك ومستشاره الخاص، وأنه بصدد إنتاج فيلم - حاز مباركة أتاتورك - عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كدعاية مشرفة للدين الإسلامي في الغرب، يظهر سموه وعظمته، وحصل على موافقة لجنة من كبار علماء تركيا على السيناريو الذي يحمل اسم "محمد رسول الله"، وستصور مشاهده في السعودية، وستساهم الحكومة التركية في إنتاجه، وإنهم اختاروا يوسف وهبي لتجسيد دور النبي، حيث انه أبرع من يمثله بين ممثلي الشرق، وكذلك اختاروا نجيب الريحاني لدور الصحابي الجليل معاذ بن جبل.

أفتح هنا قوسين لأضيف جملة اعتراضية في شكل تفسير خاص للمخرج والباحث السينمائي القدير د. محمد كامل القليوبي، يدافع فيه عن الاتهامات التي طالت وداد عرفي بسبب هذا الفيلم، إذ تسربت شائعات عن أصوله اليهودية، وأنه كان في نيته أن يكون الفيلم إساءة للنبي لا تكريما له. القليوبي يري أن وداد عرفي تعرض لحملة ظالمة لا يستحقها، خاصة بعد خلافاته مع عزيزة أمير علي إنتاج فيلم "ليلي" أول فيلم في قائمة السينما المصرية، إذ قادت منتجة الفيلم وبطلته حملة شعواء ضد وداد عرفي، مازالت آثارها موجودة إلي الآن، ومن حق وداد -كما يقول القليوبي- أن نرفع الظلم عنه، لأنه قدم مسرحيات في مصر تخدم الإسلام، بالإضافة إلي أن "يهود يته" مجرد تشنيعة في إطار الحملة ضده، تمحوها معلومة مؤكدة تقول إنه خال الأديب التركي المسلم الشهير ناظم حكمت.


اتاتورك

ثم انه عندما عاد إلي تركيا قدم أفلاما مهمة، تعد من أبرز الأفلام في تاريخ السينما التركية، وتثبت انه لم يكن مجرد مخرج مغامر، كما تقول المرويات الظالمة عنه. لنغلق القوس.


عرفي

كان فيلم النبي أو مشروع الفيلم من بنات أفكار مؤسس تركيا الحديثة كمال أتاتورك، الذي جذبه تقديم السينما العالمية لشخصية المسيح ورسالته، فأراد تقليد الفكرة إسلاميا، وجاء تكليف وداد عرفي بالتنفيذ..

لم يبذل وداد عرفي ود. كروس جهدا يذكر في إقناع يوسف وهبي بالقبول، إذ أن العرض صادف هوى في نفسه، وأثار نزقه إلى مغامرة فنية كبيرة ستجعل اسمه يعبر الحدود العربية إلى العالم كله، حيث أن الشريط سيعرض في مختلف الأصقاع والقارات.

وما هي إلا أيام حتى كان يوسف وهبي يدخل السفارة الألمانية بالقاهرة ليوقع عقد بطولة الفيلم مقابل عشرة آلاف جنية، وهو مبلغ خرافي بمقاييس تلك الأيام، واعتكف بعدها يوسف بك عدة أيام يجرب في الشكل الذي سيجسد به دور النبي(ص) ، وبعد تجارب عديدة توصل إلي هيئة أعجبته، التقط بها صوراً فوتوغرافية، وتسرب الخبر والصور إلى الصحف.

وانفتحت أبواب الجحيم . كانت الطلقة الأولي من نصيب مجلة "المسرح"، وكانت من أوسع المجلات آنذاك تأثيرا و توزيعا ، ففي 17 مايو 1926 نشرت المجلة مقالا مطولا، لم تكتف فيه بإعلان رأيها الرافض للفيلم ،بل حرضت رجال الدين عليه، و طالبتهم بالتصدي لتلك الجريمة.

وكان من الأسباب القوية التي اعتمدت عليها المجلة في ذلك الموقف تلك الهيئة التي اختارها يوسف وهبي لتجسيده للدور، وهي هيئة قالت المجلة أنها لا تختلف عن هيئة "راسبوتين" الراهب الروسي المقامر المتآمر، والذي سبق ليوسف بك أن جسد دوره علي خشبة المسرح.

وقالت المجلة مستنكرة: "أذن ففي عرف يوسف وهبي يكون نبينا محمد رسول الله (ص ع) وحامل علم الدين الإسلامي وناشر كلمته يشبه تماما "راسبوتين" الجاسوس الدنيئ والدجال وزئر النساء" وبلهجة تحريضية صريحة أكمل كاتب المقال: وأنا لم أكن رجلا دينيا، ولا درست بتعمق قواعد الدين الإسلامي وأوصاف الرسول : إلا إنني وكل إنسان معي يستطيع الحكم بأن النبي محمد يختلف كثيرا عن راسبوتين، وأن يوسف وهبي ذو المزاج الجنوني والحركات التشنجية والعيون الشهوانية، والذي يلوح التبذل والاستهتار في مظهره العام لا يصلح مطلقا لتمثيل هذا الدور، الذي يحتاج إلى وقار الرسل وجلال الأنبياء وهيبة الصلاح ورزانة التقوى)

" ثم هناك الناحية الدينية.. ما رأى علماء الدين الأجلاء في هذا العمل؟! إلى فضيلة مولانا الشيخ المفتى الأجل نرفع هذا السؤال:

هل يسمح الدين لشخص ما أن يتعدى إلى مقام النبوة الإسلامية فيعبث بها، ويقدمها للعالم أجمع في صورة شوهاء؟! وما مبلغ علم يوسف وهبي بالدين وأخلاق النبي عليه السلام وصفاته وعوائده حتى يقدم على إبراز شخصيته؟! ألا يعدهذا تهزيئا مؤلما، ثم هو إهانة جارحة لكل المسلمين"

ووصلت المجلة في هجومها على يوسف وهبي إلى تكفيره علانية: أنا أنبه علماء الدين الأجلاء إلى موضع الخطر من هذا العمل، وعليهم أن يقوموا بواجبهم، ويوقفوا هذا العمل الخطر، وفى اعتقادي أن من يقدم على تهزيئ مقام النبوة يعد خارجا على الدين الإسلامي مارقا من السنة النبوية مروقا تاما".


أحمد حسنين

كان المقال أشبه بلغم شديد الانفجار، تطايرت منه الشظايا، وارتفعت سحب الدخان، إيذانا ببدء أزمة وقف فيها يوسف وهبي وحيدا، وجبن الذين دعموا المشروع في البداية من كبار المسئولين أن يرفعوا عقيرتهم بالدفاع عن يوسف وهبي، وبينهم شخصيات في وزن أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكي، وسعيد باشا ذو الفقار كبير الأمناء، وزيور باشا، وإسماعيل بك شيرين، وغيرهم من رجال السلطة الذين كان وداد عرفي قد التقاهم، وأبدوا ترحيبا بالمشروع وبتقديم كافة التسهيلات لإنجازه.

فما إن هبت عاصفة الغضب، وارتفعت الأصوات ثائرة رافضة متهمة، طالبة حماية نبي الإسلام من هذا العبث الذي يراد به، حتى توارى مؤيدو المشروع فما كان في إمكانهم أن يتصدوا لغضب شعبي عارم، جسده هذا المقال التي نشرته جريدة الأهرام في 21 مايو 1926 بتوقيع القارئ عبد الباقي نعيم سرور، باهتمام بالغ: " لا ريب أن صدور مثل هذا العمل في بلد إسلامي، وبين يد حكومة تقرر في دستورها إن الإسلام هو دين الدولة الرسمي مما لا يتفق وعقائد المسلمين، فعلى الحكومة أن تبادر فتمنع يوسف وهبي من السفر لتمثيل تلك الرواية في بلاد - يقصد أوربا - يرى أهلوها في



الإسلام وفي النبي أراء ومعتقدات تخالف العقيدة الإسلامية، فتمثيل رواية النبي في باريس بلاد اللهو والخلاعة والاستهزاء بالأديان، مما يثير مطاعن جديدة في نفوس أعداء الملة ويستدعي التشهير بالنبي، وخاصة إذا صور بصورة راسبوتين، ذلك الجاسوس الشهواني، وصاحب الحيل النسائية والفتن الشيطانية، فإن مثل هذا التصوير يعد تشهيرا بالنبي، وتحقيرا لشأنه واستهزاء بدينه وإساءة لمعتنقي دعوته وحطا من كرامة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتسويئا لسمعة الديانة الإسلامية"

وطلب صاحب المقال من الحكومة المصرية أن تتدخل فورا لتحاسب يوسف وهبي على تلك الجريمة، ولا أقل من أن تمنعه من السفر لتمثيلها، لأنها لو تساهلت مع يوسف وهبي في تمثيل تلك الرواية فسيتلوها لا محالة تمثيل روايات أبشع وأفظع"

وأمام تلك العاصفة، وتلك الاتهامات القاسية، والتحريض العلني ضده كان علي يوسف وهبي أن يرد، وبطريقته المسرحية الزاعقة، فقد كتب مقالا في الأهرام – 24مايو- يحكي فيه قصة الفيلم، ويوضح وجهة نظره من قبوله، وإنه كان حسن النية في موقفه، وما أقدم علي ذلك ألا لخدمة دين الله والإعلاء من شأن نبي الإسلام، وإنه - إثباتا لحسن النية هذه – يضع الأمر كله بين يدي علماء الإسلام طالبا النصح والمشورة.

خطاب مفتوح

ولأهمية هذا المقال في توثيق تلك الأزمة، وفي إلقاء الضوء علي ذلك الصدام الأول العنيف بين الدين والفن في تاريخ السينما المصرية، التي كانت في بواكير ها الأولي، فإننا نورد المقال بنصه، خاصة وأنه يتضمن تفاصيل عديدة، ووجهة نظر طرف رئيسي في الأزمة.

كتب يوسف وهبي مقالة تحت عنوان " خطاب مفتوح إلي حضرات السادة العلماء وجميع الشعب الإسلامي".

ولكن قبل أن نورد نص المقال، نشير إلي أن يوسف بك كان قد أرسل ردا مقتضبا علي من أسماه القارىء الغيور، والذي كان قد هاجمه علي صفحات الأهرام، كّذب فيه ما أدعته مجلة "المسرح" عن نيته تجسيد شخصية النبي بهيئة راسبوتين، وطعن في مصداقية المجلة وأغراضها، وأكد فيه أن قبوله لهذا الفيلم لا غرض له ألا رفعة شأن نبى الإسلام وتصويره أمام العالم الغربي بشكله اللائق وحقيقته النبيلة.

أما الرسالة المفتوحة التي وجهها يوسف وهبي للامة الإسلامية ليبرئ فيها ساحته فيقول فيها:

" أتقدم إليكم بصفتي رجلا مسلما، محبا لدينه ولنبيه، ووطنيا صميما، طالبا منكم أن تدلوني على السبيل القويم الذي يجدر بي

أن أسلكه أمام مشروع جديد قد يحدث ضجة عظيمة في العالم الاسلامى. وقبل أن أتكلم في هذا المشروع سأقص عليكم باختصار قصته: بعث إليّ منذ شهر الأستاذ وداد بك عرفي الكاتب التركي المعروف ومندوب شركة ماركوس السينما توغرافيه يطلب منى مقابلته. فبادرت إليه لعلمي بمكانته وفضله.. حدثني وداد بك عن شركة سينما توغرافية تريد أن تأخذ بعض المناظر في مصر وتقوم بإخراج روايات شرقية ومصرية وعربية يدور محورها حول عظمة الشرق ومدنيته ومغزاها شرف العربي ونبالة الشرقي وحسن صفاته، وحضارة قدماء المصريين وتاريخهم، وكذا تاريخ جزيرة العرب، ونشأتها وغزواتها.

فما كان منى إلا أن حبذت له الفكرة، إذ أننا نتمنى أن تكون في مصر شركة سينما توغرافية مصرية.

وأكدت له عظيم الارتياح التي ينتجها مثل هذا العمل الجليل، وكبر الفائدة التي تعم على بلادنا، لان هذه الشرائط باستعراضها في بلاد العرب يدرك منها الأجنبي أننا أمة عظيمة راقية

طلب منى الأستاذ عرفي بك أن أهديه بعض صوري الفوتوغرافية لمختلف المواقف التمثيلية فأجبته إلى طلبه، وسافر إلى باريز (باريس).

بعد ذلك بخمسة عشر يوما وصل إلى القاهرة جناب الدكتور ماركوس رئيس هذه الشركة وطلب مقابلتي في الحال فأسرعت إليه. قال إن الشركة وقع اختيارها عليّ أنا لتمثيل دور البطولة وقال: سنبدأ بعمل عن تاريخ سيدنا محمد، فترددت قليلا وسألته عما يعنى فأجاب: نريد أن نظهر للعالم أجمع وللعالم الغربي خاصة حقيقة الدين الاسلامى الحنيف ومبادئه القويمة وشرعه الشريف. نريد أن يفهم الامريكى إن المسلم ليس كما يعتقدون عابدا للأوثان والتماثيل، يتخبط في ظلام الجهل والخرافات. نريد أن نجعل المسيحي يدرك أن محمد (ص) هو النبي الممتاز والرجل المختار من السماء لبث الدعوة السماوية وإتباع الله (ص) سبحانه وتعالى. نريد أن يعلم الأجنبي أن محمدا رسول الله قد أنار العالم وأنقذه من الوحشية، وحطم الأصنام، وأرشد القوم إلى الصراط المستقيم وزجر الكافر وأصلح العاصي وحرّم الشرور والفسق وضرب على يد السارق والقاتل والظالم.



نريد أن يؤمن الجميع بعظمة محمد (ص) ومجد الدين الإسلامي وفضله على المدنية.

ومازال يوسف وهبي يحكى: أثار كلامه كوامن نفسي وأصاب الوتر الحساس من قلبي، ولكنني لم أندفع وأجبته قائلاً: لا أستطيع.

أجاب: لماذا؟ فقلت: إن ديننا يحرم علينا أن نصور هذا الرجل العظيم مهما كان قصدنا حسنا، فقال: ولكنك إذا رفضت القيام

بهذا الدور فسيلعبه أجنبي غيرك، أجنبي لا يعلم عن الدين الإسلامي حرفا ولا يهمه نصرته، فإذا فرضنا وطلب منه تمثيل بعض المواقف المخالفة لحقيقة سيدنا محمد (ص) لما رفض، أما أنت فتكون علاوة على كونك ممثل هذا الدور بمثابة رقيب على هذا الشريط، فلا نجسر أن نطلب منك أن تمثل شيئا يحط قدر دينك ونبيك.

لقد كانت المناقشة جادة بيني وبين الدكتور ماركوس وأخيرا رجوته أن يتريث قليلا كي يكون لدى الوقت الكافي لأستشير أصحاب الفضيلة العلماء وأولى الأمر في بلادنا.

هذه قصة المشروع سادتي، والآن ما هو رأيكم؟ هل أقوم بهذا الدور أم أرفضه؟

مع إحاطتكم علما أنني إذا رفضت فسيقوم بهذا الدور أجنبي وشركة أجنبية لا يهمها من أمر ديننا شيئا، وإذا تذرعتم بالقول أن أمثال هذه الشرائط ممكن منعها في البلاد الأجنبية، وهذه تكون الطامة أن ندع القوم يعبثون بنا ويمسخون حقيقتنا ، أم نكون نحن أول من يمثل عظمة ديننا الحنيف ونبرهن للعالم الأوربي أننا أرقى دين وأن محمدا زعيم المرسلين؟ "

" أما كوني رسمت صورة لهذا الدور تشبه الراهب راسبوتين فهذا كذب مشين من قوم يكرهونني ويحقدون عليّ بدون سبب ولا داع، غير كوني شابا قد نجحت في عملي، وأكبر دليل على سقوطهم أنهم ادعوا رؤية هذه الصور و شبهوها براسبوتين، وها أنا على أتم استعداد على أن أري الصورة لمن يريد أن يراها ، كما أنني أرفض لعب الدور عن طيب خاطر حتى لو كنت سأجنى من ورائه الأرباح الطائلة إذا رأى السادة العلماء هذا الرأي، وليعلم إخواني المصريين إن شعاري ديني قبل كل شيء"



هذه المرافعة العصماء البارعة لم تؤت ثمارها، رغم الدفوع الذكية التى قدمها يوسف بك، والأسباب الموضوعية ألتى ساقها لتبرير قبوله للعمل، فلم تهدأ الحملة ضده، ففي اليوم التالي لنشر مقاله كتب أحد شيوخ الأزهر - أحمد هريدى الساري - مقالاً رداً على يوسف وهبي (الأهرام 26مايو 1926)، طالب فيه أن يقوم كبار رجال الدين بمصر بدعوة العلماء الإجلاء الذين كانت تستضيفهم مصر يومها ويشاركون في فعاليات مؤتمر الخلافة الإسلامية، وبينهم شيوخ من كافة الأقطار الإسلامية لهم شأنهم ورأيهم السديد،وذلك لعقد ما أسماه صاحب المقال "جمعية إسلامية " لبحث هذا الموضوع الخطير الذي يمس المسلمين جميعهم.

ولم يخف الشيخ الساري معارضته للمشروع، الذي يمكن أن يؤدى إلى "إحداث فتنة في العالم الإسلامي تكون من نتائجها إهاجة الخواطر واضطراب النفوس".

شيخ أزهري أخر هو إبراهيم جاب الله اتهم يوسف وهبي بالخداع والتضليل، ورد عليه في قسوة، وشكك في نوايا الشركة

المنتجة للفيلم، وأعلن بوضوح أنها لا تريد خيرا للإسلام وأهله ونبيه كما تزعم، بل إن هدفها هو تحقيق المكاسب المادية، وما تمسحها في الدين إلا خداع ظاهر وحيلة مكشوفة، ولن يعود المشروع إلا بالضرر الفادح على الإسلام والمسلمين.

وطالب الشيخ الأزهري بطل الفيلم بالتنحي فورا، حتى لا يرتكب جريمة تسيء للدين، ولن يغفرها الله له أبدا.


بديع

وإذا كان مفهوما أن يتصدى رجال الدين للمشروع، ويوجهون له السهام، ويصرخون في وجه بطله، فإن المدهش أن ينضم إلى كتيبة المهاجمين فنان وكاتب مستنير مثل بديع خيري، الذي كتب هو الآخر مقالا في الأهرام – 29مايو – يعلن فيه معارضته للمشروع، موجها حديثه إلى يوسف وهبي قائلا: أنا بالطبع كواحد من كتاب المسرح لا أكره أن يكون لنا نحن المصريين أبطال فنيون يشار إليهم في عالم السينما لينشروا على الأمم الحديثة أخلاقنا الشرقية الصحيحة غير مشوبة بالأكاذيب الدنيئة والأغراض المفتراه، ولكنني من وجهة أخرى أصارح الأستاذ في شيء من الحيطة والحذر وأنبهه إلى خطورة موضوع كهذا له جلاله الغريزي وله قداسته المكينة في نفوس المسلمين عامة، وإنه لبعيد الاحتمال أن يطمئن واحد من هؤلاء جميعا إلى نزاهة المقصد من شركة مسيحية فرنساوية تعمل قبل كل شيء لمجرد المصلحة المادية، كغيرها من الشركات.

ويضيف بديع خيري: "يقول الأستاذ يوسف بك أن المسيحيين أنفسهم لم يعترضوا على صورة السيد المسيح في أوربا، وفاته أن الفارق عظيم جدا بيننا وبينهم من هذه الناحية، فهناك لا تتنافى طقوس الدين مع اتخاذ التماثيل والصور للعذراء والمسيح وللتلاميذ والأحبار، في حين أن الإسلام من بدء نشأته للآن لم يجز في مرة من المرات محاولة كهذه لا عن النبي ولا عن صحابته، ولا أي كان من أتباعه الصالحين، ثم على فرض إن العناية ستكون دقيقة جدا في إخراج الشريط مطابقا للحياة النبوية غير العادية، وهذا ما أجزم باستحالته فلا نزاع قط في أن شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) أرفع بكثير مما يستطيع أن يتصوره مجرد شخص في غير مقام النبوة".

ويبدو أن العاصفة كانت عاتية، فلم تصمد أمامها دفوع يوسف وهبي ولا تبريراته، و هو ما أحسه وداد عرفي نفسه، فدخل في الحوار لينزع فتيل الأزمة، ونشر كلمة مقتضبة قال فيها ما معناه أن المشروع قد تم تجميده "وكونوا على ثقة تامة بأن أعمال شركة ماركوس التي تتناول مشروعات تمثيلية كثيرة في بلاد مصر الجميلة لن يكون فيها أي عمل يمس دين الأمة".

موقف الأزهر

وجاء موقف الأزهر ليحسم هذا الجدل الدائر، فلم يكتف بأن



يطلب من الحكومة المصرية أن تخاطب الجهات المسئولة والحكومة الألمانية من خلال وزيرها المفوض لكي تمنع شركة ماركوس من إنتاج الفيلم، بل طلب صراحة من وزارة الداخلية أن تتدخل لمنع يوسف وهبي من المشاركة فيه.

وفي 27مايو نشرت الصحف بيانا صادرا عن مشيخة الأزهر كان الفصل الختامي في تلك الأزمة الساخنة.

نص بيان الأزهر يقول: جاء بجريدة المسرح أن حضرة يوسف وهبي بك صاحب مسرح رمسيس اتفق مع شركة أجنبية على تمثيل رواية في باريس مشخصا فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) بصورة الراهب راسبوتين الروسي، فاهتمت المشيخة بالأمر وخاطبت وزارة الداخلية بالحيلولة بين حضرة يوسف بك وبين ما يريد لو اقتضى الأمر منعه من السفر حفظا لكرامة النبي ومقامه الجليل الشأن، وقد لقينا من أولى الشأن الذين تحادثنا معهم في هذا الموضوع الاهتمام العظيم المناسب لأهمية الموضوع المتحدث بشأنه، كما طالبنا أن نخاطب حكومة باريس بواسطة ممثل مصر هنالك في منع تمثيل هذه الرواية.

وبتاريخ 24مايو 1926 جاءنا من وزارة الداخلية برقم 1010 ما نصه:

"جوابا على كتاب فضيلتكم المؤرخ 18مايو الحاضر بخصوص تمثيل رواية سيدنا محمد (ص) نفيد أننا قد استحضرنا يوسف وهبي بك وطلبنا منه العدول عن تمثيل هذه الرواية فقبل وسيعلن عن عدوله هذا في الجرائد، وستتخذ الحكومة الإجراءات اللازمة لمنع إخراج الرواية نفسها.

"وفي الوقت ذاته جاءنا من حضرة يوسف بك وهبي صورة من الخطاب المفتوح الذي نشره بأهرام يوم 24مايو الجاري يدافع فيه عن نفسه تهمة تمثيل النبي بصورة الراهب راسبوتين ... فالمشيخة تعلن هذا مع شكرها لوزارة الداخلية وأولى الحل والعقد لقاء هذه العناية بمقام صاحب الشريعة الرفيع وتصرح بأنها لا توافق على تمثيل هذه الرواية بأي شكل كان"

واستجاب يوسف بك لطلب وزارة الداخلية بأن يعلن اعتذاره عن هذا الفيلم علانية، ونشر بيانا موقعا باسمه في 30مايو يقول فيه:

" بناء على قرار حضرات أصحاب الفضيلة العلماء، واحتراما لرأيهم السديد أعلن أنني عدلت عن تمثيل الدور وسأخطر الشركة بعزمي هذا. ولقد كان لكلمة الأستاذ وداد عريفي بك وقع حسن في نفسي، إذ فهمت منها أن الشركة ستعدل أيضا عن تمثيل قصة سيدنا محمد (ص) احتراما للدين الإسلامي الحنيف، وستستعيض عنها بقصص عربية أخرى.

وقبل أن اختم كلمتي أريد أن أنبه حضرات أصحاب الفضيلة العلماء ورجال الأزهر إلى نقطة ذات أهمية، وهي أنه إن كانت شركة ماركوس قد عدلت أو ستعدل عن إخراج قصة النبي محمد

فإنني لأخشى بل أكاد أعتقد أنه ربما أخرجتها في القريب شركة أجنبية أخرى في تونس أو الجزائر لموافقة مناظرها للقصة .

" فإذا كنتم حقا تريدون منع هذه القصة من الظهور فيجب مخابرة جميع الدول بذلك، إذ ما فائدة عدولي أنا عن تمثيل هذا الدور مادام سيمثله أجنبي، وهنا لا يغرب عن الأذهان أن الرواية ستمسخ مسخا سواء من كان من جهة عادات العرب وأخلاقهم وصفاتهم وحقيقة دينهم، فعليكم ألقي عبء المسئولية، وعليكم أن تحاربوا الفكرة في الخارج كما حاربتموها في الداخل " .

ومن بين السطور نستشف بسهولة أن يوسف بك تنازل عن المشروع مرغما، وأنه كان يتمنى لو سمح له الأزهر ببطولة الفيلم، الذي داعب نزقة الفني.

اعتذار يوسف وهبي أسدل الستار على الأزمة التي تعرض خلالها للطعن في دينه، وظلت تفاصيلها تثير في نفسه أسى كلما تذكرها، ولا يخفيه أحيانا عندما كان يعقب باقتضاب أن الشركة أسندت لممثل يهودي بطولة الفيلم، في إشارة إلى غضبة من رفض الأزهر القاطع لتمثيله للفيلم، والذي وصل إلى الاستعانة بوزارة الداخلية لتمنعه بالقوة الجبرية، في سابقة لم يعرفها تاريخ السينما المصرية.



قصيدة مفخخة

تنفجر في وجه

مارسيل خليفة



لأن في حالته لا تصلح مقدمة واحدة،
ولا تمهيد واحد، ولا مدخل واحد:

مقدمة (1)

لماذا لم يحقق مارسيل خليفة نجومية يستحقها في القاهرة.. عاصمة الغناء العربي؟!

لا يمكن أن يكون العيب فيه هو، ولا سبق إصرار منه أن يكتفي بانتشار ولو مختلط بالاحترام والعشق بين صفوف المثقفين فقط، ذلك إن الجماهير العريضة هي هدفه ومبتغاه.. إليها يغنى، ولها يحرض، ومعها يشعر بالنشوة والانطلاق.

ولا أظن أن العيب في تلك الجماهير نفسها، التي نتكاسل أحيانا فنرميها بهبوط الذوق، وانحدار الحس، وتعاطى الهيافة، مع أنها نفس الجماهير التي تتمايل مع صوت كاظم الساهر وهمسات أنغام وأغاني على الحجار،وكان منظرها وأغلبها من شباب دون العشرين- وهي تتجاوب حتى الذوبان مع هاني شاكر وهو يغنى من غير ليه - رائعة عبد الوهاب - يدل على أنها لم تفقد الإحساس بالجمال.. وبروعة الغناء؟!

أين الخلل أذن؟! مطرب كمارسيل، وجمهور هذه أوصافه لماذا لم يحدث التزاوج المنتظر بينهما، ويثمر عن نجومية وعشق وتجاوب؟

الإجابة المقنعة - أو تكاد - وجدتها عند مارسيل نفسه، وفي تصريح مليىء بالشجن الجارح، والمرارة المكثفة كثافة كلماته " أنا لست نخبوياً، ولا مطرب اليسار فقط، وقاعدتي الجماهيرية واسعة ، لكنها مفقودة مع الإعلام المصري، ولذلك أسبابه، ففي

اللحظة التي بدأت فيها الغناء ذهب السادات لإسرائيل، وهذا هو جوهر وبداية المشكلة، حيث انقطع العالم العربي عن مصر تماما، فعندما وضعت قدمي على خشبة المسرح في بيروت في أولى حفلاتي، كان السادات يطأ بقدمه مطار تل أبيب" هي الظروف السياسية أذن التي حالت ومنعت مارسيل من الوصول إلى الشارع المصري، وحولته إلى مطرب غير مرغوب فيه، وأغانيه التي تحض على المقاومة وتحرض على الكفاح وتثير الحمية والحماس لابد أن توصد الأبواب في وجهها، وتتجاهلها أجهزة الإعلام الرسمية، وتتعامل معها على أنها منشور سرى لا يجب أن يصل لمستحقيه.

أضف إلى ذلك مارسيل نفسه، وتكوينه وأفكاره وآراؤه التي يجاهر بها، وتعتبرها الحكومات تحريضا علنيا ضدها، وضد استقرارها.

مارسيل مازال يؤمن بأفكار نبيلة مثل الحرية والمقاومة والعدالة والعروبة، وهى أفكار أصبحت كالأحلام في ظل وضع عربي متردي محبط مهزوم، ولكن مرسيل لا يعترف بها، وعنده قناعة بأن المقاومة هي الحل، في زمن تخلت فيه الزعامات العربية عن المقاومة، وارتضت " السلام " كخيار إستراتيجي" مهما كانت الخسائر..

هو مطرب لا يعرف لغة التزلف والمهادنة، ولا يجيد الكلام الناعم الذي يرسله أغلب المطربين ل "تسليك" مصالحهم، فكلامه كالبارود، وتصريحاته كالدانات.. من قبيل: " نحن نعيش في واقع أليم، ما يحدث فيه مأساة مروعة بكل المقاييس، مضافا إليها الصمت الرسمي المريب في الوطن العربي، ولا أستثنى إية حكومة من الحكومات القائمة، وللأسف الشعوب مسحوقة داخل أوطانها، مغلوبة على أمرها أو مهجرة، ولا أعرف أين ترسانة الأسلحة التي اشترتها الحكام، هل أتو بها لقمع الشعوب أم ليدافعوا عن الأرض والكرامة؟! "

ومن قبيل: "إنني أدعو كل الشرفاء لأن يساهموا في دعم نضال الشعب الفلسطيني، ليس فقط بالاعمال الفنية والتظاهرات والكلمات.. بل بالمال. أنا في هذه اللحظة الحرجة أطوف البلاد والعواصم ليس فقط من أجل تقديم الأغنيات، بل لأقدم الحفلات التي يذهب ريعها للشعب الفلسطيني، ولأي قضية عادلة أؤمن بها، وهذا ما أفعله طيلة حياتي ".

مارسيل خليفة



ومن قبيل: "لقد ساهمت الفضائيات العربية في تهميش المواطن العربي، وكنت أتصور أنها ستلعب دورا في توحيد الوطن العربي، وأن تنقل الأعمال الفنية النبيلة، لكن ما حدث جاء عكس المتوقع.. إن ما يبثه إعلامنا هو كارثة بكل المقاييس، وهو مسئول عما وصلنا إليه اليوم من ذل وانكسار "

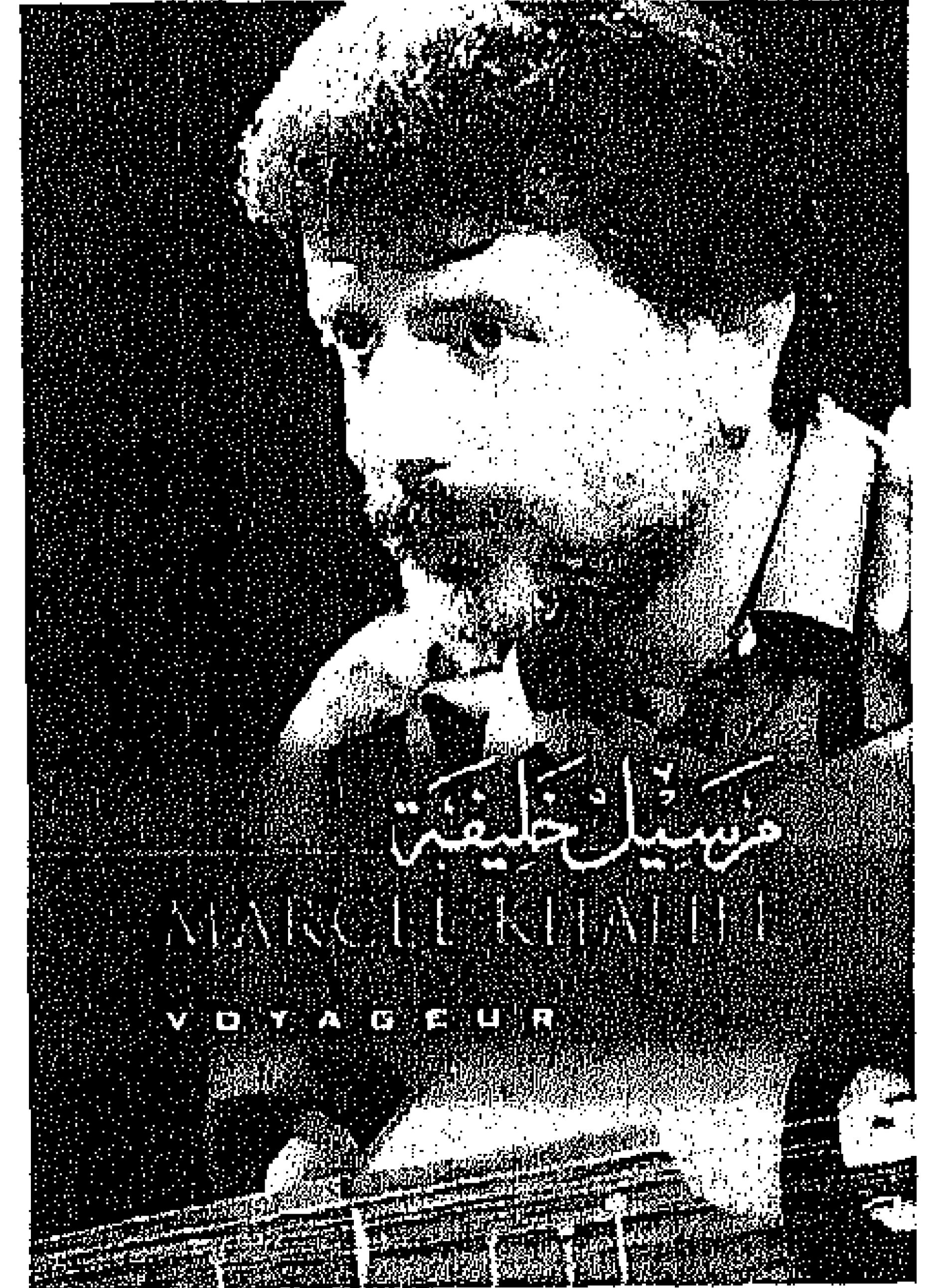
تأمل كلماته جيدا، لا، بل لا تحتاج حتى إلى هذا التأمل لتدرك أنها غريبة، وتتناقض مع ما نسمعه من كل مطربينا عن

الديمقراطية التي نعيشها، والرخاء الذي نرفل فيه، والحرية غير المسبوقة، التي تستحق عليها الأنظمة التقدير والثناء.. والغناء. ومارسيل لا يقول فقط، بل يفعل، فإلى جانب ريع حفلاته الذي يوجهه لدعم الصمود الفلسطيني، يكفي موقفه النبيل في يناير 2001، عندما دعي للمشاركة في مهرجان "ووماديلايد " الاسترالي، الذي يعد واحدا من أعرق المهرجانات الموسيقية في العالم، والغناء علي مسرح دار الأوبرا في " سيدني " الذي يعد أفخم مسارح الأوبرا في القارات الخمس، وهو شرف لأي مطرب في العالم، ولكن مارسيل تنازل عن هذا الشرف، وببساطة متناهية، وبلا تردد، لمجرد أن عرف بمشاركة المطربة الإسرائيلية " شافا البر شتاين " في المهرجان.

وأرسل مارسيل رسالة إلى مدير المهرجان يسجل فيها اعتراضه بوضوح على مشاركة مطربة تقوم قوات بلادها بارتكاب مجازر يندى لها جبين الإنسانية في فلسطين ولبنان، مؤكدا أن " لا نشيد عندي ولا أغنية ولا موسيقى إلا الأمل في إيقاع الحجر على خوذات الجنود الإسرائيليين" موجها التحية إلى محمد الدره "الذي قتل في حضن والده وهو أعزل إلا من حجر صغير "

وحاول مدير المهرجان " أيان سكوبي " أن يثنيه عن موقفه، مذكرا إياه إن الفن و الموسيقى هما لتوحيد الشعوب وليس لتفريقها، وان الفنان الحقيقي يجب أن يقفز فوق السياسة وعداواتها، وأن ينظر للأمور بعقلانية، ولا يفقد الأمل في سلام قادم.. ورد مارسيل على مدير المهرجان برسالة جديدة قال فيها "إن الحديث عن القفز فوق العداء السياسي في ظل الواقع غير الإنساني الذي تمارسه إسرائيل على شعبي، يجعل هذه الفكرة غير مفهومة، خصوصا وأن ما بيننا وما بين القوة الإسرائيلية لا يقع تحت ما تسمونه العداء السياسي، إنما هو إنعدام المسافة الإنسانية التي تتيح للمرء التفكير في تجاوز التفاصيل ".. وقال: " إن تعبيركم عن الإنسان العقلاني يعني تجريد الفنان من عواطفه، كي يكون قادرا على مغادرة بيته مهدوما، وعائلته تحت القتل من أجل الغناء في ظل ما يسميه البعض عقلانية العائلة الإنسانية ".

نحن إذن أمام مطرب بدرجة مناضل سياسي.



مقدمة (2)

متوسط القائمة، أبيض البشرة، ذو لحية كثيفة، وعينان زائغتان مشبعتان بالأحزان.. على وجهه سمت الفلاسفة، حيث يأخذك هذا السمت ويستغرقك، فلا يعطيك فرصة لأن تطالع هندامه البسيط وتقيس أناقته، وتقارنه بأقرانه من نجوم الغناء، وما يبتكرونه من تقاليع ونيو لوك!

بساطته تمتد إلى حديثه، فتسري فيه وفيك عندما يحكي لك عن نشأته وتكوينه الأول وأيامه البكر بلا تذويق ولا أدعاء:

"ولدت في قرية لبنانية صغيرة اسمها " عمشيتي " عام 1950، منتسبا لأسرة بسيطة، لا علاقة لها بالفن.

ومنذ صغري وأنا أعشق الطنين الموسيقي، وكنت " أدربك " على الأدوات المنزلية، وأستمع إلى أصوات التراتيل الكنسية، والمؤذن، فتشابك داخلي التجويد مع التراتيل وتشكلت المادة الموسيقية الأولى في وجداني "



" أنا ابن ضيعة عمشيتي"، هناك حيث الإنسان البسيط ينشأ ولديه ميل فطري إلى ممارسة ألوان "فنية" متعددة، منها العزف على الناي، أو كتابة الزجل أو رقص الدبكة على أنغام "المجوز". في هذه البيئة نشأت، وفي مدارس الإرساليات تعلمت، حيث كانوا يهتمون كثيرا بالناحية الموسيقية، هكذا يبدو أن الجو الذي نشأت فيه لم يكن قاحلا من الناحية الفنية"

" وفي أحد الأيام طلبت من أهلي أن يشتروا لي عودا، فلما حصلت عليه، وكان عمري 14عاما، اعتبرته عيدا بالنسبة لي، وبدأت أتعلم العزف على يد أستاذ من ضيعتنا اسمه حنا كرم، بعدها تركت "عمشيتي" إلى بيروت لالتحق بالكونسرفتوار، حيث تابعت دراستي الموسيقية، حتى تخرجت عام1970"

" كان لدى ميل إلى التلحين قبل أن أتخرج في الكونسرفتوار، ولكن ميلي هذا لم يبرز بشكل كاف، لان الجو في المعهد كان أكاديميا خانقا وجافا، لا يساعد الطالب على إعطاء كل ما لديه من تدفق فني.

وفي ظل هذا المناخ لم أستطع الاستمرار طويلا، حتى بعد أن أصبحت أستاذا في المعهد (بعد تخرجه عين أستاذا لآلة العود في الكونسرفتوار). وذلك يرجع لإصراري على إقامة علاقات فكرية مع تلاميذي، مما جعل الإدارة تستغني عن خدماتي بعد سنتين من العمل"

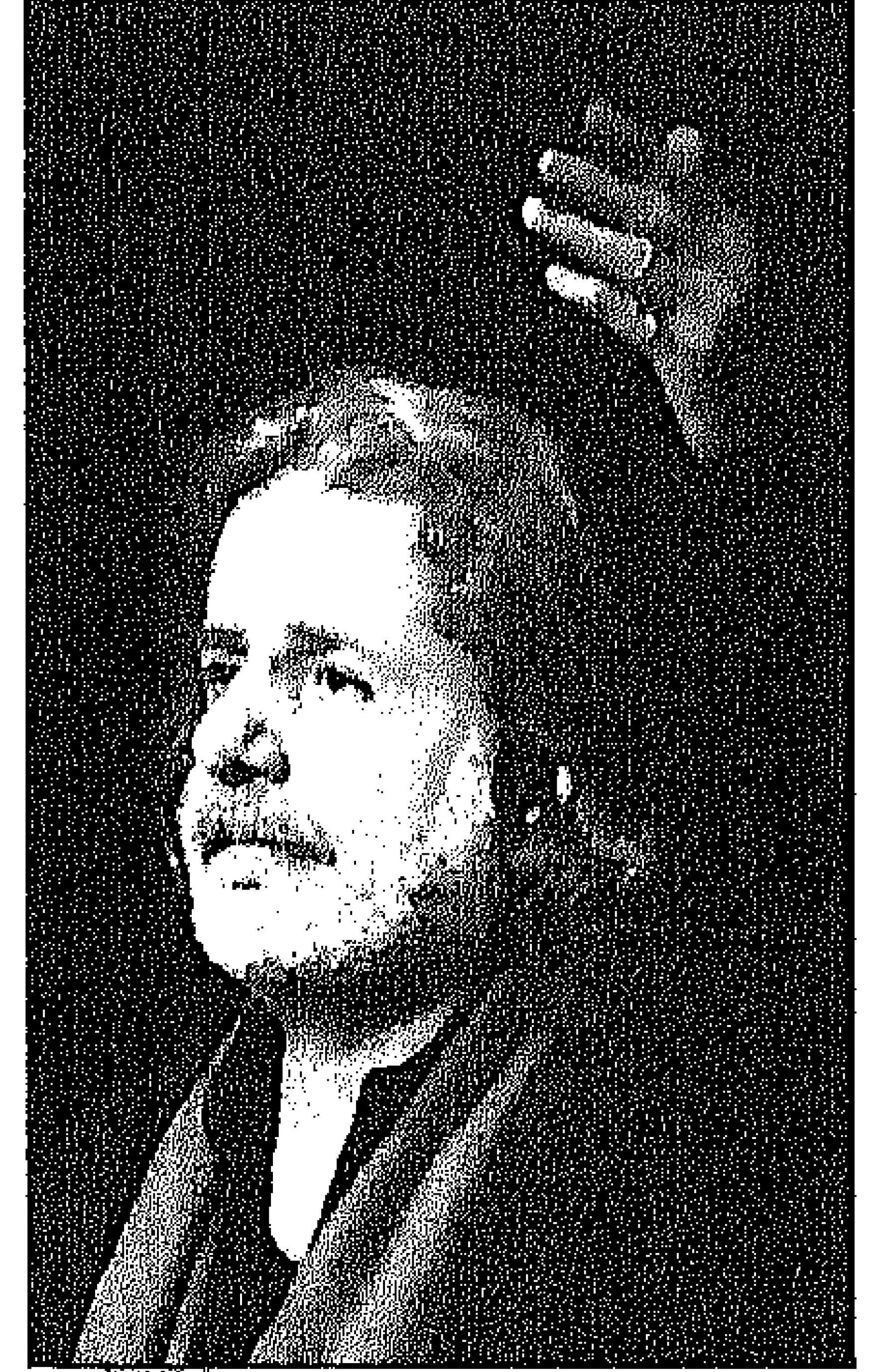
وبعد الاستغناء عن خدماته، حزم مارسيل حقائبه وسافر إلى باريس عام1976، وفي مدينة النور عاش لمدة سنة، صقل فيها دراسته الموسيقية، وبدأ من شوارعها مشواره مع الغناء.

وكانت الطلقة الأولى اسطوانة تحمل هذا العنوان الدال "وعود في العاصفة"، كان أغلبها قصائد لمحمود درويش، لحنها مارسيل وغناها، ودشن بها مشروعه مع الأغنية السياسية.

اختار مارسيل أن يغني عكس التيار، وأن يجعل من أغانيه" منبه" وليس مخدرا لذيذا، يأخذك على بساط الحب وكلمات الغرام والحرمان والاشتياق إلى عيون المحبوبة، كما يفعل نجوم الطرب.. رفض أن يدخل تلك اللعبة، مع أنها مضمونة النجاح،وانحاز إلى الأغنية التي ترتبط بحياة الإنسان وتتصل بقضاياه وأحلامه.

كان واعيا ومدركا أنه يكسر السائد والمألوف، ويصدم الناس عندما يغني لأمور أخري لم يألفوها.. للألم وللحياة والمقاومة والكبرياء... يغني للبندقية كما يغني للعيون العسلية.

ولذلك لم يكن مدهشا أن يعامل على أنه مطرب غير مرغوب فيه، سواء من جانب الأنظمة العربية، أو حتى من جانب الأعداء، بوصفه محرضاً على الثورة وكما حجبت الشاشات الرسمية العربية أغانيه، اعتبرتها القوات الإسرائيلية في سنوات احتلالها للجنوب اللبناني من "الممنوعات".. صادروها كما يصادرون الأسلحة، وتعاملوا معها كما يتعاملون مع ميلشيات المقاومة.. ولم لا وهي تقول: إنهض للثورة والثأر/ إنهض كهبوب الإعصار/ وأرشم أعداؤك بالنار/ وأهتف بالصوت الهدار/ الثورة نهج الأحرار/ من غزة من قدس العرب/ أخرج كالريح ولا تهب/ يا جيل النخوة والغضب/ وأمضي كالسيف إلى الظفر/ وابدأ ميلادك بالحجر.



مقدمة (3)

لا تحتاج لأن تسأل مارسيل: لماذا كلمات محمود درويش بالذات... لماذا أشعاره هو.. وقصائده هو التي اختار أن يزفها على عوده وحنجرته، ويخرجها من الدواوين إلى الشارع حية نابضة متفجرة؟!

الإجابة سهلة واضحة: إن محمود درويش هو المتحدث الشعري باسم المقاومة.. ثم أنه في أشعاره يكمن ذلك الحس الإنساني الشفاف، الذي يأسر كل متذوق للشعر، ومارسيل ليس مجرد متذوق، بل شاعر وإن لم يكتب الشعر.. إنه يحسه، ويتسرب إلى أعماقه، ويشعره بنشوة لا نهائية، سرعان ما تتحول إلى أنغام تسري على لسانه.

وعندما سافر مارسيل إلي باريس لم يكن في حقائبه سوى ديوان محمود درويش، وفي ليالي الغربة شرع في تلحين قصائده، وكانت "العاصفة" هي الطلقة اللحنية الأولى، وتلتها "أحن إلي خبز أمي"، وتوالت بعدها اللقاءات البديعة بين أشعار درويش وحنجرة مارسيل التي وصلت إلى ذروة تألقها في قصيدة "ريتا"، التي يقول عنها مارسيل أنها أغنية عاطفية غير مسبوقة في جرأتها.

ظل مارسيل يتعامل مع قصائد محمود درويش لمدة سبع سنوات دون أن يلتقي بصاحبها، وعندما التقاه وجده مرحبا معجبا، مانحا له "كارت بلا نش" ليغني قصائده متى شاء، وكم كان درويش صادقا غير مجامل عندما وصفه بذلك الوصف المدهش:

لقد أنقذت أغاني مارسيل القلب، رافعة إياه على أجنحة بعيدا عن الدمار".

يتجلى مرسيل في كلمات محمود درويش، وتتألق الكلمات على عوده وصوته وكأنك تسمعها لأول مرة، ويدهشك تجاوب البسطاء

معها في حفلات مارسيل، وترديدهم لها قبل أن تخرج من شفاهة، وكأنه استفتاء على الغناء الجميل.. ولذلك كانت دهشة هؤلاء البسطاء واصلة إلى حدود الصدمة عندما استيقظوا ذات صباح ليجدوا أن مطربهم المفضل في أزمة بسبب شاعره المفضل.

عندما أصدر محمود درويش ديوانه " أحد عشر كوكبا " كانت تلك القصيدة تزينه، وتظل كلماتها ومعانيها في روحك حتى بعد أن تطوى الصفحات. كانت الكلمات تقول:

أنا يوسف يا أبي / يا أبى أخوتي لايحبوننى / لا يريدونني بينهم يا أبى / يعتدون عليّ ويرمونني بالحصى والكلام / يريدون أن أموت لكي يمدحوني / وهم أوصدوا باب بيتك دوني / وهم طردوني من الحقل / هم سمموا عنبي يا أبى / وهم حطموا لعبي يا أبى / حين مر النسيم ولاعب شعري غاروا وثاروا عليّ وثاروا عليك / فماذا صنعت لهم يا أبى؟! / الفراشات حطت على كتفي / ومالت عليّ السنابل / والطير حطت على راحتي / فماذا فعلت أنا يا أبى، ولماذا أنا؟ / أنت سميتنى يوسف / وهموا وقعونى في الجب، وأتهموا الذئب، والذئب أرحم من أخواتي/ أبت! هل جنيت على أحد عندما قلت أنى: "رأيت أحد كوكبا والشمس والقمر، رأيتهم لي ساجدين"

نقاد الأدب وحتى قرائه فهموا مغزى القصيدة، التي أراد شاعرها أن يمزج فيها بين الظلم الذي تعرض له الفلسطينيون، وبين الظلم الذي ذاقه يوسف عليه السلام،وهو في رأيهم حق فني مشروع، وأن درويش عالجه - خاصة في استشهاده بكلمات القرآن - بكثير من الجلال.



لم يغب هذا المغزى السياسي عن مارسيل عندما شرع في تلحين القصيدة الدرويشية، ولم يتجاهل هذا الكثير من الجلال الذي عالج به شاعرها هذا الاستشهاد القرآني، فقرر أن يرتل كلماته بشكل يدل علي أنها آية قرآنية، كما فعلت سيدة الغناء العربي أم كلثوم عندما رتلت آيات القرآن في فيلم "سلامه"، ولم يعترض أحد وقتها، لأن الخشوع الذي أبدته كان كافيا لتمر الحادثة بسلام دون أن يعترض أحد من شيوخ الأزهر، أو يغضب أحد من علماء الدين.

ولكن في حالة مارسيل لم يمر الأمر بسلام، بل تحولت القصيدة إلى أزمة، كان على مغنيها أن يدفع ثمنها غاليا من حريته، إن لم يكن من دمه،بعد أن فوجئ بأنه متهم بازدراء الأديان، وهي تهمة لم تخطر على باله أبدا عندما اتخذ قراره بتلحين القصيدة..

ففي 18 سبتمبر عام 1996 تم تحريك دعوى من قبل النيابة العامة في بيروت وبتوقيع القاضي عبدالله البيطار ضد المطرب مارسيل خليفة، بتهمة تحقير الشعائر الدينية، لأنه - كما قالت عريضة الدعوى - قام بغناء وتلحين قصيدة للشاعر محمود درويش - أنا يوسف يا أبي- ضمن اسطوانة بعنوان "ركوة عرب"أدخل عليها آية من آيات القرآن الكريم، وتحديدا من سورة

يوسف.

وأيد مفتي لبنان يومها الشيخ محمد رشيد القباني الدعوى، وبارك الاتهام، وتحركت الدعوى، وكادت تصل للقضاء لولا تدخل رئيس الوزراء اللبناني يومها رفيق الحريري في اللحظات الأخيرة، فأمر بوقفها، مؤكدا أن ثمة خطأ ما، وسوء فهم لابد من تداركه، خاصة بعد أن أعلن مارسيل أنه - وهو المسيحي الماروني - يحمل تقديرا بالغا للشعائر الإسلامية، ولذلك قام بتجويد الآية التي تضمها القصيدة، ولم يلحنها كما زعمت صحيفة الدعوى، وادعت الأصوات التي حاولت جرجرته إلى المحكمة.

وظن مارسيل أن الأزمة انتهت بعد أن نزع الحريري فتيلها في مهده، ولم يكن يدرك أن هناك مرحلة أخرى أكثر إثارة وخطورة تنتظره بعد ذلك بثلاث سنوات..

ففي اليوم الثاني من تعيين قاضي تحقيق جديد (قاضي التحقيق في لبنان يعادل منصب النائب العام) تقرر فتح ملف القضية من جديد، ليكون صيف عام 1999 هو الأكثر سخونة في مشوار مارسيل.

تحركت الدعوى النائمة بسرعة، وأشهرت التهمة القاسية مرة أخرى: تحقير الشعائر الدينية، وهي تهمة عقوبتها السجن لمدة قد تصل إلى ثلاث سنوات.

وهاجت الدنيا وماجت، فلم يتخيل أحد أن يقبع هذا الرجل الأسطوري خلف القضبان ثلاث سنوات، وهو الذي عاش عمره مدافعا عن الحرية وعن الإنسانية.. أما هو فلم يهتز يقينه بما فعل وبما صنعت يداه، وبصوته الذي طالما حرك القلوب خرج ليتحدى الموقف:

" في تقديري إن هذه الدعوى هي نوع من التعبير عن الخراب العقلي والروحي والإنساني، ولا أعتقد أن أي شخص يمكنه أن يدعى على الناس بهذه البساطة، ليلصق بي تهمة أنا لم أقصدها... إنه لأمر محزن أن يحاكم إنسان على أغنية غناها"

" أنا احترم كل الأديان، وليس لي أي مفهوم طائفي، لأنني إنسان علماني أعتنق المفهوم الإنساني الشامل في التعامل مع البشر، ولا يمكنني أن أتعامل مع شخص على أساس ديانته... أنا أغني لكل البشر من كل لون ودين.. ثم إنني لم ألحن آية من القرآن.. لم آت بها من المصحف لألحنها... أنا لحنت قصيدة للشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش، استعار فيها شخصية النبي يوسف الذي تعرض للظلم ليعبر بها عن الإنسان العربي المعاصر... وهناك الكثير من المراجع الدينية في لبنان اعتبرت أن هذا التضمين لآية قرآنية داخل القصيدة لا يحتوى على أي إساءة للقرآن"

" أنا أقول لرجال الدين الذين تفرغوا لتجريم الأغنية، إننا مدعوون جميعا اليوم وأكثر من أي يوم مضى لمواجهة العدو الرئيسي الذي يحتل الأرض العربية، وعدم اللهو وتضييع الجهود في الصغائر... وأقول لهم عليكم أن توجهوا فتاواكم نحو العدو، لا



فريدة النقاش

نحو أغنية تواجه العدو "

والحق أن مارسيل لم يعدم رجال دين مستنيرين يؤازرونه ويقفون إلى جواره في محنته، ويدافعون عنه، ويردون التهمة القاسية التي تطارده وتكاد تحمله إلى غياهب السجن، ربما كان أبرزهم المرجع الديني البارز محمد حسين فضل الله، الذي أصدر بيانا يبرئ فيه مارسيل من التهمة، ويؤكد أن الأغنية لا تحمل أي إساءة للقرآن، أو الشعائر الإسلامية. وقال إن الأغنية تعكس مضمونا إنسانيا يتصل بالمستضعفين والمقهورين.

والحق أيضا أن الجماعة الثقافية في العالم العربي - جماعات وأفراد - وقفت موقفا صلبا بجانب مارسيل، فقد احتشد أكثر من خمسة آلاف متظاهر، بينهم أسماء لامعة، وممثلون عن الأحزاب والتيارات السياسية المختلفة، وأصدروا بيانا أقروا فيه بمشاركتهم مع مارسيل في تلحين وغناء القصيدة / الأزمة، وباستعدادهم لتحمل عقوبة السجن معه.

وأصدر إتحاد الكتاب اللبناني بيانا منفصلا قال فيه أن "حبر" محمود درويش يملك من الطهارة ما يملكه دم أي مقاومة، وأن صوت مارسيل يملك من المقاومة ما تملكه أي بندقية حرة.

وفي نقابة الصحفيين المصرية نظمت اللجنة الثقافية - نوفمبر 1999 - أمسية تضامن مع مارسيل، وبعيدا عن الشعارات والهتافات العاطفية، فقد كان أهم ما فيها تلك الكلمة التي ألقاها د. صلاح فضل الناقد الأدبي البارز، ورد فيها الأزمة إلي إطارها الأوسع والأشمل، وهو جوهر العلاقة بين الدين والفن، قال فيها أن هذه العلاقة "لا يجب أن تكون في حالة عناد، لأن الفن يطهر النفس وينمي الطاقات الخلاقة، بينما هدف الدين يكمن في السمو بالروح، وهو نفس الدور الذي تلعبه الموسيقي والشعر والفنون التشكيلية، والتداخل بين ما هو مقدس والإبداع يجعل الدائرة بين الدين والفن تلتحم ولا تنفصل."

وتساءل فضل: هل جاء القرآن الكريم كي يطوى في المصاحف أم جاء ليرتقى بالحياة؟!

وأجاب موضحا: أنني أرى الشعراء الذين يعجزون عن التغذى من القرآن شعراء ضعاف التكوين، وأؤكد على أهمية وضرورة توظيف القرآن في الشعر والحياة.. ولا ضير على محمود درويش عندما استفاد من القرآن في تجسيد فكرته بالقصيدة، وتوضيح قضيته التي أصبحت جزءا من الضمير الإنساني."

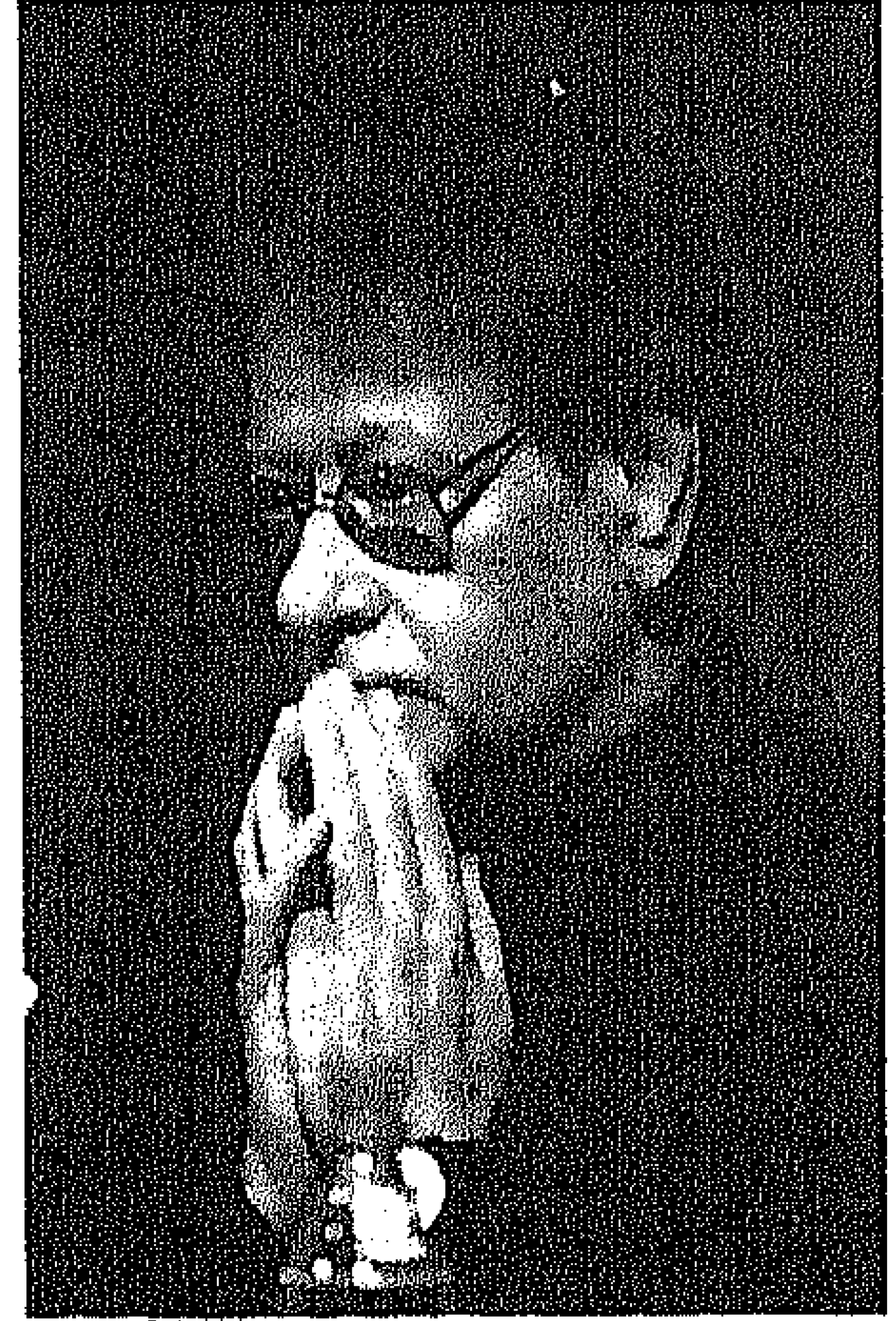
وهو المعنى نفسه الذي قصدته الناقدة الكبيرة فريدة النقاش عندما كتبت تقول: إن الذين يصادرون حق الفنان في استلهام التراث الديني وتحديثه وتأويله بحرية يحولون هذا التراث إلى نصوص جامدة معزولة عن الحياة، ويكتفون باستخدام بعضها للتخويف والردع وإثارة الرعب، بل وغالبا ما يستخدمونها في تبرير الاستبداد والعسف والدفاع عن المصالح غير المشروعة".

التف العالم العربي إذن حول مارسيل، وفي كل بلد خرجت



البيانات والمقالات تتضامن معه، وتشد على يديه، وتطالبه بالثبات في وجه تلك العاصفة، ولذلك رفض بلا تردد عروضا جاءته بالهجرة واللجوء السياسي، بوصفه مضطهدا في بلده، وبحسم كامل قال مارسيل:

" لا.. لا لن أغادر لبنان حتى ولو سجنوني، وعليهم في هذه الحالة أن يوسعوا كل السجون التي لديهم، لأننى لن أكون وحدي، فهناك آلاف تضامنوا معي، ووقعوا بيانا يعلنون فيه أنهم شاركوا معي في تلحين الأغنية، ويطالبون بمحاكمتهم عن نفس التهمة، بل إننى أرفض أن أحمل لقب متهم، فكل ما فعلته أننى غنيت قصيدة يستلهم فيها محمود درويش حكمة القرآن في سرده لقصة سيدنا يوسف، والتي تتجسد في جدلية الصراع الدائم بين الظالمين (أخوة يوسف وإمرأة العزيز)، وبين المظلومين (يوسف وأخيه بنيامين). هذا الصراع مستمر ودائم من تاريخ البشرية، حتى ولو كانوا أخوة داخل الوطن الواحد، فكيف يمكن اتهام مثل هذه القصيدة التي تستوحى الحكمة القرآنية بأنها تحتوى على تحقير للشعائر الدينية"


محمود درويش

وبنبرة مليئة بالتحدي رفع مارسيل صوته:

"نعم تلقيت عروضا عديدة باللجوء السياسي، ولكني لن أفعل.. لقد رفضتها جميعا وبصراحة لا أريد أن نبارك – نترك – لهؤلاء وطننا ونرحل.. هذا لن يحدث.

" أنا لست متهما كي أترك وطني، أنا مطرب أغنى للحرية وللوطن والإنسان في كل مكان.. لذلك سأبقى"

وبقى مارسيل في العاصفة، يدفع التهمة، ويقاوم الريح، ويرفض الاستسلام، ويردد أغنيته الأثيرة: في كفى نصبة زيتون/ وعلى كتفي نعشى.. ويرثى لحال الحرية في العالم العربي، وخاصة واحتها الجميلة بيروت التي أصبحت مدينة يطارد فيها المبدعون، ويتهددهم الحبس والملاحقة.. "أنا حزين جدا، فالقضية تمسنا جميعا ولا تمس بيروت وحدها فقط،وإذا حوكم الفن سواء في بيروت أو في أي عاصمة أخري فهذه "فضيحة"، لان الفن هو رسالة للوطن، وأنا لا أعرف هل أصبح الغناء للشهداء، والتعبير عن سوء حال المظلومين، ورفض القهر تهمة يحاكم عليها مرتكبوها.. يا سيدي عندما تصل الحرية في لبنان إلى هذا الوضع فهذا معناه إن الحرية في العالم العربي كله في خطر".

وفي 15 ديسمبر عام 1999 انتصرت الحرية، وجاء الفصل الأخير في القضية، وعادت الابتسامة إلى وجه مارسيل، بعد القرار الذي أصدرته القاضية اللبنانية غادة أبو كروم بوقف كل الملاحقات القضائية بحق مارسيل، وبراءته من تهمة تحقير الشعائر الدينية، وجاء في حيثيات الحكم "أن المدعى عليه قد

أنشد القصيدة بوقار ورصانة ينمان عن إحساس عميق بالمضمون الإنساني الذي عبرت عنه القصيدة المرصعة بالآية الكريمة، ملتزما في تعبيره شكلا ومحتوى بأداء لا يحمل أي مس بقدسية النص القرآني أو ما يسيىء إليه أو مضمونه. كما أنه لا ينم عن قصد الحث على الازدراء به تصريحا أو تلميحا سواء عبر الألفاظ أو المعاني أو النغم.

وأضافت حيثيات الحكم:

" وحيث أنه بانتفاء فعل التحقير وقصد الحث على الازدراء تنتفى عناصر الجنحة المعاقب عليها في المادة 474 عقوبات، فيتعين بالتالي إبطال التعقيبات الجارية بحق المدعى عليه"

انتهى الكابوس إذن، وجاء حكم البراءة بردا وسلاما على قلب مارسيل وعشاقه، الذين آلمهم أن يسكت هذا الصوت الشجي النبيل، ويكف عوده عن إطلاق بارود الأنغام.. وتحول الغضب إلى فرح حقيقي، والقلق إلى بهجة وهم يرونه يستعيد لياقته، ويصدح من جديد:

بين ريتا وعيوني بندقية/ والذي يعرف ريتا ينحني ويصلي لإله العيون العسلية/ وأنا قبلت ريتا عندما كانت صغيرة/ وأنا أذكر كيف التصقت بي/ وغطت ساعدي أحلى ضفيرة/..../
اسم ريتا كان عيدا في فمي /جسم ريتا كان عرسا في دمي/ وهي نامت فوق زندي سنتين/ وتعاهدنا على أجمل كأس/ واحترقنا في نبيذ الشفتين/ وولدنا مرتين.

وعاد عوده ينشر الحماس، وينتزع الهتافات معه من القلوب:

منتصب القامة أمشي.
مرفوع الهامة أمشي.





عبد الوهاب "الملحد"..

من غير ليه!





عندما أسلم عبد الحليم حافظ روحه إلي بارئها في 30مارس عام1977 في المستشفى بالعاصمة الإنجليزية لندن، كان إلى جواره على "الكوميدينو" الملاصق لسريره شريط كاسيت، وضعه بحرص وعناية بين زجاجات الأدوية والمحاليل، دليلا على أهميته البالغة.

وبمجرد أن تأكد نبأ الوفاة رفع صديقه مجدي العمروسي الذي لازمه في رحلة علاجه الأخيرة الشريط في هدوء، ودسه في طيات ملابسه، لأنه يعرف قيمته ويدرك أهميته.

على الشريط كان الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب قد سجل بصوته أغنية "من غير ليه" التي كتبها الشاعر مرسي جميل عزيز، ولحنها عبد الوهاب، ليغنيها حليم في حفل عيد الربيع في عام77، عقب عودة العندليب من رحلة العلاج.

وعلى سرير المرض كان عبد الحليم يستغل لحظات صحو قليلة ليستمع إلي الشريط بتركيز شديد، ليحفظ اللحن بأسرع ما يمكن.. وذهب العندليب، واستقرت الأغنية في خزائن مجدي العمروسي، وظلت قابعة في ظلامها ما يزيد على عشر سنوات.

وخلال تلك السنوات العشر تلقى عبد الوهاب عشرات العروض من مطربين كبار، ليحصلوا على الأغنية، التي لم يسعف القدر عبد الحليم ليشدو بها.

كان عبد الوهاب يرفض بحسم، معتذرا ومتعللا بشتى الأعذار. وكان الوحيد الذي تنبه إلى السبب الحقيقي لهذه الاعتذارات المتوالية هو الموسيقار سيد إسماعيل، الذي أدرك أن عبد الوهاب لا يريد أن تفلت الأغنية من حنجرته، وأنه ينوى أن يغنيها بنفسه.

وعرض سيد إسماعيل على موسيقار الأجيال مساعدته في إعداد توزيع موسيقى جديد للأغنية، وصادف العرض بالفعل هوى في نفس عبد الوهاب، وما هي إلا أيام حتى كان يستدعي

أحمد فؤاد حسن قائد الفرقة الماسية- أشهر الفرق الموسيقية آنذاك- ويطلب منه كتابة نوتة للحن. وتطلب التوزيع الجديد إحضار جهاز حديث من لندن اسمه "دوروميير". سافرت السيدة نهلة القدسي حرم الموسيقار عبد الوهاب بنفسها لإحضاره، حتى يرفع الشوشرة من الشريط القديم.

تفتق ذهن عبد الوهاب عن حيلة بارعة هي الاستعانة بصوته المسجل على الشريط، وكان يومها - قبل ذلك بعشر سنوات- أكثر صفاء وحيوية وقوة، على أن يضيف إليه لمسات جديدة. وتحول أستوديو 46 بالإذاعة المصرية إلي غرفة عمليات لإنجاز هذه المهمة.

بذل عبد الوهاب جهدا خرافيا حتى تليق الأغنية برجوعه المنتظر إلي ساحة الغناء بعد غياب طويل، اكتفي خلاله بالتلحين فقط.

وفي شهر مايو من عام1989 خرجت الأغنية للنور، محدثة دويا غير مسبوق، وتحولت في ساعات إلي حديث العالم العربي، والأغنية المفضلة على جميع الإذاعات، والمتصدرة لقائمة المبيعات في سوق الكاسيت، متفوقة على ألبومات نجوم الغناء الجدد.

كانت علامات الرضا بادية على وجه عبد الوهاب، وأمارات التعب والإرهاق أيضا، فقرر أن يمنح نفسه أجازة استجمام في باريس وما كاد يستقر في عاصمة النور، حتى تلقى مكالمة قلبت سعادته وأزالت هدوءه. كانت المكالمة تؤكد له أن دعوى قضائية عاجلة أقيمت ضده تتهمه بالإلحاد والزندقة. واستمع عبد الوهاب إلي التفاصيل غير مصدق.. التفاصيل تروى أنه في أعقاب النجاح المدوي للأغنية، وما أثارته من جدل ، خاصة فيما يتعلق بمطلعها الذي رآه البعض صادما، تطوع أحد المحررين الشبان يعمل بجريدة دينية أسبوعية بالذهاب إلي لجنة الفتوى بالأزهر الشريف. وبلا لف ولا دوران طلب رأيا فقهيا في أغنية "من غير ليه". ولان رئيس اللجنة د. عبدالله المشد لم يكن متابعا للحركة الفنية،ويقضي جل وقته في الرد علي أسئلة الجمهور وتوضيح الرأي الشرعي فيما يستغلق علي الناس فقد طلب أن يسمع كلمات الأغنية..



وتقدم المحرر بالسؤال مكتوبا إلي رئيس لجنة الفتوى: "صدرت أغنية في الأونة الاخيرة للفنان محمد عبدالوهاب تتضمن كلمات تمثل مخالفة صريحة للشرع الإسلامي، وتقول هذه الكلمات: جايين الدنيا ما نعرف ليه.. ولا رايحين فين ولا عاوزين إيه.

وفي مقطع آخر يقول: مش معقول أبدا يا حبيبي القدر اللي هداني بحبك.. يوم من الأيام يبقي عزول.

وبلا تردد كتب د. المشد فتواه:

إن هذه الكلمات تمثل إساءة بالغة لديننا الحنيف وتدخل كاتبها

ومرددها في دائرة الشرك بالله لما فيها من تعارض مع ما جاء بآيات القرآن الكريم واستهانة بالقدر، وبذلك فإن الأغنية تدعو إلي الشرك بالله.. وعلي المسئولين في الدولة وهي دولة إسلامية أن يستتيبوا مؤلف الأغنية ومغنيها. فإن تابوا ورجعوا.. وإلا عذروا.. والله تعالي أعلم".



ووقعت تلك الفتوى في يد محام شاب، كان قبلها يشعر بغضب مستطير بعد سماعه للأغنية. كان عبدالحكيم شداد - 25 عاما - قد تخرج قبل سنوات قليلة من كلية الحقوق يتحسس خطواته الأولي في عالم المحاماة.. كان ملتزما دينيا، ويداوم علي حضور الندوات الدينية التي يعقدها الشيخ صلاح أبو إسماعيل.

ولم ينتظر عبدالحكيم موعد الندوة الأسبوعية فبادر بالاتصال بالشيخ ليسأله عن رأيه في جريمة عبدالوهاب، فجاءه رد الشيخ بردا وسلاما: نعم.. الأغنية مخالفة للشرع وتعتبر سبا وإهانة..!

ولم يكتف عبدالحكيم برأي شيخه، بل سعي إلي من أعتبرهم أهل الثقة من أهل الشرع، وعن طريق صديق له نجح في الوصول إلي الداعية الشهير عبد الحميد كشك، الذي أكد له صحة ما قاله الشيخ أبو إسماعيل، بل وأضاف عليه ما هو أكثر انفجارا:

أن عبدالوهاب قد أقتبس هذه الأغنية من أنصار مذهب الجبرية ومن أشعار إيليا أبو ماضي الذي ينتمي إلي هذا المذهب"

وأطمأن قلب المحامي الشاب، وفي الصباح كان يدون بيانات دعواه القضائية أمام محكمة القاهرة للأمور المستعجلة يختصم فيها محمد عبدالوهاب ورئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون، ومدير الرقابة علي المصنفات الفنية، ومنتج الأغنية، مطالبا بصفة عاجلة بوقف إذاعة الأغنية عبر وسائل الأعلام وعدم توزيعها عبر منافذ الكاسيت، ومصادرة الأغنية محل الدعوى لمخالفتها للشريعة الإسلامية، وإحضار مطربها لاستتابته أمام المحكمة، اعتمادا علي فتوى الشيخ المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

وفي تصريحات صحفية تزامنت مع الدعوى برر عبدالحكيم شداد الشاب الريفي المتدين المولود في قرية طنان بمحافظة القليوبية لجوئه إلي القضاء لمصادرة الأغنية قائلا: إن هذه الأغنية لن توقف أو تصادر إلا بحكم محكمة، ثم إنني لم أرفع الدعوى إلا استنادا لفتوى د. المشد.. إن الأطفال يرددون هذه الأغنية في الشوارع والشباب أيضا وهم لا يعرفون ماذا يقولون وماذا يغني عبد الوهاب؟!

ألم يفكر عبد الوهاب في مخالفة هذا الكلام للشرع؟ ألم يسأل عالما إسلاميا عن حكم الإسلام في هذه الأغنية؟! تخيل أن مدير الرقابة على المصنفات الفنية أعطى تصريحا للأغنية مرفقا به جواب شكر لعبد الوهاب لأنه سينقذ الأغنية المصرية من الحضيض.

إن الرقابة لا تضم عالما إسلاميا يفتي بمدى مخالفة الأغنيات للشريعة. أنهم فقط ينظرون لاتفاقها مع الذوق العام، بينما الأغنية هي سم بطيء للشعب المصري.. فهي خطر على أفكار وثقافة الشباب المسلم.. ذلك لا يمكن أن يحدث في دولة إسلامية!!"

وبهت عبد الوهاب، وعاد إلي كلمات الأغنية التي كتبها مرسى جميل عزيز، والتى حمّلها فلسفته في الحياة، وأودعها خبرته الطويلة في شكل قطرات من الحكمة المغموسة بالشجن والوجد، وراح يستعيدها من جديد:

جايين الدنيا ما نعرف ليه/ ولا رايحين فين ولا عايزين إيه/ مشاوير مرسومة لخطاوينا/ نمشيها في غربة ليالينا/ يوم تفرحنا ويوم تجرحنا/ وإحنا ولا احنا عارفين ليه / وزى ماجينا مش بإدينا / زى ما رمشك خد ليالينا / وحكم وأمر فيها وفي / ولقيت بيتي بعد الغربة /قلبك ده وعيونك ديه / ولقيت روحي في أحضان قلبك /بحلم وأصحي وأعيش على حبك / حتى في عز عذابي بحبك / ياللي زماني رماني في بحر عينيك / ونساني وقالي إنساني / بحر عينيك يا حبيبي غريق / لكن فيه أحلى ليالي زماني /توهت وتاهت دنيتي مني / بين أفراحي وبين أشجاني / دنيتي غنوة.. لأ تنهيدة / لأ شيء تاني.. لأ شيء تاني / دنيتي حبك حاجة حاسسها / حاجة لامسها حاجة شايفها / حاجة حاسسها لامسها شايفها / لكن ولا أوصاف توصفها.

وأحلم لو غمضت عيني / أحلام حلوة كتير وردية / فيها عيون وخدود وشفايف / بطير فيها فوق لياليا / وأما بشوفك بالقاك أحلي / من الأحلام كل الأحلام / يا للي عينيك سهّرت الدنيا / ورمشك حضن السحر ونام/ وده ليه يا ترى يجرى اللي جرى / أما بفكر أسقيك أكتر / ما بتسقيني الحب ليالي / مالقاش فرحة جت على بالي / إلا وحبك فرحّها لي.



كل ما فيك يا حبيبي حبيبي /شعرك ليلي جبينك قمري / حبك رحلة عمري يا عمري / ليلي حلي عمري حلي / وكل شيء في الكون حلي / لكن هناك تنهيدة / م القلب اللي م الخوف ما خلي / وأقول يا فرحة اتمهلي ده المبتلي / بالحب مهما اتهني برضه مبتلي / خايف طيور الحب تهجر / عشها وترحل بعيد / خايف على بحر الدفا / ليلة شتا يصبح جليد / خايف لبكره يجينا / تاخدنا من ليالينا / سكة عذاب تاه فيها أحباب / أحباب كتير قبلينا.

عارف كل الخوف من بكره / ده ليه يا حبيبي / عارف سر عذابي / وحيرتي ده ليه يا حبيبي / علشان إنت الروح / للدنيا اللي بعيش فيها / وأنا من غيرك / كل حياتي تضيع بعديها / مش معقول يا حبيبي / القدر اللي هداني لحبك / يوم م الأيام يبقي عزول / مش معقول حبنا يا حياتي / يقدر يقسي و ينسي أحبابه / بعد ما كنا في حضنه ليلاتي / نرجع نقف على بابه.





روح يا حزن روح إوعي تقرب لينا / دا إحنا حبايب حبنا مهنينا / والحب روحنا وأرضنا وسمانا / ويا حزن قوللي منين بقي ح تجينا / على بيتنا بالحب نجوم متجمعه / على بابنا شجرة وردة حلوة مفرعة / على كل شباك ألف شمعة مولعة / ويا حزن قوللي منين بقي ح تجينا.

يا عيون قلبي يا أحلي عيون / يلا نعيش وكفاية ظنون / يلا نخلي عمرنا كله ليله / بعيدة عن الحرمان وعن الأحزان / وان لام حد علينا نقوله / لولا الحب ما كان في الدنيا ولا إنسان.

ووضع عبد الوهاب خطوطا تحت المقطعين اللذين قال المحامي صاحب الدعوى أنهما مخالفان للشرع:

- جايين الدنيا ما نعرف ليه / ولا رايحين فين ولا عايزين إيه.
- مش معقول يا حبيبي إن القدر اللي هداني لحبك / يوم من الأيام يبقي عزول.

وظل يتأملهما حتى وهو في طائرته التي عاد بها إلي القاهرة لمتابعة القضية عن كثب، إدراكا منه أن الأمر جد خطير، حتى ولو كان صاحبها طالب شهرة، لأن التهمة التي خلعها عليه - الإلحاد ومخالفة الشرع - لابد من التصدى لها بقوة وشراسة، لأنها من المناطق التي لا تغفرها الجماهير العربية أبدا، خاصة بعد أن لاحظ أن من بين علماء الدين المتشددين من يميل إلى توجيه التهمة له ولو بشكل غير مباشر، عندما أكدوا: أن هناك من الشعراء العرب من تأثر بالأدب الأغريقي الذي يصور الإنسان في صراع دائم مع القدر، في حين أن الإسلام ألغي هذه الفكرة، ورفض هذه النظرة، عندما أكد أن المسلم عليه أن يرضي بقضاء الله وقدره، ومع ذلك خرج علينا من يقول "قدر أحمق الخطي" و "لبست ثوب العيش لم استشر"، وهو كلام يتعارض مع العقيدة الإسلامية، كما يتعارض هذا التشكيك في جدوى الحياة، ودور الإنسان فيها، وهو الدور ألذي حسمه القرآن الكريم عندما قال عن الخالق عز وجل "وما خلقت والجن الإنس إلا ليعبدون".

وأمام محكمة القاهرة للأمور المستعجلة، طلب عبد الوهاب من رئيسها المستشار طارق عطيه سماع رأى الشيخ المشد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، مشككا أن عالما أزهريا يمكن أن يصدر مثل هذه الفتوى التي اعتمد عليها المحامى في توجيه الاتهام له "بالإلحاد"، وهو اتهام يستحيل أن يخرج عن عالم أزهري بهذه السهولة.

وصدق حدس عبد الوهاب، فعندما جاء الشيخ المشد للشهادة أمام المحكمة فجر مفاجأة بنفيه أن تكون هذه الفتوى قد صدرت عنه، كل ما يذكره أن شخصا أتصل به وطلب منه أن يعرف رأيه في أغنية عبد الوهاب الجديدة، ولما لم يكن قد استمع إليها ولا يعرف مضمونها فقد أعتذر عن إبداء أي رأى.

وبعد أربع ساعات من المداولات و المرافعات أصدرت المحكمة حكما تاريخيا برفض الدعوى، وقالت حيثيات براءة عبد الوهاب من تهمة الإلحاد:

أن الموسيقار محمد عبد الوهاب ونشأته الدينية وحفظه للقرآن الكريم ينأى به عن التردي في دائرة الشرك أو السخرية من القدر. وقالت المحكمة: إن عبارة "جايين الدنيا ما نعرف ليه" لا تعني إلا سخرية الإنسان من نفسه وضعفه وقلة حيلته. فهو حقا لا يعلم سر وجوده ولا إلي أين المصير. كما لا ترى المحكمة تعارضا بين العبارات المذكورة في الأغنية وقول الله تعالى "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون".. ولكل ما تقدم فإن الدعوى تبدو وقد فقدت أي سند لها من الواقع والشريعة ويتعين رفضها.

ويومها كان المفكر الإسلامي د. محمد سعيد العشماوي من أشد المنزعجين من إقامة مثل هذه الدعوى، وبعد رفضها أضاف هو من عنده - في مقال له - حيثيات أخرى للرفض قال فيها إن الشعر العربي طوال تاريخه مليء بالإيحاءات والتوريات والكنايات، وحريص على أن يبتعد عن الأسلوب التقريري المباشر الخالي من الجماليات. ويضيف العشماوي: وعندما يغني عبد الوهاب متسائلا بلسان الشاعر من أين جاء وإلي أين يذهب، وما سبب وجوده في الدنيا، وأي طريق يسلك.. فهو هنا لا يقرر وضعا إيمانيا، ولا يتخذ مسلكا إلحاديا، إنما يغني أسلوب الشعر وإيحاءات الكلمات التي ربما تنتهي - بل بالتأكيد تنتهي - إلى تأكيد أسباب الوجود، وأسباب السير في الحياة، وعلة المعاناة ودواعي المكابدة، والذي يقرر غير ذلك إنما يفعل من قبيل "التنطع" أو جهلا بأسلوب الشعر.

ويكمل العشماوي: ولو أخذنا بهذا القول السقيم لتعين علينا أن نشطب ثلاثة أرباع تراثنا الشعري، ونمسحه تماما، ولولا ضيق المقام لقدمنا عشرات النماذج التي تتقارب مع ما غناه الموسيقار العظيم، وتساير المعاني التي شدا بها.. ومن عجب أن مثل هذه الاتهامات لا تثار الا في العصر الحالي، ولم تتر على الإطلاق في عصور الحضارة الإسلامية الزاهية.. إن إثارة الموضوع في الوقت الحالي تدل على سقوط في التفكير والانحدار إلي ظلمات الجاهلية، والافتقاد إلي أي ذوق شعري أو فني أو غنائي، ونرجو أن تمر هذه المحنة التي هي من قبيل الإرهاب الفكري".


د. العشماوى

والإرهاب الفكري هو المصطلح نفسه الذي استخدمه ناقد كبير مثل رجاء النقاش في دفاعه عن عبد الوهاب، وإيجاد تخريجة نقدية لمعاني الأغنية وكان النقاش بارعا في تفسيره لها، حتى لقد وصل بها في النهاية إلي إعتبارها أغنية "إيمانية" وليست "إلحادية" كما جاء في عريضة الدعوى.

"من غير ليه" كما رآها النقاش: تعبر عن قلق نفسي يمر به كل إنسان على هذه الأرض، وهو قلق مشروع، لأن الموت، تلك النهاية المحتومة تثير في النفس كثيرا من الخوف والإشفاق والقلق، والفن هو تعبير عن تلك المشاعر الصادقة.

الأغنية إذن وما بها من تساؤلات لم تكن كفرا ولا إلحادا، بل إن عبد الوهاب نفسه هو آخر من يمكن توجيه هذا الاتهام له



"فالكافر الملحد غليظ وفظ وبعيد عن أي رقة وشفافية ولطف في الشعور والإحساس، ولم يكن عبد الوهاب من هذا الطراز من الناس، بل كان على العكس فنانا محبا للحياة مقبلاً عليها... ولا يمنع ذلك كله من أن يحس الفنان الكبير بالمشاعر الطبيعية الأخرى مثل القلق والخوف والتأمل الصافي في المصير النهائي للإنسان، وليس في هذا كله شيء يبرر لأصحاب العقول الضيقة المغلقة بأن يتهموا عبد الوهاب بالكفر، وليس في ذلك ما يبرر لدعاة الإرهاب أن يهددوه بالقتل".

بعد تلك الحيثيات الوافية، أغلق ملف القضية، التي كانت سابقة فريدة من نوعها في تاريخ الغناء العربي، إذ أنها المرة التي يدخل فيها مطرب إلي ساحة المحكمة متهما بالإلحاد بسبب أغنية...!

أغلق ملف القضية جنائيا، ولكنه لم يغلق نقديا، فقد ظل عبد الوهاب متهما في نظر عدد لا بأس به من المتدينين ورجال الدين، بمن فيهم أصدقاء له كالشاعر الكبير أحمد شفيق كامل، الذي سألته في سياق حوار طويل عن تجربته مع عبد الوهاب نشرته بجريدة "القاهرة" ضمن ملف موسع عن الموسيقار الكبير في ذكراه الرابعة عشر مايو(2005)، فكانت إجابته صادمة.

الشاعر الذي شارك عبد الوهاب مجده مع أم كلثوم، فكتب ثلاث أغنيات من أجمل ما جمع بين حنجرة ثومة وألحان عبد الوهاب (أنت عمري 1964، أمل حياتي 1965، ليلة حب 1972)، هاجم عبد الوهاب بعنف عندما سألته عن موقفه من الجدل الذي حدث حول "من غير ليه"، إذ اعتبرها "قلة حياء" وتجاوز لا يليق من موسيقار كبير، وتجديف في الدين لا يصح، وبعد أن حسم القرآن الكريم القضية في قوله تعالي "وما خلقت الجن والأنس ألا ليعبدون"، ليس من حق أحد أن يتساءل في ظل هذا الحسم الإلهي: جايين الدنيا ما نعرف ليه؟!

ورغم الحب الكبير، والتقدير الهائل الذي يكنه شاعر "أنت عمري" لملحنها، حيث يعتبره أعظم ملحني الشرق، إلا أنه لم يشفع له عما اعتبرته "سقطة" لا تغتفر!

وللشيخ الغزالي مقال ضمنه كتابه "قضايا المرآة بين التقاليد الراكدة والوافدة"، يحمل عنوان فنانون تائهون، أشار فيه إلي غضبه الشديد من عبد الوهاب بسبب تجاوزاته الدينية في أغانية، وبينهما "من غير ليه".. انقل عن الشيخ الجليل هذه السطور العنيفة الساخرة: "الكلمات الماجنة عندما يغنيها فنان مشهور تفتح بابا واسعا من أبواب الانحلال والرزيلة، ومن زمان غير قريب غني عبد الوهاب أغنية "الدنيا سيجارة وكاس" فكان لها في النفوس أسوء وقع، ثم صدر قرار بمنعها.

ولكن أصوات التغزل في الخمر لا تزال تسمع، ففي أغنية كليوباترا يردد الفنان المنتشي مثنى وثلاث "ليلنا خمر"!! ويصف الحبيب التائه الذي يبحث عنه بأنه "أسمر الجبهة كالخمرة في

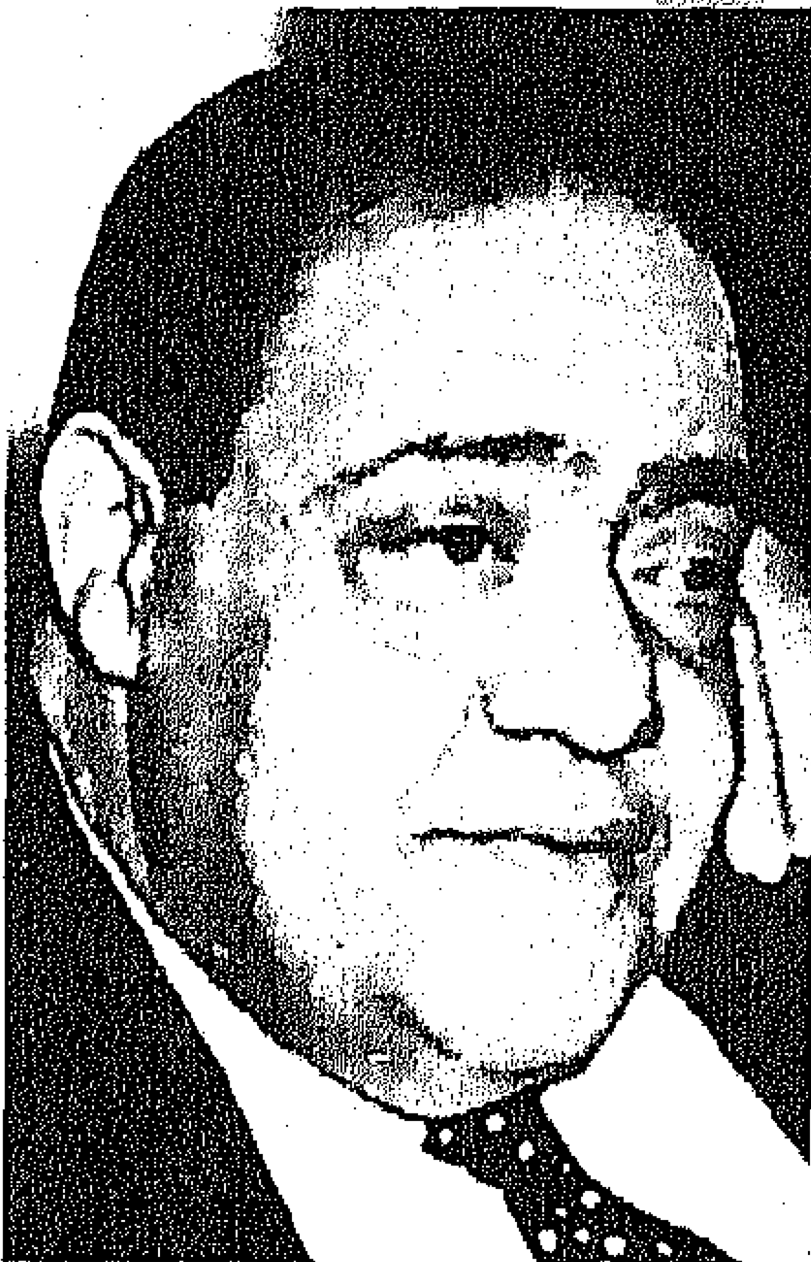
النور المذاب".

وقبل أن يموت كامل الشناوي قدم لعبد الوهاب أغنيته التي يقول فيها: قدر أحمق الخطى.. وهذا الكلام طبعا من دلائل الإيمان العميق!! كما أن من دلائل الإيمان التغني بكلمات الشاعر المهجري (يقصد إيليا أبو ماضي) جئت لا أعرف من أين أتيت / ووجدت قدامي طريقا فمضيت ! أو كما قال الشاعر التائه! وهو المعني الذي ردده عبد الوهاب في أخر أغانيه باللغه العامية: جايين الدنيا ما نعرف ليه / ولا رايحين فين / ولا عايزين إيه! ويعلق الشيخ الغزالي بمرارة: وإذا كان الفنان المصري لا يعرف لماذا جاء؟ وماذا عليه أن يفعل؟ فإن الفنانين اليهود يعرفون جيدا الإجابة على هذه الأسئلة. ويسحقون تحت نعالهم أماني العرب في حياة حرة كريمة، ويمضون إلي غايتهم وحملة الأقلام الصاحية يشجعونهم.. أما العرب فإن سماسرة الغزو الثقافي يتحركون في صفاقة نادرة لتشجيع الفن الخليع، وتضليل سعي الأمة الحيري" ثم يختم مقالة بتلك العبارة القارصة: إن الميدان الفني في العالم العربي خبيث التربة مختل الموازين، إلا من عصم الله.. والغريب أن يحدوه في طريقه حملة أقلام تحالفوا مع الشيطان على حرب الإسلام ونسيان الله و الشعب على كل جديد نقى وعلى كل قديم زكى، لأنهم تحت عنوان العلمانية يتآمرون على قتل أمة، تنشد الحياة في ظلال الإيمان والتقوى.. بعيدا عن الإلحاد والعهر!!


الشيخ الغزالى

تلحين القرآن

أنتهي كلام الشيخ الغزالي، ولكن لن تنتهي حملات الهجوم الديني على عبد الوهاب، إذ تتجدد كل حين، وتبقي أغنية "من غير ليه" الهدف الثمين المضمون الذي تتوجه إليه سهام المشايخ! وإذا كان عبد الوهاب ومحاموه وعشاقه قد نجحوا ببراعة في دفع تهمة الإلحاد عنه، وتفنيدها والرد عليها والحصول على براءة رسمية علنية له عن طريق القضاء، فإن هناك تهمة أخرى ظلت تطارده طوال حياته وحتى بعد رحيله - في مايو -1991 وتمثل فصلا أخر من صدامه مع رجال الدين.


كامل الشناوى

التهمة هي "تلحين القرآن"، حيث أن هناك شهودا على نية عبد الوهاب ومشروعه في تلحين بعض آيات القرآن. قبل رحيله سألت المؤرخ الموسيقي و الملحن القديم عبد الحميد توفيق زكى وكان صديقا لدودا لعبد الوهاب عن حقيقة هذا الاتهام فقال: هناك ثلاثة ملحنين حاولوا تلحين القرآن هم الشيخ سيد درويش، والشيخ على محمود، وعبد الوهاب. أما سيد درويش فقد كان مقرئا للقرآن في بداية حياته وقبل أن يتفرغ للتلحين والغناء، وكان يصاحبه أثناء التلاوة عازف على آلة الكمان حتى لا يخرج عن الإطار السليم للقراءة. وقد حاول الشيخ على محمود أيضا أن يلحن القرآن، وكان أول من أدخل الموسيقى إلى الإنشاد الديني

والتواشيح. أما عبد الوهاب فقد قام بتلحين سورة "الضحى" لتغنيها السيدة أم كلثوم. إلا أنه تراجع عن إخراج التجربة للنور، بعدما شعر أنها ستفتح عليه أبواب الجحيم وعاصفة من الاعتراضات من جانب شيوخ الأزهر.."

وكان الشيخ صالح أمين تلميذ عبد الوهاب أكثر جراءة منه، عندما أقدم بالفعل على تلحين القرآن، وعرض تجربته في صالون العقاد الذي كان يعقده الكاتب الكبير أسبوعيا في بيته ويدعو إليه ألمع الكتاب والمثقفين في عصره، وأعجب العقاد بالفكرة، وحاول أن يبررها فقهيا فكتب يقول: إن أي قراءة سليمة للقرآن مشتملة على أحكامه هي قراءة صحيحة. إلا أن أحد شيوخ الأزهر الكبار وقتها وهو الشيخ محمد أبو زهرة تصدى للتجربة بعنف، وكاد يكّفر مرتكبها، الذي لم يجد مهربا من الهجوم سوى الهجرة خوفا من أن تتفاقم حملة الهجوم وتقوده إلى المحاكمة والسجن، فهاجر إلي الكويت حيث عمل مدرسا للموسيقى، برفقة صديقه العزيز الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل، الذي كان قد سبقه إلى هناك.


الشيخ ابو زهرة

ووقتها أصدر مفتي الديار المصرية الشيخ حسن مأمون فتوى قاطعة يحرم فيها تلحين القرآن جاء فيها: إن قراءة القرآن تلقيناها متواترة عن المشايخ كافة، جيلا بعد جيل إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم، وليس فيها تلحين ولا تطريب، ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، فترجع الألف الواحدة ألفات وترجع الواو الوحدة واوات، فيؤدى ذلك إلى زيادة في القرآن، وذلك ممنوع ومحرم تحريما قاطعا. علاوة على ذلك يقتضينا البحث العقلي أن نقول بمنع الغناء بالقرآن وتلحينه تلحينا موسيقيا وإسماعه للناس من المقرئين مصحوبا بالآلات الموسيقية كما يسمعون قطعة غنائية، فإن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين أنزله الله على رسوله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ولم ينزله ليطرب به الناس أو ليتغنوا به كما يطربون ويتغنون بكلام البشر... وسماع القرآن كما تسمع الأغاني يجعله أداة لهو وطرب"


الموجى

"ويجب على علماء المسلمين ومفكريهم والحريصين على أن تستقيم أمور دينهم أن يقفوا وقفة حاسمة يمنعون بها كل من تحدثه نفسه بأن يقرأ القرآن ملحنا تلحينا موسيقيا، ويتغنى به كما يتغنى بقصيدة من القصائد، حتى يدفعوا عن كتابهم شرا مستطيرا يوشك أن يقع به.."

ومع ذلك ورغم تلك الفتوى القاطعة إلا أن الفكرة ظلت تراود عبد الوهاب، وتلح عليه،وتطل برأسها، وتداعبه كل حين، وكان من رأيه أن آيات القرآن تنبعث منها موسيقي ساحرة وأنغام آسرة، وغناؤها سيقربها من البسطاء الذين لم ينالوا حظا من التعليم.

وظلت محاولات عبد الوهاب في هذا الصدد سرية، حبيسة الجدران، وجلسات الأصدقاء، وبينهم الموسيقار محمد الموجي

الذي أكد أنه استمع إلى تجارب عبدالوهاب "في تلحين القرآن ووجدت أن الأمر لا يعدو مجرد ترتيل للسورة بلا آلات أو خروج عن الأحكام المتعارف عليها بين القراء، بل إنه قرأها بنغمة جميلة يطرب إليها السامع، فالصوت الجميل والقراءة السليمة والتنغيم في مقامات التجويد كلها أمور تساعد علي جذب الناس للقرآن الكريم ولا تصدهم عنه"

وكان إحسان عبد القدوس من المشجعين لعبد الوهاب على خوض تلك التجربة، وإظهارها للنور، وكتب إحسان بصراحة مطالبا الإذاعة أن تسمح للمطربين بترتيل القرآن، وللمقرئين بالغناء، وقال بالنص: اعتقد أن الفن لا يتعارض مع الدين، فالفن هو أسمي شيء في الوجود.. إن تجويد القرآن نفسه يتطور، لقد أصبحت هناك آيات يؤديها المقرئ بطريقة قريبة جدا من التلحين القديم أو التلحين الشرقي الأصيل، والمقرئ كثيرا ما يحلو له وهو يرتل القرآن أن يظهر جمال صوته بنغمات أقرب إلى الغناء منها إلي التجويد.. والشيخ عبدالباسط عبدالصمد ما سمعه أحد وهو يرتل القرآن بصوته العذب إلا وقال عنه: انه يغنى.. هذه البحة التي في صوته إنما هي بحة مطرب"

وأضاف إحسان: "لقد جمعتنا جلسات كثيرة مع مقرئين ومطربين، فغني المقرئون ورتل المطربون، وكان النجاح حليفهم، إنني من قبل طالبت بتلحين القرآن، وطالبت الإذاعة بأن تسمح للمطربين بترتيل القرآن، وأنا اليوم لا أجد غضاضة في أن أطلب من الإذاعة أن تسمح للمقرئين بالغناء، وليكن مبدئيا كما يقدم الشيخ محمد الفيومي، لقد كنا نسمع الشيخ على محمود وهو يرتل القرآن وبعدها بربع ساعة يجلس وسط تخته الموسيقى ليغني.. وكان بديعا".



الشيخ الباقورى

وتحمس عبد الوهاب للدعوة، وسرب أخبارا إلى الصحف بأنه بدأ يلحن آيات من القرآن، ليجس نبض رجال الدين، ويقيس رد فعلهم، وجاءت النتيجة سلبية عاصفة، إذ قاد الشيخ الباقوري جبهة المعترضين، وكان الباقوري وقتها مديرا لجامعة الأزهر وله سطوة في الشارع المصري وشعبية تجعل عبد الوهاب يتردد ألف مرة في أن يتحداه أو يقف في وجهه.

المتشددون من رجال الدين طالبوا عبدالوهاب بالتراجع فورا، أما الأكثر سماحة فقد طالبوا فقط بالتخلي عن الآلات الموسيقية، واشترطوا الموافقة على التجربة وعدم استخدامه للموسيقى، ولما وجد عبدالوهاب أن موجة الاعتراض أقوي، وأن الشرط الذي وضعه المستنيرون يبعده عن فكرته الأساسية قرر أن يتراجع، مثلما تراجع موسيقار كبير أخر هو رياض السنباطي الذي اعترف في حوار له نشرته الصحافة المصرية في 12 ابريل 1975 أنه فكر مع أم كلثوم في تلحين القرآن لتغنيه بصوتها، ولحن بالفعل آيتين من سورة الرحمن، أدتهما أم كلثوم أمامه، ولكنه شعر بعدها أن جمال القرآن وجلاله في أن يرتل كما هو دون أن يجعل



احسان

له أي بناء لحني، فالمقرئ مرتجل، وعلى ذلك فإنه يختلف تماما عن الملحن الذي يلتزم بمقامات وقواعد موسيقية.

تراجع عبدالوهاب إذن، ولكن من أصدقائه من يؤكد أنه أقدم علي أن يسجل سورا من القرآن مرتلا بصوته علي أشرطة في استديو مصر.. ولكن عبدالوهاب أخفاها ولم يظهرها، ولم يستدل لها على أثر بعد رحيله، والذين استمعوا إليها قالوا إن عبدالوهاب كان يرتل القرآن بأسلوب وقراءة عصرية جميلة، حافظ فيها على أحكام التلاوة وقواعدها..

اختفت أشرطة الترتيل كما اختفي لحنه لسورة "الضحى".

وبقي السؤال: هل فعلا كان عبدالوهاب ينوي تلحين القرآن؟! إن دليلا ملموسا واحدا لم يظهر للنور، وبقي الاتهام في إطار الشواهد والتساؤلات.. فهل خاف عبد الوهاب من مواجهة رجال الدين.. أم أخفي كما قال صديقه محمد الموجي محاولات تلحين القرآن. خشية أن تصيبه لعنة السماء.. وغضب أهل الأرض؟!



يحيا الحب

ذكرى..

بين التكفير والهجرة!



صوتها وحده كان كفيلا بأن يمنحها الشهرة.. وموهبتها بمفردها كانت كافية لأن تغدق عليها الأضواء.. ولكن الشهرة والأضواء جاءتها من حيث لا تحتسب، ولأسباب غير طبيعية، أو قل غير فنية، بداية من دخولها الوسط الغنائي وتدشينها كمطربة جديدة "وافدة"، حيث ارتبط هذا الدخول بمقولات راجت، وتفسيرات سادت وذاعت عن أنه "نكاية" ليس إلا، وخطة من "صانعها" الموسيقار هاني مهني ليضرب بها "طليقتة" المطربة سميرة سعيد، فلم يجد أفضل من أن يستقدم موهبة أخرى، وصوتاً واعداً من نفس موطنه، عسى أن يطغى الصوت الصاعد، ويسحب البساط والأضواء، فيكون في ذلك رداً للصفعة، وذهاباً للغيظ الذي خلفه الانفصال المؤلم عن صنيعته السابقة.

وهكذا دخلت ذكرى الوسط الغنائي بوصفها صنيعة هاني مهني "الجديدة" لضرب "القديمة".

وحتى لو لم يكن ذلك صحيحا، وحتى لو نفى هاني مهني تلك "التهمة" بإصرار، وحتى بعد أن أقسمت ذكرى بأن ذلك محض افتراء، وقالت علانية " حكاية إن هاني مهني أتى بي ليضرب سميرة سعيد غير صحيحة، لأن هاني عندما قدمني في حفلة صغيرة كانت سميرة لم تنته بعد من شريط "أنت حبيبي" مع هاني ،وكانت تحضر الحفلة، وقالت لي بالحرف "أنتي عقدتينا" وهي جملة تعبر عن الحب والتقدير، ومن الصعب أن يقولها مطرب لآخر إلا إذا كان معجبا به حقا، وبعدها وقفت سميرة إلى جواري وساندتني في بداية مشواري، وقالت لي بالحرف: إن الشمس عندما تطلع فلا أحد يستطيع أن يحجبها ".

نقول إنه رغم ذلك النفي وزيادة ، فلا يمكن أن ينكر أحد أن تلك الظروف التي تختلط فيها الحقائق بالشائعات، والأخبار بالنميمة ساعدت على ذيوع اسم "ذكرى"، في ظل جمهور يعشق النميمة وينصت لها، ويصدقها بسهولة، ولا يمكنك أن تمحوها من ذاكرته، أو تهز قناعته بها، ولو حلفت له بأغلظ الإيمان.

وكما كان "الدخول" غير طبيعي، كان الخروج كذلك.. نهاية مأساوية دامية مدوية، منحتها شهرة طاغية، وذكرى باقية، لكم تمنى عشاقها أن تحصدها بأغانيها و بموهبتها وبحنجرتها.. وليس بدمائها، التي أسالتها 26 رصاصة من بندقية زوجها رجل الأعمال أيمن السويدي، في مذبحة مروعة هزت القلوب، ووقعت أحداثها فجر الجمعة 28 نوفمبر 2003، وشهدت تفاصيلها جدران الشقة الفاخرة الكائنة في الطابق الأول من العقار رقم 23أ بشارع محمد مظهر بحي الزمالك الراقي، ولم تكن ذكرى هي الضحية الوحيدة، بل كانت رابع أ ربعة تناثرت أشلاؤهم على الباركية اللامع، بعد أن حصدت رصاصات الزوج الثائر أرواح زوجته ومدير أعماله وقرينته، ثم أطلق النار على نفسه ليرقد بجوارهم، وتدفن في جوفهم وفي قبورهم أسرار تلك المجزرة التي سار بذكرها الركبان..!



نهاية تليق بذكرى وشخصيتها "الإغريقية" إذا جاز الوصف، وتتناسب مع حياتها غير " الطبيعية " فالمتأمل لتلك الحياة يشعر أن المقادير كانت ترفض بقوة أن تمنحها الظروف التقليدية الهادئة للصعود، وتصر على أن تضعها دائما وسط العواصف والأزمات.

فبمجرد أن تفتحت موهبتها، وتملكتها الرغبة العارمة في الغناء، وقررت أن ترهن مستقبلها له حتى فوجئت بثورة " الأم " وغضبها الساطع، ورفضها أن تحمل ابنتها لقب "مطربة"، وكأن قلب الأم كان يستشعر المصير الخفي الذي ينتظر ابنتها، وتحاول أن تبعدها عن الوصول إلى " الدوامة ".. وطريق الهلاك.



بليغ

وبمجرد أن خطت ذكري خطوتها الأولي في طريق الفن، حتى فوجئت من جديد بأزمة من صنع المقادير المتربصة: اتهام علني لها بالسرقة، بعد صدور ألبومها الأول، الذي حمل أغنيتين من ألحان بليغ حمدي، هما "زى الزمان" و "ياوابور"، ورغم شدة فرح ذكري بهما، وباقتران اسمها بموسيقار في قامة بليغ، إلا أن الفرح تحول إلى كابوس، بتوجيه الاتهام لها بسرقة اللحنين، وقيامها بتسجيلهما دون إذن من صاحبهما، الذي كان قد جاء تونس في زيارة خاطفة،وبهره صوت ذكرى، ومنحها اللحنين إعجابا، وطار وحده، بعد أن اعتذرت عن عرضه بمرافقته إلى القاهرة، لان ظروفها المادية لا تسمح بالإقامة فيها، ولا تملك حتى تكاليف تذكرة السفر..!

وكانت ورطة، لم ينقذها منها إلا بليغ نفسه، الذي عاد إلى تونس ليحل ضيفا على برنامج شهير، كان يقدمه الإعلامي المعروف الراحل نجيب الخطابي، اسمه "ألوان وأذواق"، وعلى مسمع الشعب التونسي كله أعلن بليغ أنه هو الذي منح اللحنين لذكري، وصرح لها بغنائهما، وهاجم الذين اتهموها بالسرقة دون الرجوع إليه... وخرجت ذكرى منتصرة، بعد أن عاد إليها اعتبارها، وتضاعفت سعادتها بعد أن وضع القدر في طريقها

الموسيقار هاني مهني، الذي شعر بحس الخبير إنه أمام "جوهرة" لا يمكن التفريط فيها، فتبناها ورعاها، وأقنعها بالحضور إلى مصر، وأنتج لها الألبوم الذي كان وش السعد عليها "وحياتي عندك"، الذي اعتقدت أن الزمان صالحها بنجاحه، وأنها ودعت به الأيام الصعبة، فإذا القادم هو الأصعب والأخطر. عادت المقادير لتكشر عن أنيابها، وتضعها وسط العواصف من جديد وهذه المرة وجدت نفسها أمام أزمتين واتهامين متناقضين. وفى بلدين مختلفين.

الأولي في بلدها تونس، حيث ثارت ضدها حملة تتهمها بأنها تخلت عن "تونسيتها"، ونسيت أن والدها كان مناضلا وطنيا، ورفيقا لبورقيبة، ومن الجيل الذي حمل راية الاستقلال والتحرير، فكيف تأتى إبنته بعد هذا العمر وتغنى باللهجة المصرية؟! وكان هناك من ينفخ في النار، ويسكب عليها ما يزيد وهجها، فأثمرت الحملة، وصدر قرار بمنع ذكرى من الغناء فى تونس.

وتظلمت ذكرى وصرخت، وتعاطف معها الفنانون التوانسة الكبار، ورأوا في القرار ظلما بينا، ومحاولة لاغتيال صوت جميل مع سبق الإصرار والترصد.

وما كاد الظلم يرفع عنها، حتى وجدت ذكرى نفسها متهمة في مصر بنكران الجميل، وتشويه الغناء المصري ورموزه، وخيانة الجماهير التي إحتضنتها ورحبت بها وانطلقت منها، وتعالت الأصوات مطالبة بمنعها من الغناء في مصر بحجة إهانة المطربين المصريين.

وأصل الحكاية أنها ظهرت ببرنامج على قناة "الأوربيت"، وكان من بين الأسئلة التي وجهت لها سؤال عن رأيها في الدويتو بين محمد منير وخالد عجاج، وهو دويتو كان يلقى نجاحا كبيرا وقتها (2001) ويذاع كل عشر دقائق على شاشات التليفزيون المصري، فأجابت ذكرى إنها لم تشاهده، وقالت أراء فسرت على أنها سخرية وتهكم من المطربين المصريين، وأمام صيحات الغضب وجدت ذكرى نفسها "مطربة غير مرغوب فيها" من الإعلام المصري، واختفت أغانيها من شاشاته وإذاعاته، وسلقتها صحفه بألسنة حداد، ولم ينقذها ألا رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون وقتها المهندس عبد الرحمن حافظ، الذي تصادف أن شاهد الحلقة على الهواء مباشرة، ولم يجد في كلام ذكرى عن المطربين المصريين ما يدعو للغضب.. والمنع، فأفرج عن أغانيها، ومنحها صك البراءة، وردت ذكرى التحية بأحسن منها، وخرجت لتعلن على صفحات الصحف المصرية " لا صحة إطلاقا لهذا الكلام... ودعونا نتكلم بالمنطق، هل من المنطق أن أكون في مصر صاحبة الفضل عليّ وأعيش بين أهلها، ثم اشتمها.. هذا كلام غريب ".

ولأنها خُلقت للعواصف، كان عليها أن تخوض معركة جديدة مع صانعها - هاني مهني - وصلت إلي المحاكم، متهمة بمخالفة

هاني مهني



العقد المبرم بينهما، وتوقيعها لشركة إنتاج أخرى أغرتها بالمال، وأنستها فضل الرجل الذي صنعها، ولم تكن قبله شيئا مذكورا، وصدر ضدها حكم بالحجز على سيارتها وممتلكاتها، ولم تجد أمامها إلا الطريق الودي لحل الخلافات، فتم الصلح وتسوية الأمور، ليتحول هاني بعد شهور من خصم إلي نصير قوى في أخطر أزمة صادفت ذكرى في مشوارها، أهدر فيها دمها، وطاردها اتهام بالكفر، وهي قصة تستحق أن تروى بتفاصيلها.

في يوم بارد من شهر يناير عام 2002 كانت ذكرى تهبط سلالم الطائرة الرابضة لتوها بمطار الدوحة الدولي، مرتدية ملابس شتوية ثقيلة، ونظارة شمسية سميكة، ومع ذلك تعرف عليها الناس بسهولة، والتفوا حولها يهنئونها بسلامة الوصول، وراحت هي توزع عليهم الابتسامات والتحيات وعبارات المجاملة، وتحرضهم على حضور حفلها بمهرجان الدوحة الثالث للأغنية، التي جاءت بدعوة منه.

وفي الساعة الثالثة والنصف بعد ظهر يوم الحفل غادرت ذكرى غرفتها بالفندق الذي تقيم فيه، متجهة إلي قاعة المؤتمرات بالاوتيل الفخم، لترد على أسئلة الصحفيين في مؤتمر صحفي تقليدي، اعتادت إدارة المهرجان أن تعقده لكل نجومه ونجماته.

وسارت الأمور طبيعية، وردت ذكرى على الأسئلة في مرح وشقاوة وتعالت ضحكاتها وقفشاتها، وهي تجيب عن أسئلة خفيفة شقية عن حياتها الشخصية، وإضرابها عن الزواج، والألوان التي تفضلها، ووزنها الزائد وحبها للشيكولاتة وخوفها من السينما، إلي أخر تلك الأسئلة التي اعتادتها من الصحافة على امتداد الوطن العربي وفي كل بلد تذهب إليه.. وحتى عندما دخلت الأسئلة في الجد لم تفقد ذكرى مرحها وألقها، وراحت تسمع في إنصات وعلى وجهها ابتسامتها الطفولية:



لماذا يهاجر مطربو المغرب العربي دائما ويرحلون عن بلدانهم تجاه القاهرة والخليج؟!

وبعفوية أجابت:

كلنا يعرف أن مصر هي هوليود الشرق، وفيها الشهرة والأضواء ولابد أن نعترف إنها مانحة النجومية، ولوظللنا في بلادنا لن نحصل إلا على شهرة محلية خافتة، ولن يعرفنا الجمهور العربي مهما كانت مواهبنا!

وأضافت ذكرى بنفس العفوية: ثم أن الهجرة مفيدة وضرورية أحيانا،ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فقد حثنا على الهجرة ورغبنا في السفر وفوائده السبع معروفة"

واستفزت الإجابة صحفيا سعوديا فقام يسألها بحدة:

كيف تشبهين نفسك بالنبي صلى الله عليه وسلم؟!

أدركت ذكرى أن كلامها أسيىء فهمه، ولم يصل المعنى الذي قصدته فحاولت أن تتدارك الموقف بسرعة وقالت:

أعوذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.. ومين يجرؤ على أن يشبه نفسه بالنبي.. إن سؤالك غريب ومريب وفيه تحريف.. يا أخي إننا نتحدث عن هجرة الفنانين من بلاد المغرب العربي. وكنت أفسرها من وجهة نظري، وأوضح أسبابها ودوافعها!

وتدخل تيسير عبد الله مدير الندوة لينزع فتيل الأزمة الطارئة، ويأخذ الحوار بعيدا عن هذا التوتر غير المتوقع، ولكن الصحفي السعودي تمادى:

أريد التوضيح منها هي!



وكظمت ذكرى غيظها وهي توضح: يا أخي أنا لم أقصد النبي كشخص وصاحب رسالة، لكنى أتحدث عن الهجرة كقضية وضرورة.. فلا تحمل الأمور أكثر مما تحتمل!

وأحست ذكرى أن هناك فخا منصوب لها، والغرض منه أن تخطيء وتخرج عن الصواب، وأن هناك من يصطاد لها أي كلمة شاردة ليعمل من الحبة قبة، أو بنص تعبيراتها عندما اشتعلت الأزمة وحملت الأمور أكثر مما تحتمل، وخرجت من إطار قاعة المؤتمرات لتملأ العالم العربي.. " شعرت أن صاحب السؤال كان متحاملا عليّ طوال المؤتمر، وشعرت ومعي كثيرون أنه يجرني إلي منطقة مظلمة أو يضعني في خانة غريبة.. فقد سألني مثلا عن رأيي في المطربات الخليجيات فأجبته، وإذ به يطرح عليّ أسماء لمطربات بعينهن فامتنعت عن الرد، وسألته: هل تريد رأيي أم تفرض عليّ رأيك؟! .. لحظتها لم انتبه إلي أنه يمكن أن يكون مدفوعا من أحد، لكن بعد أن تدهور الموقف بصورة لم أتوقعها بدأت افترض سوء النية وأتساءل - لأنني بشر - عما إذا كانت "فلانة" هي التي تقف وراء ما حدث؟!"

"وفلانة" التي تقصدها ذكرى هي المطربة الإماراتية " أحلام "، ولم يكن خافيا على أحد حرب التصريحات المستمرة بينهما في تلك الفترة على صفحات الصحف والمجلات، بعد أن أعلنت " أحلام " صراحة إمتعاضها من غناء ذكرى باللهجة الخليجية، وإن عليها أن تتراجع فورا، لأنها دخلت في منطقة ليست لها، وهو ما فسرته ذكرى عندما اضطرت للرد بأن رأى " أحلام " لا يخرج عن إطار " الغيرة " الفنية، والهلع من الشعبية التي اكتسبتها ذكرى بين الجماهير الخليجية، ولكنها لم تتوقع أبدا أن تتحول المنافسة والغيرة الفنية إلي "حرب غير مشروعة أو غدر ينتهي إلى إهدار حياة بنى أدم"

انتهى المؤتمر، وانتهى الحفل، وانتهت الزيارة، وغادرت ذكرى بعدها إلي الكويت لتشارك في مهرجان " هلا فبراير " السياحي السنوي، ومن فرط الإرهاق ومشاق السفر نامت ذكرى طويلا بمجرد وصولها الكويت، حتى فوجئت بمدير أعمالها يوقظها من نومها ويقطع عليها خدرها اللذيذ ويخبرها وأمارات الاضطراب على وجهه:

هناك فتوى من شيخ سعودي بتكفيرك!

استمعت " ذكرى "إلي العبارة وهي بين النوم واليقظة، ولم تدرك مغزاها ولا خطورتها، ولما استعادتها عندما أفاقت اكتشفت أنها وسط حريق هائل وهي لا تدرى.. وسرعان ما جاءتها التفاصيل المرعبة: القاضي السعودي د. إبراهيم الخضيري أصدر فتوى بإهدار دمها، بتهمة الإساءة للنبي صلي الله عليه وسلم، وكانت حيثياته إن تشبه ذكرى لنفسها بالنبي ولو في المعاناة أمر لا يليق، وتجاوز متعمد، وإهانة للنبي تستوجب القتل.

وتناقلت وكالات الأنباء الفتوى " الدموية "، ومطالبة القاضي السعودي للمطربة التونسية بأن تتوب توبة نصوحا وإلا وجب إهدار دمها بموجب هذا الحكم القضائي الصادر من قاضي مسلم عدل ثقة.



ولأن هذه الأزمات لا تعدم من يسكب الزيت ليؤجج نيرانها، وينال من أضوائها، ولو على جثث الضحايا، فقد تقدم أحد المحامين المصريين بدعوى قضائية مستعجلة أمام محكمة جنح عابدين يختصم فيها وزيري الأعلام والداخلية، ويطالب في عريضة دعواه بمنع "المطربة الكافرة" من دخول مصر، ومنع أغانيها من الإذاعة بكافة الوسائل، عقابا لها على "إهانة النبي" !!

لم تهتز ذكرى في البداية، وقابلت الأزمة بنوع من التحدي، ورفضت دعوة القاضي السعودي باستتباتها وقالت بصلابة: " أرفض التوبة، لأنني لم أخطىء أو أكفر لكي أعلن توبتي، فأنا مسلمة وابنة عائلة تونسية مسلمة أبا عن جد، وأسمى ذكرى محمد، والكل يعرف أنني شديدة التمسك بتعاليم ديني الإسلامي، ولكنني لست مطالبة بالجهر بذلك في كل وقت لأثبت أنني مسلمة. ولهذا فما يحدث هو جنون.. فمجنون من يشبه نفسه بشخص النبي صلى الله عليه وسلم، ومختل عقليا من يصدق أنني قلت ذلك"

وجاءت المحطات العالمية لتغطى أنباء وأصداء " معركة التكفير " ، وكان ما أغضب ذكرى أكثر من التكفير نفسه ما رددته محطة أل B.B.C من أن الأزمة مفتعلة و"مفبركة" ومصنوعة بالاتفاق بين الصحفي السعودي وذكرى بهدف الترويج لألبومها القادم، وتحقيق شهرة عالمية.

وهو ما أستفز ذكرى بشدة، وجعلها تتساءل باستنكار ممزوج بمرارة: " وهل أجازف بحياتي لكي أصبح مشهورة؟! وبماذا ستفيدني الشهرة إذا فقدت حياتي ".

وأقسمت ذكرى أنها لا تعرف الصحفي الذي أثار الأزمة وأشعلها، وأن هناك من يتربص بها، وما يحدث هو خطة مبيتة لتشويهها والنيل منها.

وتفاعلت الأزمة، وراجت الفتوى، وتسرب الخوف إلي قلب ذكرى، وساورتها الظنون بأن أحد المهاويس يمكن أن ينفذ الفتوى، ويطعنها بسكين ، كما حدث مع نجيب محفوظ، ظنا من الجانى أنه يدافع عن دين الله، ويقتل جهادا عن نبيه.

وراودتها فكرة الهروب، والنجاة بنفسها من تلك الورطة، والخروج من دائرة الجحيم.

وغازلتها اتصالات الأصدقاء في أوربا: تعالي إلينا. في فرنسا ستكونين في أمان. إنفدي بجلدك.

واعترفت ذكرى بأنها كانت على وشك القبول، والموافقة على الفرار: "فور وقوع الأزمة وصدور الحكم بجواز قتلي وإهدار دمي ، جاءتني اتصالات هاتفية من بعض أصدقائي خارج الوطن العربي، وفوجئت بهم ينصحونني بمغادرة مصر والسفر إلي فرنسا للإقامة هناك، وترددت قليلا، ثم رفضت الفكرة".

ورفضت ذكرى كذلك فكرة من شقيقتها وداد التي كانت ترافقها منذ مجيئها إلى مصر، بالعودة إلى تونس.. بلدها، فلا شك أنها ستكون أكثر أمنا، وأقل خطرا. وعادت ذكرى لتجلس في شقتها بالقاهرة، منتظرة ما ستأتي به المقادير، وإن كانت قد إستعانت بحراسة مشددة عليها بناء علي نصيحة الأصدقاء.

أياما عصيبة عاشتها، لا نوم ولا غناء ولا بهجة ولا إحساس بالأمان.



الشيخ فريد واصل



حتى جاء الفرج

فكما كفرها د. إبراهيم الخضري وأهدر دمها، لم تعدم رجل دين آخر أكثر سماحة، يقف إلى جوارها وينقذ رقبتها، دون أن تسعي إليه، أو تطلب منه ذلك.

رسالة عبر البريد الالكتروني وجهها مواطن عادي متابع للأزمة إلى مفتى مصر وقتها د. نصر فريد واصل، يطلب فيها رأيه في أزمة ذكرى والفتوى السعودية بإباحة دمها. وقدم مفتى مصر تفسيرا سمحا لكلام ذكرى ذهب به إلي أنه لا ينطوي علي سوء نية أو إساءة للنبي، حيث أكد أن الأنبياء والرسل هم أكثر الناس ابتلاء ومشقة في أداء رسالتهم، فإذا قال إنسان أن الرسول صلي الله عليه وسلم تعب وعاني وتحمل المشقة،وأنا كذلك تعبت وتحملت المشاقة، فإن وجه المقارنة هنا هو التعب والمشقة وليس التشبه بشخص الرسول نفسه ورسالته ، كما قد يسيء بعضهم فهم القضية" ، وواصل الشيخ واصل حيثيات براءته لذكرى: "وطالما نفت أو نفي الإنسان عن نفسه تشبيه نفسه بالرسول صلي الله عليه وسلم فهو بريء ولا يجوز تحريف كلامه أو مقصوده امتثالا لقول الرسول "إنما الأعمال بالنيات"

وهللت ذكرى لفتوى مفتى مصر، ووصفتها بأنها أنقذت بريئا قبل دقائق من إعدامه، وكان طبيعيا أن تشكر الرجل الذي أنقذ حياتها وتقول عنه: " أكبر دليل على نزاهة هذا الرجل - د. واصل - أنه لم ينتظر طلبا رسميا للنظر في الأمر لكنه بادر - كما علمت - بالرد على تساؤل فردى عبر الانترنت مما يبرهن على أن الدين الإسلامي أرقي الأديان السماوية وأعظمها، بل وأكثرها سماحة.

نزعت فتوى د. واصل فتيل الأزمة، وأعادت السكينة إلى نفسي ذكرى، ولكنها تركت فيها شروخا اعترفت هي بها: "لابد أن أراجع نفسي كثيرا، ولابد من الشك في كل ما يحدث أمامي أو يصدر عمن هم حولي في المؤتمرات الصحفية، فلن أسمح لأحد بأن يجرني إلى منطقة مظلمة، أو يحاول تأويل كلامي بالصورة التي يريدها، فالتحفظ أصبح ضرورة الآن بعد أن كدت أفقد حياتي بسبب تلقائيتي وكوني علي سجيتي، وعليّ أن أتغير بنسبة تسعين في المائة حتى ولو اقتضى الأمر أن افترض سوء النية مادام افتراض حسن النية كان "هيودينى في داهية".

وطبقت ذكرى بالفعل قرارها بافتراض سوء النية عندما سافرت إلى الدوحة في العام التالي (2003) مدعوة من المهرجان نفسه الذي تسبب في تكفيرها.

فرغم أنها وصلت إلى العاصمة القطرية قبل يومين من موعد حفلتها إلا أنها رفضت بحسم إجراء أي لقاءات صحفية، بل قطعت كل الطرق على إدارة المهرجان في تنظيم مؤتمر صحفي للصلح بينها وبين الصحفي السعودي الذي أشعل نيران الفتنة، وتسبب في تحريض القاضي السعودي على إصدار فتواه بإهدار دمها..!



خرجت ذكرى من الأزمة محبطة محطمة، واعتقدت أن المخرج منها، والطريق إلى إستعادة حيويتها وبهجتها، وشحن روحها المعنوية لا يكون إلا بزواج موفق، وزوج تضع همومها على كتفه، وتشعر في أحضانه بالأمان، وفى بيته بالحماية، وفى قلبه بالحنان.

وعندما قابلت رجل الأعمال الثري الوسيم صاحب السطوة والنفوذ والجاه اعتقدت أنه الرجل الذي تبحث عنه.. فأرست بسفينتها على موانيه، وظنت أنه القشة التي تنقذها من غرقها، فإذا بها تكتشف أن الميناء موحش، والقشة ما هي إلا سلك كهرباء عاري... صعقها بلا رحمة.

أنقذها المفتى من حكم بالإعدام، وحل رقبتها من على حبل المشنقة كما اعترفت، فإذا بها تذهب بقدميها وبكامل قواها العقلية إلى "المجزرة"!

في مدينة "قفصة" بجنوب تونس كان ميلادها عام 1961، وفى نوفمبر 2003 كان الرحيل.

وبين التاريخين 42 عاما من العواصف والأزمات والنجاحات والاحباطات والانتصارات عاشتها "العانس بنت محمد"، التي اشتهرت باسم ذكرى، تلك الشخصية "الإغريقية" المدهشة في صراعاتها مع الحياة، وسباقها مع القدر، وكأنها كانت منساقة إلى نهايتها المأساوية الدامية.

كفراشة ، هاجرت من موطنها منجذبة نحو أضواء القاهرة الساطعة، لتدفع ثمن الحب.. والموهبة والتكفير..والهجرة!

إهدار دم نجوى كرم بسبب كلب!



2 ابريل عام 1999

كان الوقت عصرا.. أجلس إلى الراديو المفتوح بجواري.. مؤشره على إذاعة لندن. ودقات بج بن الغليظة بما توقعه في النفس من رهبة تسبق نشرة الأخبار، يومها كانت الغارات الجوية التي يشنها حلف الناتو على القوات الصربية، وتطورات التدخل الدولي المسلح لإنقاذ مسلمي البوسنة تتصدر نشرات الأخبار، وحديث العالم. وتطغى على اهتمامات الناس.

أخبار الحرب في البلقان يقطعها تنويه ساخن عن تقرير من القاهرة يذاع خلال دقائق يتعلق بمنع المطربة اللبنانية نجوى كرم من دخول مصر، ورفض السلطات المصرية منحها تأشيرة الدخول، وإعادتها على الطائرة نفسها التي حملتها إلى مطار القاهرة.. ورفعت صوت الراديو قليلاً، وأرهفت السمع كثيرا انتظاراً لبث التقرير، الذي كان يوحى التنويه عنه أنه يحمل تفاصيل أكثر وأخطر.

ووجدتني أدون بسرعة على ورقة أمامي نص التقرير الذي بثته مراسلة أل بي. بي. سي في القاهرة يومها عزة محيى الدين: "منعت سلطات الأمن في مطار القاهرة الدولي المطربة اللبنانية نجوى كرم من دخول مصر، بعد أن كان نواب في البرلمان الاردنى قد طالبوا بمنع إذاعة أغانيها هناك، فضلاً عما قيل عن إهدار دم المطربة التي نفت أن تكون قد أساءت إلى الأديان السماوية.

وأكدت مصادر في مطار القاهرة الدولي أنه لا صحة لما تردد عن دخول المطربة إلى مصر، وذكرت أنه لن يتم لها دخول البلاد. واكتفت هذه المصادر بأن قالت بأن هذه المطربة المذكورة قد أساءت إلى مصر في وقت سابق، لذلك أدرجت على قائمة الممنوعين من الدخول، وفى هذه الحالة فإنه يتوجب الحصول على موافقة أمنية لدخول البلاد إلى جانب تأشيرة الدخول.

وأكدت مصادر من السفارة اللبنانية في القاهرة أن المطربة

المذكورة لم يسمح لها بدخول مصر، حيث كانت بعض المصادر الصحفية قد ذكرت أنها قد دخلت البلاد وغادرت بعد ساعات قلائل"

واختتمت مراسلة أل بي. بي. سي تقريرها الاخباري بتلك العبارة التي تحمل رأيا صريحا " ولكن على ما يبدو فإن السلطات المصرية أصبحت أكثر تشددا مع أي فنان تري أنه لا يجب أن يتمتع بحق الدخول لسبب أو لآخر، بينما كان الأمر في السابق أكثر سهولة، وكان يؤدي إلى انتقادات لما يسمى بتساهل مصر إزاء من يسيئون إليها".

انتهى التقرير، وبدأت في البحث عن تفاصيل وأسباب ومبررات وخلفيات كنت أعتقد أنها مهمة ، وتوضح الحقيقة التي تاهت وسط هذا التقرير المختصر المبتسر قليل المعلومات.

اهتم الشارع المصري - والعربي بالطبع - بتفاصيل الأزمة وتطوراتها، ففيها تجتمع كل المشهيات من دين وسياسة وفن وإثارة وغموض، كما أن بطلتها مطربة جميلة تطاردها الأضواء، حتى وإن كانت غير معروفة لقطاعات لا يستهان بها من الجمهور المصري، لأسباب تتحمل نجوى كرم النصيب الأكبر منها، لأنها اختارت الغناء باللهجة الشعبية اللبنانية، وأصرت عليها، رغم صعوبة بعض مفرداتها وعباراتها، مما أفقدها جزءا مهما من الجمهور، إعتاد على اللهجة المصرية وتعبيراتها وبساطتها.



وحتى عندما كانت نجوى كرم تتنازل مرغمة بدافع الوصول إلى هذا الجمهور العريض، كانت تعتبرها مجرد " نزوة ".، سرعان ما تكفر عنها بالرجوع إلى اللون "البلدي" كما تسميه.

وتفسر هي هذا الإصرار قائلة " أنا أؤدي الأغنية الشعبية القريبة من شخصيتي، ومن طبقة صوتي، وكانت سببا في شهرتي. وأنا لم أتخل يوما عن هذا اللون، ولطالما كان حاضرا في ذهني وألبوماتي كافة، غير إنني كنت أحيانا أميل إلى التنوع بعض الشيء من خلال أغنية أو أغنيتين كحد أقصي، ولإضفاء نكهة خاصة على العمل ككل في خطوة للاقتراب أكثر من جيل الشباب، ولكنني أنوى بإذن الله الاستمرار في تقديم لونى المفضل، فهو الرسالة التي دخلت من أجلها الفن".

إصرار وموقف ومبدأ إحترمها كثيرون عليها، حتى ولو حرمها من نجومية وشعبية عربية تستحقها، في ظل إجماع علي موهبتها وأصالة صوتها، وتمكنها الذي يظهر جليا في تجاوب جماهيري سريع معها كلما أطلت على المسرح، وفي لقب منحه لها جمهور السميعة.. " شمس الأغنية " وهو لقب تحذف الألف الأولى منه باللهجة اللبنانية، ليتحول إلى " شمس الغنية ".

وهو لقب كان متوقعا أن تحصل عليه صاحبته منذ انطلاقتها الأولى عام 1985، عندما حصلت على المركز الأول والميدالية الذهبية في مسابقة غنائية تليفزيونية، درست بعدها الموسيقى

لمدة أربع سنوات على يد عميد الموسيقيين اللبنانيين زكي ناصيف، لتصدر ألبومها الأول " يا حبايبي "في عام 1989، لتتولى بعده نجاحاتها.. وألبوماتها (12 ألبوما حتى عام 2003)، مكنتها من صدارة المطربات اللبنانيات في استفتاءات السميعة، ومحبي الأغنية اللبنانية الشعبية، الذين يعقدون آمالا على صوت نجوى في إعادة مجدها السبعيني، نسبة إلى سنوات السبعينات.



هذا الانحياز برز كذلك في اختيار نجوى لوديع الصافي، عندما فكرت في تقديم دويتو غنائي، إذ لم يكن الاختيار اعتباطا ولا مجاملة، بل لكون الصافي - حسب تعبير نجوى نفسها - أبا للأغنية الشعبية اللبنانية، وصاحب الحنجرة الذهبية، التي طالما شدت وأسكرت في أداء الميجانا والدبكة والعتابا، فهو باختصار ذروة الطرب البلدي الأصيل. ومع أن الدويتو أو الحوارية التي حملت اسم "وكبرنا" لم تحقق نجاحا خارج لبنان، إلا أن نجوى تعدها في مقدمة إنجازاتها، على اعتبار أنها "شكلت حافزا أكبر لي لتثبيت موقعي في اللون اللبناني البلدي، فموضوع الأغنية رائع وخطير - عبارة عن حوار بين أب وابنته - ويهم كل الناس، ووقعها الكبير جعلني أتأكد أن جيل الشباب سيقبل على اللون اللبناني البحت عكس ما كان يقال من أنه يريد إيقاعات مختلفة أو أغاني راقصة".. هكذا قالت.

نحن إذن أمام مطربة صاحبة موقف ورؤية، وتعرف ماذا تفعل وتفخر أنها تحمل لواء الأغنية الشعبية اللبنانية دون تردد، حتى ولو أدى ذلك لأن يخفت نجمها في القاهرة، ولا تحظى فيها بنجومية أصوات لبنانية أقل في التمكن والموهبة، وتظل لسنوات تغرد خارج السرب،وتنحصر زياراتها وأسفارها لمصر في تسجيل أغنيات أو زيارة أصدقاء وصديقات وليس للحفلات...

وخلال مشوارها تعرضت نجوى كرم لأزمات ومشكلات وعواصف،منها ما هو شخصي وما هو عام.. ومنها الخطير والساذج، وبينها الحقيقي وما يدخل في نطاق الشائعات المزعجة، مثلما حدث عندما نشرت صحيفة مصرية اتهاما لها بأنها تبذل محاولات مريبة لإقناع عدد من ألمع نجوم الأغنية المصرية من أمثال عمرو دياب ومصطفى قمر وإيهاب توفيق بالتطبيع مع إسرائيل.

كان الاتهام ساذجا، ولا دليل عليه، ولا يحتاج إلى التكذيب الذي أرسلته نجوى عن طريق شركة إنتاجها إلى الجريدة، تتهكم فيه على الاتهام، وعلى السبق الخطير الذي انفردت به قبل أجهزة الاستخبارات!!

أو مثل أزمتها العائلية التي وصلت إلى ساحات المحاكم، عندما أقام شقيقها " نيقولا " دعوى قضائية ضدها، يطالبها بتعويض مادي قيمته مليون دولار عن الأضرار المادية والأدبية التي لحقت به، بعد أن استغنت عن خدماته كمدير لأعمالها، التي تفانى فيها طويلا وكانت أحد أسباب نجاحها، وكان جزاؤه أن أبعدته دون

سبب ولا تعويض، ومنحت المنصب والشرف لزوجها يوسف حرب.
وحاول الأب نعيم كرم - أبو طوني كما يلقبونه نسبة إلى ابنه الأكبر طونى - التدخل لحل الأزمة العائلية وديا، إلا أن سطوة المال كانت أقوى من روابط الدم، وراح نيقولا يشهر بشقيقته المطربة في الإذاعات والصحف، ويكيل لها الاتهامات بالجحود والنكران.
وهى اتهامات هينة وأزمات تافهة إذا ما قورنت بأزمتها العاصفة، وإتهامها بالكفر.. وإباحة دمها..



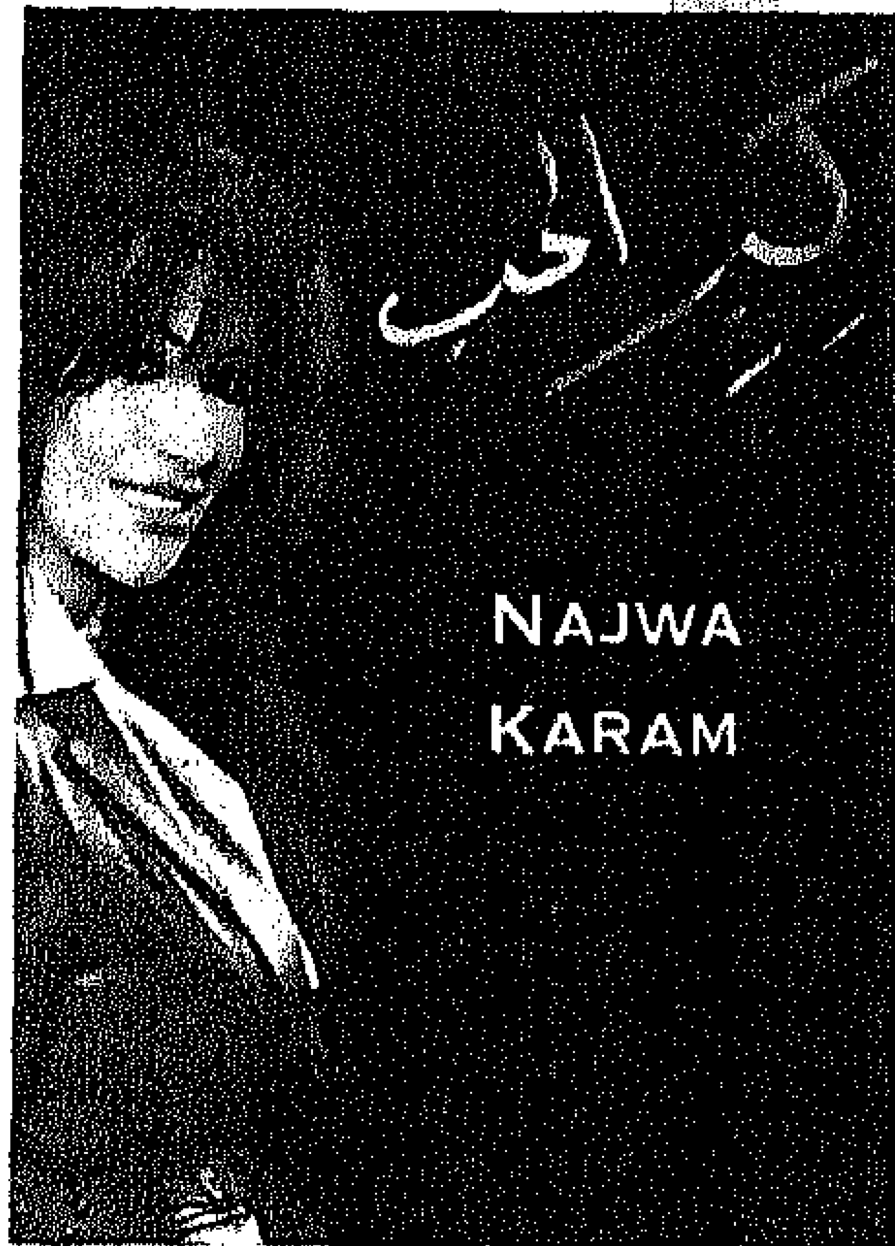
شرارة الأزمة أطلقتها سطور قليلة، نشرت في ركن بباب القراء بمجلة " فن " اللبنانية، تحمل تعليقا غاضبا لقاريء على جملة وردت على لسان نجوى في برنامج تليفزيوني، اعتبرها القاريء الغاضب إهانة للإسلام و لرسوله، تقول فيها إن لديها كلب تسميه " محمد "!! كانت تلك السطور بمثابة الرصاصة التي فجرت برميل البارود الملتهب.
وخلال ساعات كان الخبر ينتقل في أرجاء العالم العربي كالنار في الهشيم، ومع كل نقلة كان يضاف له بعض التوابل، ليكون أكثر جذبا وإثارة.
إهتم ناقلو الخبر بالتوابل، دون أن يتثبتوا من صحة الخبر نفسه، حتى أن الصحف المصرية لم تجد أمامها إلا القراء أيضا كشهود على صحة الواقعة والاتهام، مثلما نشرت مجلة فنية تصدر عن مؤسسة صحفية عريقة في صدر تغطيتها الساخنة للازمة رسالة لقارئة - غاضبة كذلك - روت فيها أنها شاهدت بعينيها نجوى كرم وهى تجلس ضيفة على برنامج " خليك بالبيت" الذي تبثه فضائية "المستقبل" في سهرة الثلاثاء من كل أسبوع، وسألها مقدم البرنامج زاهي وهبي عن الأشخاص الذين تثق بهم في حياتها، فقالت بالحرف " أمي.. ربنا يخليها لي.. ولا أثق في أي أحد غير كلبي المفضل (....)
وأسم الدلع الذي أناديه به " حمودي "
وراحت الشاهدة الغاضبة - طالبة في الجامعة الأمريكية - تعبر عن استيائها و صدمتها في المطربة التي كانت تحبها.
ورغم أن زاهي وهبي نفى أن تكون نجوى كرم قد حلت ضيفة على برنامجه، وأكد أنها أذكى وأعقل من أن تقول هذا الكلام في أي برنامج ولو على سبيل المزاح، إلا أن صوت زاهي ضاع وسط الضجيج والصرخات والمظاهرات التي انطلقت تطالب برأس "الكافرة"!
فتوى التكفير خرجت هذه المرة من الأردن، وكانت نجوى وقتها تحزم حقائبها لتنزل ضيفة على مهرجان جرش الأردني.
وتحولت جلسات البرلمان الأردني إلى محاكمة علنية للمطربة اللبنانية.
ولم تكف مطالبة النواب بمنع دخولها الأردن، أو تطوع أحد النواب برد الشتيمة لها وإطلاق صفة " الكلبة " عليها، وهو ما

رفضه رئيس مجلس النواب يومها عبد الهادي المجالي وطالب بشطب العبارة من محضر الجلسة، بل أصدر النائب الاخواني الشيخ عبد المنعم أبو زنط فتوى بتكفيرها، على اعتبار " أنها أصبحت في حكم المرتدة حتى عن المسيحية، والمرتد لابد أن يقتل " وأعتبر ما فعلته أخطر على الاسلام من آيات سلمان رشدي الشيطانية" غير أن إخوانيا اردنيا آخر أكثر حكمة هو الشيخ إبراهيم زيد الكيلاني الوزير والنائب السابق ، أكد أنه لا يجوز إهدار الدم إلا بعد تشكيل لجنة ومحكمة تقضى بهذا الحكم.

وانتشر الشرار وطار، وامتد الحريق، وحتى المدن الفلسطينية لم تشغلها المقاومة والانتفاضة وجرائم الاحتلال عن المشاركة في " الانتفاضة " ضد نجوى كرم، فرفعوا صورها المعلقة على محلات بيع الكاسيت، ومزقوها في ثورة غضب.

في حين اكتفى الغاضبون في دول الخليج - حيث تحظى بشعبية ملفتة - بوقف إذاعة أغانيها..

وفي مطار القاهرة عندما وقفت نجوى أمام ضباط الجوازات لانهاء إجراءات دخولها ، وكانت تنوى تسجيل أغنيات جديدة في أحد استوديوهاتها وتظن أن وجودها في مصر سيساعد على نزع فتيل الأزمة ظهرت بيانات على شاشة الكمبيوتر تفيد أنها ممنوعة من الدخول.



وبهدوء طلب منها الضابط الشاب أن تتبعه إلي مكتب مجاور، حيث كان في استقبالها أحد القيادات الأمنية، وظنت مع حرارة الاستقبال أنه مجرد سوء تفاهم عابر، وما هي إلا دقائق حتى يرفع، ويسمح لها بالدخول.

ولكنها فوجئت أن الأمر أخطر مما توقعت، حيث أسر لها الضابط الكبير إن عليها أن تستقل الطائرة نفسها التي هبطت منها قبل دقائق وتعود إلى لبنان، لأنها مدرجة على قوائم الممنوعين من الدخول فئة " أمن عام "، ولم يخف عنها السبب، الذي كان عبارة عن تهمتين منفصلتين، توقعت أحداهما وهى الضجة المثارة حول إساءتها للإسلام، وفوجئت بالثانية وهى الإساءة لمصر وسخريتها من رموزها الفنية خلال أحد المهرجانات العربية التي عقدت قبلها بفترة قصيرة..

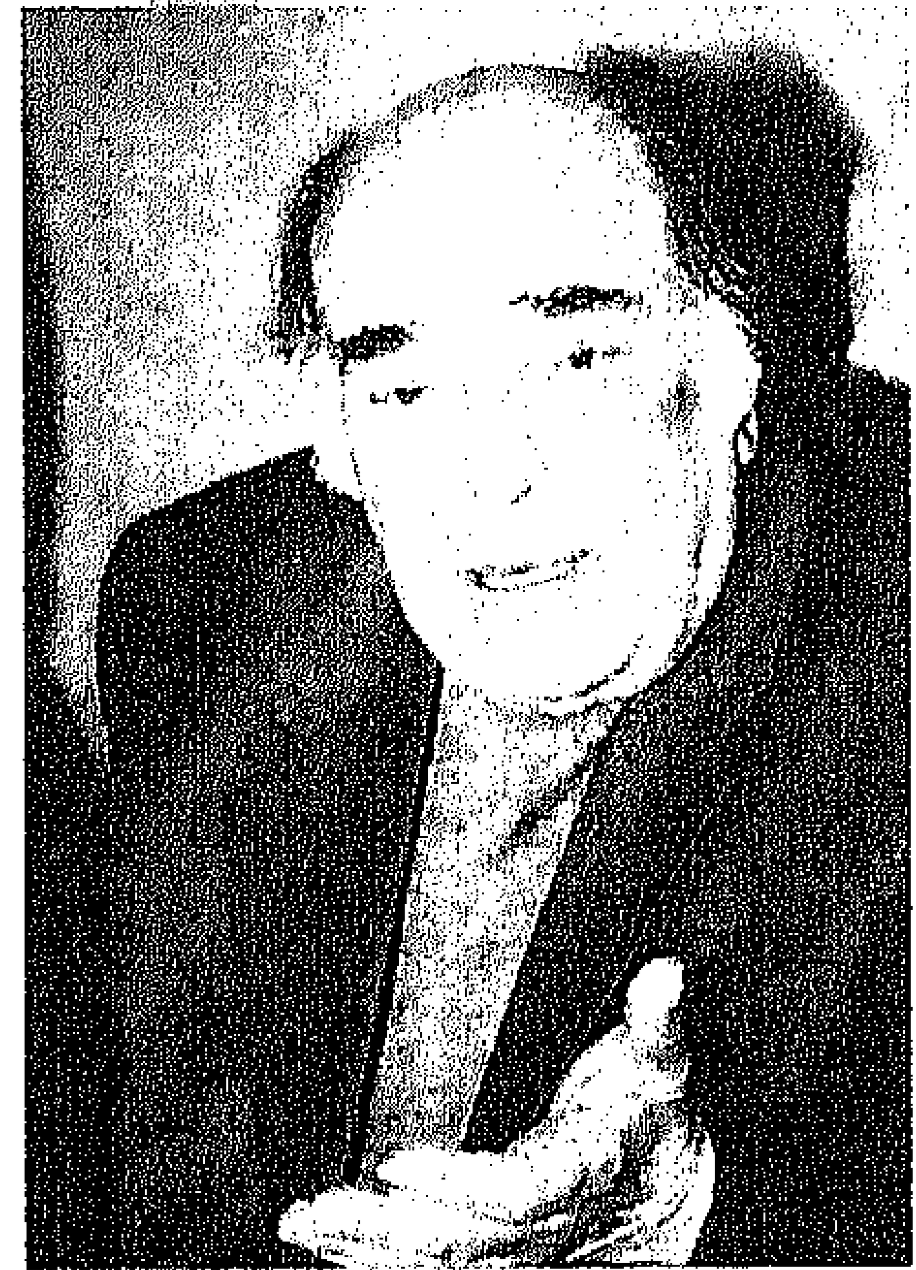
كان القرار حاسماً وقاطعاً.. وظهرت بارقة أمل عندما همس لها شقيقها طوني الذي كان يرافقها في رحلتها بأن القنصل اللبناني بالقاهرة موجود بالمطار مصادفة لاستقبال بعض أقاربه، وأنه لو علم بالأزمة لتدخل لحلها فوراً...

وتدخل القنصل بالفعل، ولكن ليس لدخولها، بل لتسهيل إجراءات عودتها إلى لبنان، بعد أن اتضحت أمامه حقيقة الموقف عارية.

كانت صدمة المنع شديدة ومدوية، وزاد منها المواقف العنترية التي اتخذتها بعض الهيئات الفنية في مصر للمزايدة علي الموقف، ومغازلة عواطف الرأي العام المستنفرة ، غيرة على الدين الذي

أهانته نجوى كرم كما أفهموه. فأرسل نقيب الموسيقيين يومها الموسيقار حلمي أمين طلبا عاجلا إلى نقابة الموسيقيين اللبنانية يطلب - بحكم البروتوكول المشترك بين النقابتين - بأجراء تحقيق فوري مع المتهمة ومواجهتها بالاتهامات، حتى يمكن اتخاذ إجراءات عقابية على ضوئها، تصل في حالة ثبوت التهمة إلى المنع من الغناء في مصر، ومنع أي موسيقى مصري من التعامل معها...!

ولما تأخر رد النقابة اللبنانية خرج رئيس اتحاد النقابات الفنية في مصر الفنان السيد راضى بتصريحات ساخنة يؤكد فيها أن "الاتحاد لديه قناعة تامة بصحة كل ما نسب للمطربة اللبنانية نجوى كرم من إهانة للدين الإسلامي ." وأن" عدم رد النقابة اللبنانية على طلبات الإيضاح التي أرسلها الاتحاد المصري يجعلنا متأكدين من أن كل ما قيل عن إهانة المطربة لمشاعر المسلمين صحيح" وكانت المزايدة على أشدها في ساحة الانترنت ، التي تحولت إلى مشنقة لإعدام المتهمة، وامتلأت المواقع بالمقالات الساخنة التي تصب اللعنات على "الزنديقة". من أمثلة هذه الرسالة التي حملت عنوانا عنيفا "ليس باللعنات فقط سنقف أمام...... نجوى كرم"، يحرص فيها كاتبها على اغتيال المتهمة. ويوجه نداء إلي كل مسلم غيور على الإسلام والمسلمين لمحاربة هذه الزنديقة، ويقدم من عنده هذه الاقتراحات:" قيام جمع من المسلمين برفع الأمر إلى رجال الدين في كل دولة إسلامية حتى يتم إصدار فتوى جماعية بإهدار دمها.. ويجب على المسلمين محاربتها وحرق شرائطها، كذلك يجب على أجهزة الإعلام في جميع أنحاء العالم الاسلامى عدم التعامل معها بعد هذا اليوم.. وكذلك أوصي نفسي وإياكم بالدعاء عليها"

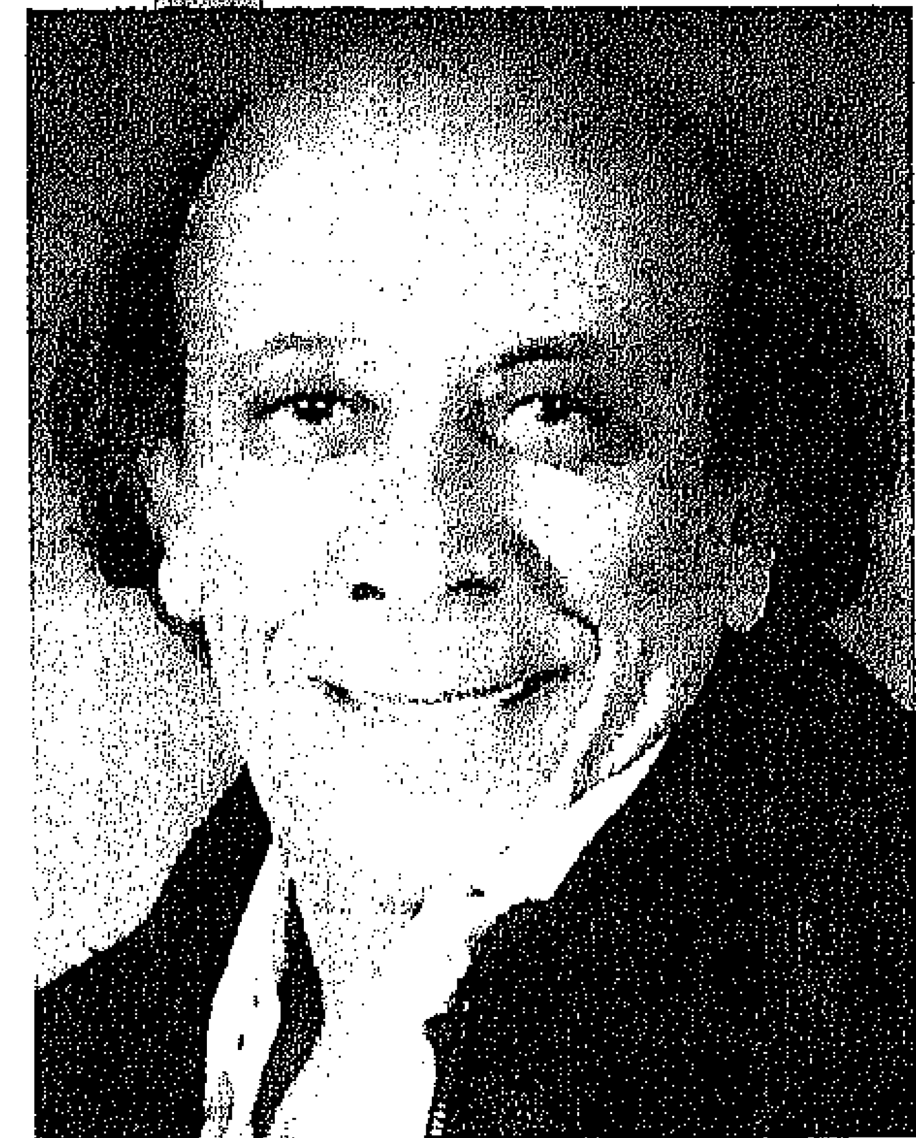

منصور الرحبانى

وهكذا جمعت نجوى كرم العالم العربي المشتت، وأصبحت فجأة عدوا مشتركا يتوحد ضده الشتات العربي ، وهدفا ملعونا يتسابق على إسقاطه كل أصحاب النخوة العربية والدينية.

وعادت نجوى كرم إلى لبنان لتقود حملة إثبات البراءة، وكان لابد من خطوات عاجلة:

- كلفت محاميها أنطوان عطا الله بإقامة دعوى قضائية ضد مجلة "فن" اللبنانية، التي أطلقت الرصاصة الأولى في الأزمة، وأشعلت الشرارة الأولي لنيرانها، متهمة رئيس تحريرها وليد الحسيني بالتحريض على قتلها.

- أقامت مؤتمرا صحفيا في نقابة الصحفيين اللبنانيين، كان عن شمالها فيه نقيب الصحفيين ملحم كرم، وعن يمينها عميد الموسيقيين اللبنانيين منصور الرحباني.


السيد راضى

وفي بدايته نفت المتهمة علانية تهمة الإساءة للإسلام، وكذبت ظهورها على شاشة التليفزيون من الأساس في هذا التوقيت، وأقسمت أنها " لم تدخل قناة المستقبل منذ سنتين، بل إن معظم المحطات الفضائية لم تجر معي أحاديث منذ فترة طويلة.. هذه وشاية لإعاقة مسيرتي الفنية".. وهو ما أكده منصور الرحباني

عندما علق على كلامها قائلا بكل ثقله الفني " أن هذه الإشاعة بكل تفاصيلها تخدم أعداء الفن اللبناني والعربي"

ولأن الموضوع لم يعد يتعلق بفنها، بل حياتها التي أصبحت في خطر حقيقي، ودمائها مستباحة، كان لابد من توجيه أصابع الاتهام إلى شخص بعينه على أنه المحرض على الفتنة، ومشعل النيران من وراء الستار، واتجهت الأصابع إلى غريمتها اللبنانية ديانا حداد.



الشيخ طنطاوى

رفع الفنان ملحم كرم صوته، وقال إنه لا يستبعد أن تكون ديانا وراء إشعال الأزمة، وتحريض وليد الحسيني، ودلل على صحة اتهامه بأن ديانا سارعت فور وقوع الأزمة بإرسال فاكس إلى إدارة مهرجان جرش، تعلن فيه استعدادها لتحل محل نجوى - التي أصبحت ممنوعة من دخول الأردن - في إحياء حفلات المهرجان.. وكان الاتهام موجها كذلك على خليفة أزمة علنية حدثت بين المطربتين في عام 1996 عقب حوار صحفي مع نجوى اعتبرته ديانا إهانة لها. وتفصيل الحكاية أنهم سألوها في الحوار عن رأيها في ديانا، فردت نجوى: اعذرني أنا لكترة أسفارى لا أتابع جيدا، فما هي أشهر أغاني ديانا؟!

ولما عدد المحاور أغانيها علقت نجوى: اعتقد أنها مطربة كويسة...!

كانت إجابة نجوى صدمة لديانا ومحبيها، وعدوها من قبيل الاستهزاء المقصود، والتجاهل المتعمد، وأن عليهم أن يردوا "التحية" بأحسن منها، فلماذا لا تكون الأزمة هي "تحية" ديانا لها؟! وهو ما أشارت إليه نجوى في مؤتمرها الصحفي عندما وصفت ما يحدث لها بأنه " مؤامرة مدبرة مدروسة ومنظمة بدقة ولو كان الأمر بيدي لمنحت صاحبها درجة الدكتوراه في الدقة والتنظيم والتخطيط"

- وأرسلت نجوى برقية إلى وزير الإعلام المصري صفوت الشريف، تستنجد به، وتطالبه بالتدخل لوقف قرارات اتخذها المسئولون في التليفزيون المصري لمنع أغانيها، واختتمت برقيتها بتلك العبارة المؤثرة "أعيدوني إلى حضن مصر وارفعوا الظلم عنى"، بعد أن أقسمت أنها تتعرض لحملة اتهام كاذبة، وقائمة على قصة مختلقة لا أساس لها من الصحة.

- وعلى صفحات الصحف نشرت طلبا في شكل رسالة موجهة إلى شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي، بوصفه الأمام الأكبر والمرجع الديني للعالم الاسلامى، ترجو مقابلته، لتوضح له حقيقة الأزمة، وأنها ضحية حملة مدبرة، وتعبر له عن احترامها للإسلام ونبيه، لعل الإمام ينقذ رقبتها ودمها المهدر، كما فعل مفتى مصر مع ذكرى.

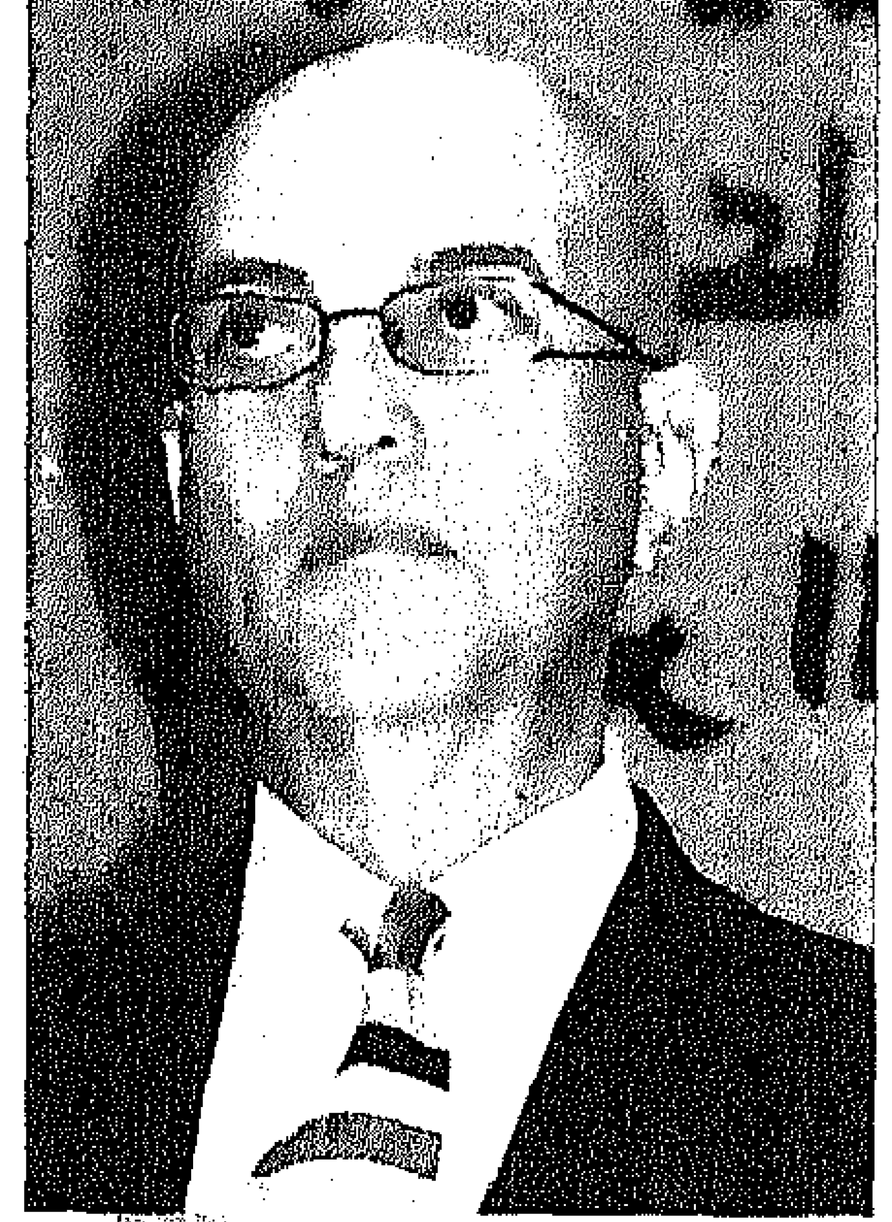
وبعد أيام من الرعب، بدأت الحملة المضادة التي قادتها نجوى ببراعة تؤتى ثمارها، وصدر قرار برفع اسمها من قوائم المنع، وفى المطار نفسه الذي شهد واقعة ترحيلها، كانت هناك زفة

إعلامية تستقبلها وتهلل لها. ولكنها لم تمح أثار الاتهام الذي ظل يلاحقها: هل حقا أساتي للإسلام.. وما حكاية الكلب؟!

وكان أول ما حرصت عليه عقب دخولها القاهرة، أن كذبت تلك الشائعات، أو ما اعتبرتها كذلك، وكان بين الأدلة التي ساقتها أنها لا تحب الكلاب، ولا تقتنيها، ولا يوجد في بيتها حيوان ولا حتى عصفور.

ولم تجد نجوى حرجا من الحديث عن إيمانها وتقواها واحترامها للأديان، حتى أنها وهى المسيحية تقرأ القرآن، وتحفظ الفاتحة، وتشعر أن كل الأنبياء والكتب المقدسة لها هدف واحد هو محبة الله، فكيف تجرؤ على أن تفعل هذه الفعلة.

ولم تنس التهمة الثانية، وهى الإساءة لمصر، فحرصت على أن تنفيها هي الأخرى بشدة، واعتبرتها تهمة ساذجة، سبق أن تعرضت لها نجمات ونجوم عرب، ثم ثبت أنها دخان في الهواء، وأزمات مفتعلة واتهامات كيدية.


سلماوي

ولم تعدم نجوى كرم أقلاما عاقلة تقف إلى جوارها، وترد عنها، كان أبرزهم الكاتب الأديب محمد سلماوي الذي خصص مقاله الأسبوعي بجريدة الأهرام - 19 إبريل 1999 - للاعتذار لها عن تلك التهمة، وحمل المقال عنوانا دالا هو " معذرة لنجوى وأخواتها"، هاجم فيه من أسماهم محاكم التفتيش المصرية، التي تفتش في ضمائر الفنانين العرب، ويلصقون بهم تلك التهمة السخيفة، التي يسيئون بها إلى مصر قبل أن يسيئوا لغيرها..

وضرب سلماوي المثل بحالات ونماذج سابقة، كما حدث لماجدة الرومي وكاظم الساهر وصباح فخري وبعد ضجيج مفتعل وتشنجات زائفة، وغيرة كاذبة على سمعة مصر، أتضح أنها اتهامات بلا أساس، وطالب سلماوي بوقف تلك الظاهرة المستفزة، حتى لا تصبح تهمة الإساءة لمصر، كمعاداة السامية التي تطلقها إسرائيل على كل من يختلف معها ويعارض سياستها.

"إن البعض عندما يتصور أن على كل فنان عربي أن ينطق أولا بشهادة حب مصر قبل أن تسمح له سلطات مطار القاهرة بدخول الجنة ، فذلك طلب فيه رخص لا نرضاه، فألام العظيمة ذات القلب الكبير لا تطلب من أبنائها أن يقدموا لها فروض الولاء قبل أن تحتضنهم، لان حب الأبناء هو قدرها، والمرأة الشريفة لا تقايض بحبها ولا تطلب ثمنه مقدما.." هكذا قال.. وأوجز رأيه.

لم يكن سلماوي وحده، بل وقفت إلى جوارها مجلة "روزاليوسف" بكل عراقتها، وهاجمت ذلك الأسلوب الغوغائي في التفكير والتشهير والقتل المعنوي دون محاكمة، ودون بذل أي مجهود في التقصي والبحث عن الحقيقة، فمن العبث حسب رأيها أن تتحول نجوى كرم فجأة إلى كافرة وزنديقة ومرتدة ومرتكبة للكبائر، وتصدر فتوى بإهدار دمها وحكم بقتلها دون دليل، لمجرد سطور في إحدي المجلات، لا أحد يعرف نواياها الحقيقية، واختلط الأمر على كاتبها، فلم يعرف أين ولا متى ارتكبت نجوى جريمتها

العلنية، وخرجت المظاهرات وراء وسطاء التكفير تقول "آمين"، بلا سند ولا دليل...!

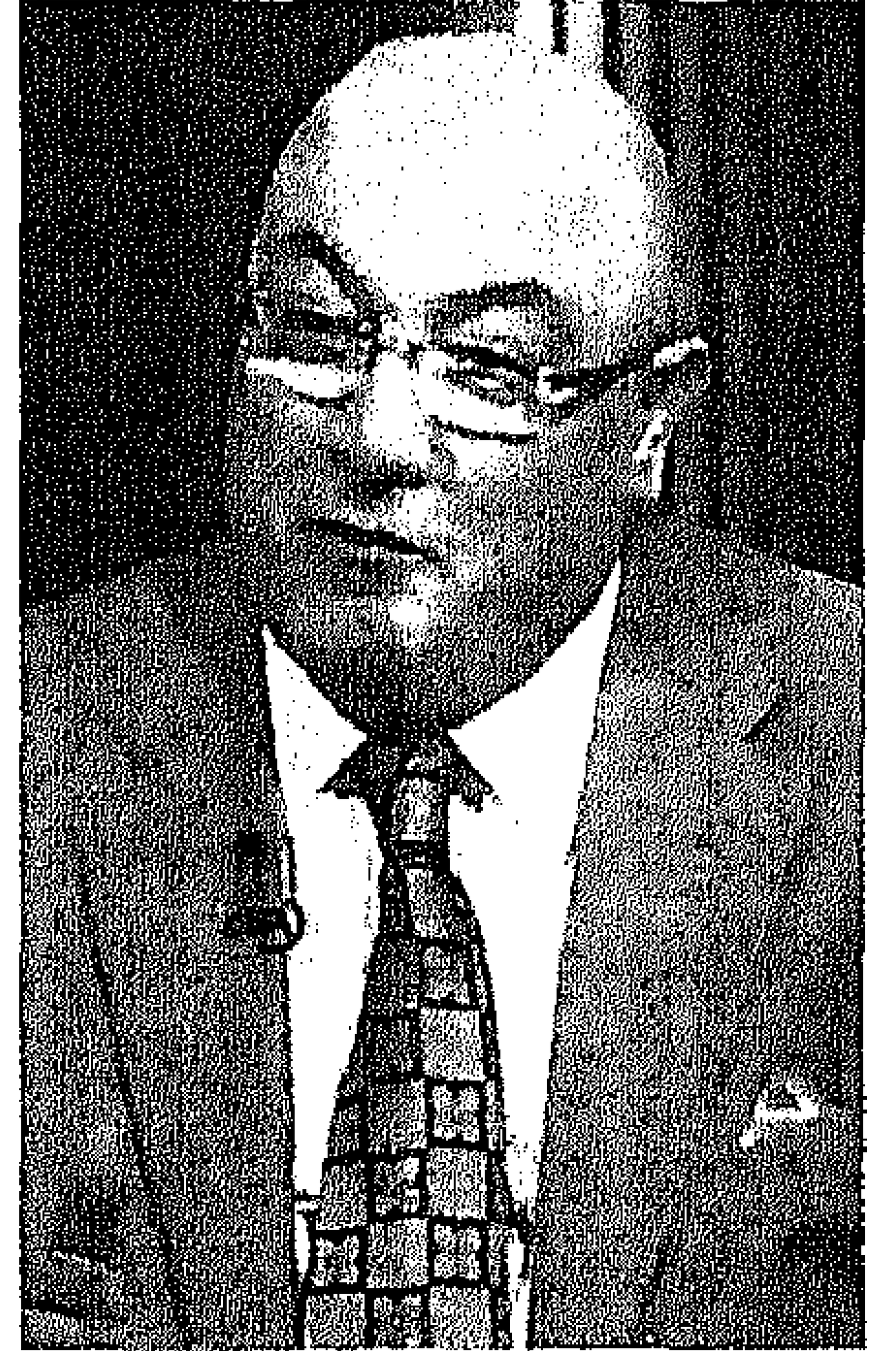
والحق أن ما أشارت إليه المجلة - عدد 10 ابريل 1999 - يعد أخطر ما كشفت عنه تلك الأزمة وهو الاغتيال المعنوي الذي يتحول إلى سلاح فعال وقاتل في المجتمع العربي، ومع العقلية العربية التي تميل إلى التفسيرات التآمرية، وتغليب العاطفة، وتصديق أصحاب الحناجر العالية، والعبارات الرنانة حتى ولو كانت ضد العقل والمنطق..

فمن عجب أن تخرج المظاهرات والفتاوى وقرارات المنع بناء على شائعة، والأعجب أن ينتهي كل ذلك سريعا،وكأن شيئا لم يكن، وكأنهم كانوا ينتقدون مجرد أغنية لها.. لا يهدرون دمها!!
مطربة الحرام في تلك الأزمة المرعبة، تحولت خلال شهور قليلة إلى المطربة "العاشقة"... "المغرمة"، بل " أي سحر أطل على فضاءات الروح من امرأة تحمل "النجوي" ومعها "الكرم"، وأية مشاعر تلك القادمة من ذرى لبنان إلي شهقات "جرش"" هكذا وصفتها الصحافة الأردنية بتلك الأوصاف الشاعرية الفريدة، عندما غنت في مهرجان جرش عام 2003، وهي الصحافة نفسها التي هللت لفتوى النائب الأردني لإهدار دمها، واعتبرتها أفضل جزاء عن إساءتها للإسلام.. يا سلام!



سيف الله المسلول الشيخ خالد الجندي

يحرم أغاني أم كلثوم!


الشيخ خالد الجندى

في مسألة الدعاة الجدد بعد أن زادوا وانتشروا وتوغلوا وأصبحوا ينافسون مطربي الفيديو كليب ، ألجأ إلى النصيحة النبوية الخالدة ، استفت قلبك ، والحق أن الفتوى التي أصدرها قلبي كانت قاسية معهم، فلم يرتح إليهم ولم ينجذب لهم ودلني على كثير من التكلف والصنعة عندهم وبحثهم عن الشهرة والأضواء قبل كلمة الله التي لم يهمهم أن تكون هي العليا. وفي حين ذهب قلبي طوعا إلى سيدة جليلة يفيض وجهها بالسماحة التي هي من أصول الدين ، وتميل في فتاواها إلى التيسير على الناس بغير إخلال ، وتخاطبهم بلغة بسيطة سهلة متواضعة بغير تكلف ووجدتني أتنقل بين القنوات بحثا عن د. عبلة الكحلاوي لأستزيد من علمها وفقهها واغتسل بسماحتها .. في مقابلها شعرت بما يشبه النفور من آخرين يحملون لقب الداعية ويقولون بغير علم ولا هدى ، وقد انتقلت إليهم عدوى برنامج «الاتجاه المعاكس» فنافسوا ضيوفه في الصياح والصخب واللهفة على الشهرة بأي ثمن. ومن أجل هذه الشهرة لا يتورعون عن أمور تسيء إليهم ، مع أن الأصل في الداعية هو الزهد والهروب من بهرجة الدنيا وزخرفها، وأن يكون الله من وراء القصد ، ولذلك شعرت بصدمة عندما اشتبكت كاتبتنا الكبيرة صافي ناز كاظم مع أحد هؤلاء من شباب الدعاة في برنامج الحياة الذي تقدمه المذيعة اللامعة نجوى إبراهيم على شاشة «دريم» (توقف البرنامج لأسباب إنتاجية) وعفوا للوصف فقد «غسلت» صافي الداعية الشاب وفضحت فهمه لأمور الدين ، في حين كان صاحبنا في منتهى السعادة مدركا بخبرته الفضائية الفذة أن الحلقة لابد أن تكون حديث الجمهور ، وبالتالي سيتردد اسمه وستزداد شهرته.. وسيتضاعف الطلب عليه!وبنفس هذا المنطق الذي لا أظن - وبعض الظن ليس إثما - أن هدفه أن تكون كلمة الله هي العليا ، قرر داعية فضائي أكثر

شهرة أن يستزيد منها على اعتبار أن البحر يحب الزيادة فى ظل المنافسة الشرسة من الزملاء الأفاضل . فنشن على أشهر مطربة فى التاريخ العربي . وفجر نفسه فيها مدركا أن فتواه ستثير الزوابع وستلفت نظر عشاقها وهم بالملايين على امتداد الخريطة العربية من الماء إلى الماء.بجرأة يحسده عليها شيوخ التطرف . قرر مولانا الشيخ خالد الجندي أن أغنيات أم كلثوم حرام شرعا هكذا وبكل بساطة وحسم على طريقة مولاه الشيخ كشك، ويبدو أن تأملات الشيخ خالد قادته إلى أن تاريخ الشيخ كشك مع الدعوة انتهى في ذاكرة الناس وتلخص في أنه الشيخ الذي هاجم أم كلثوم وسخر منها.. ذهبت كل خطبه وجهاده وصولاته وجولاته ، ولم يحفظ الناس منها سوى جملته الخالدة في الهجوم على أغنية «أنت عمري» : امرأة في السبعين من عمرها تغنى خدني لحنانك خدني .. خدك ربنا ياستي. وطبقا لنظرية التطور فإن سيف الله المسلول خالد الجندي لم يهاجم أغنية واحدة، بل شطب كل أغاني الست بجرة فتوى واعتبرها من المحرمات شرعا.. وبالمرة أخذ الجميلة شادية كتفا فى الطريق وقلد شيخه كشك فى لهجته الساخرة وهاجم أغنيتها «غاب القمر يا ابن عمى ياالله روحنى بقى» ، فتساءل بسوء نية عن المكان الذى كانت فيه مع ابن عمها حتى هذا الوقت المتأخر بعد «إنصاص الليالي» تشكيكا فى أخلاقيات «البنية» واتهاماً مستتراً للأغنية بالانحلال!! تستطيع الحاجة شادية - أطال الله في عمرها ولا اسكت صوتها- أن ترد وتأخذ حقها بنفسها رغم يقيني أنها لن تفعل ، ترفعا عن دنيا الصغائر التي اعتزلتها ، ولكن من يرد غيبة أم كلثوم التي لم يترك سيف الله المسلول الفرصة لتدركها رحمة الله ، فحكم عليها بدخول جهنم!لا أعرف على أي أساس بنى الشيخ خالد حكمه القاسي ولا أقول فتوى بعد أن سألت د.على جمعة مفتى الديار المصرية في لقاء عابر عن رأيه فيما قاله الشيخ خالد عن أم كلثوم فكان سكوته أبلغ من الرد وفهمت من نظرات عينيه: يا لضيعة الفتوى في هذا الزمان بعد أن أصبح عدد المفتين أكثر من عدد المواطنين!ولأن الفتوى استبيحت ، كما قالت عيون مفتى الديار فلأجرب إصدار فتوى مضادة .. اشمعنى أنا؟!أقول والعلم عند ربى أن غناء أم كلثوم حلال مصفى ، وفى حين لم يذكر الشيخ خالد أدلته على تحريمه سأورد أدلتي على حلاله:





1 - إن الشيخ محمد الغزالي بجلالة قدره كان من محبيها وأعلن رأيه جهارا نهارا ، وكان الشيخ الجليل يقول إن مشروعية الغناء تتوقف على أمرين أن يخلو من الكلام الفاحش، وأن يخلو أداء المطربة من الإثارة ومعابثة الغرائز، فإذا ما طبقنا الشرطين على غناء أم كلثوم ستجد أنك أمام مطربة راقية الكلمات والأداء.

- وفي كتابة "السنة النبوية" يقول الشيخ الجليل أنه لا يمكن تحريم الغناء الذي يتحدث عن الغزل الشريف وشرح عواطف

المحبين وارتقاب جمع الشمل الذي يحوي مشاعر جديرة بكل إعزاز. ويري أن البعض يحرم الغناء قياسا علي بعض الهبوط الموجود في البيئة الفنية ، بينما يفرض الإنصاف غير ذلك، فمن رجال الدين من يحيا بلا دين، وهناك فنانون لا يساوون قلامة ظفر، بينما هناك أيضا من صليت معهم في جماعا عامة، ومن رأيتهم في قوافل الحجاج والعمار يؤدون المناسك بأدب وتقوي. وقد مدح الرسول (ص) صوت أبي موسي الأشعري قائلا: لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود. ولو كان المزمار آلة رديئة لما قال له ذلك. ولقد سمح رسول الله (ص) صوت الدف والمزمار دون تحرج، ولا أدري من أين حرم البعض الموسيقي ونفر من سماعها.. هذا ما قاله الشيخ الجليل..

وقال لي صهره زميلنا اللامع محمد عبدالقدوس: إن الشيخ الغزالي كان يستمع إلى أغاني أم كلثوم العاطفية منها والدينية، وخارج نطاق أم كلثوم كان ذوقه يتجه إلى صوت فايزة أحمد ، وكان معجبا على وجه الخصوص بأغنيتيها «ست الحبايب» ، و«بيت العز».كان الرجل مستنيرا ويمثل الإسلام المشرق الداعي للحياة لا الناقم عليها المحرم لكل متعها الحلال كما يفعل مشايخ الفضائيات الآن، وتوقفت بالتأمل والإعجاب أمام تلك الواقعة التي ذكرها لى محمد عبد القدوس وملخصها أن علاء أحد أبناء الشيخ الغزالي كان من هواة الموسيقى فاشترى له والده بيانو وأحضره إلى البيت لينمى مواهبه الموسيقية .. بيانو في بيت الشيخ الغزالي يا شيخ خالد.. هل تسمعني؟!



2 - فإذا ما اتهمت الشيخ الغزالي بالسماحة والتساهل في المسألة الغنائية باعتباره كان منفتحا على العصر مدركا لتطوراته ميالا لجذب الناس إلى رحابة الإسلام وسعته.فماذا تقول في شيخ الإسلام أبو حنيفة النعمان العالم الفقيه صاحب المذهب الإسلامي الشهير.. أبو حنيفة - يا شيخ خالد- كان له جار محبا للغناء وكثيرا ما كان الإمام يسمعه من شباك منزله وهو يصدح بالغناء مترنما بهذا البيت الشهير: أضاعونى وأي فتى أضاعوا / ليوم كريهة وسداد ثغر «لم يكن فيه شعراء أغاني أيامها ، مثل حسين السيد وعم مرسى وأيمن قمر»، ويبدو أن هذا الجار تسلطن ذات يوم وهو يمشى في الطريق فاعتبر العسس غناءه نوعا من الشكوى ضد الحكومة «هكذا فسروا كلمة أضاعونى التي يبدو أنه كان يغنيها بحرقة» ، فألقوا القبض عليه.ولما علم أبو حنيفة بأمر جاره ذهب إلى قائد العسس عيسى بن موسى متشفعا لديه في الإفراج عن جاره المطرب ففعل إكراما له .. واصطحب أبو حنيفة جاره إلى بيته قائلا له: عد إلى ما كنت تغنيه فإني كنت آنس به ولم أر به بأسا.وفى تعليق ذكى طريف للإعلامي اللامع الملتزم جمال الشاعر حول تلك الواقعة قال: أبو حنيفة بهذا التصرف أجاز الغناء وأباحه، فالغناء حق مشروع لكل مواطن حتى وإن كان

غناؤه مزعجا للسلطات يشتكى فيه مظلمته وأوجاعه.. لم يغضب الإمام ولم ينهه عن التغني ولم يأخذ عليه تعهدا في مركز البوليس بأنه لن يعود إلى إزعاج جيرانه بالغناء بل استحسن غناءه ولم يجد به بأسا .. « سامع يا مولانا؟!».

وإذا كان أبو حنيفة قد دافع عن حق مطرب في الغناء، فإن الإمام الأكبر شيخ الأزهر محمود شلتوت قد طالب بتعليم الغناء والموسيقى، ولا يستطيع أحد أن يطعن في إيمان وعلم رجل جلس على مشيخة الأزهر في واحد من أزهى عصوره، ورثاه الشاعر الكبير كامل الشناوي يوم رحيله بتلك العبارات الزاهية في صدقها "كنت كلما التقيت بالإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت أحسست أنني أواجه تقوى ثائرة.. تؤمن بالله والإنسانية والحياة، فقد كانت عقليته متفتحة للمعرفة على اختلافها، وكان تبحره في العلوم الإسلامية وفهمه لحقائق الدين يثير الانتباه إليه، ولم أعرف بين رجال الدين من يفوقه في قوة الجدل وسلامة المنطق والقدرة على الإقناع، والاستعداد للإصغاء إلي الرآى المعارض له بسماحة ذهنية وصدر رحب"


الشيخ محمد الغزالى


محمد عبد القدوس

رجل هذا شأنه عندما سئل عن رأيه في الغناء وموقف الإسلام منه قال: "إن الأصل الذي أرجو أن ينتبه الناس إليه ، هو أن الله خلق الإنسان بغريزة يميل بها ألي المستلذات والطيبات التي يجد لها أثرا في نفسه، به يهدأ، وبه يرتاح، وبه ينشط، وبه تسكن جوارحه، فتراه ينشرح صدره بالمناظر الجميلة كالخضرة المنسقة والماء الصافي الذي تلعب أمواجه، والوجه الحسن الذي تبسطه أساريره.ينشرح الصدر بالروائح الذكية التي تحدث خفة في الجسم والروح، وينشرح صدره بلمس النعومة التي لا خشونة فيها، وينشرح صدره بلذة المعرفة في الكشف عن مجهول مخبوء. ولعل قيام الإنسان بمهمته في هذه الحياة ما كان ليتم علي الوجه الذي من أجله خلقه الله إلا إذا كان ذا عاطفة غريزية، توجهه نحو المشهيات وتلك المتع التي خلقها الله معه في الحياة، فيأخذ منها القدر الذي يحتاجه وينفعه. والشريعة توجه الإنسان في مقتضيات العزيزة إلي الحد الأوسط، فهي لم تنزل لانتزاع الغريزة من حب المناظر الطبيعية ولا المسموعات المستلذة، وإنما نزلت بتهذيبها وتعديلها علي ما لا ضرر منه ولا شر، وبهذا يتضح أن تعلم الموسيقي مع الحرص علي الفرائض والتكاليف نابع من الغريزة التي حكمها العقل بشرع الله وحكمه، فنزلت علي إرادته، وهذا هو أسمي ما تطلبه الشرائع السماوية من الناس في هذه الحياة"

3 - ذات مرة التقيت بواحد من أجمل ألحان السماء ،هو المقرئ الشهير الشيخ محمد محمود الطبلاوى ، ودار بيننا حوار طويل عن الموسيقى والغناء نشرته كاملا على صفحات جريدة القاهرة ، وكان من بين ما قاله إعجاب منه لا محدود بصوت أم كلثوم، وكشف لى أنه اعتاد قبل نومه أن يستمع إلى قصيدتها «حديث

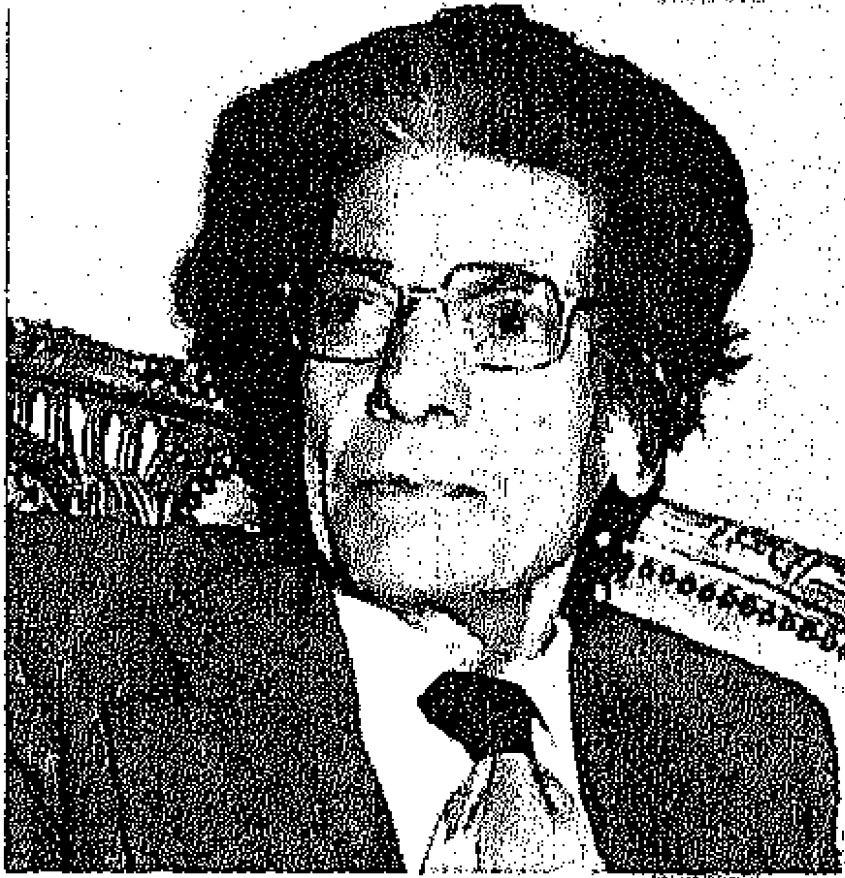
الروح» التي كتبها الشاعر الباكستاني محمد إقبال ولحنها رياض السنباطى. إذ يرى في كلماتها وألحانها وأدائها «صلاة» فى حب الله والإيمان به. وأفاض الشيخ الجليل في الحديث عن حلاوة صوت أم كلثوم ومقدرتها الفذة على الانتقال والتنقل بين المقامات الموسيقية ببراعة وبلا عناء. وتوقفت طويلا أمام قوله، إن أم كلثوم خدمت اللغة العربية أكثر مما فعل فقهاء اللغة وحراسها، إذ بسطتها (من التبسيط) في قصائدها ونقلتها عذبة بصوتها إلى كل المستويات الثقافية، فتجد الفلاح البسيط الذي لم يدخل مدرسة فى حياته، ونصيبه من العلم يكاد يكون معدوما يترنم معها وهو على حماره بقصائد صعبة، مثل نهج البردة، وسلو قلبي، ورباعيات الخيام، ويردد الأبيات بلغة فصحى سليمة كما سمعها من الست. أؤمن على رأى الطبلاوى، وأزيد عليه أن أم كلثوم خدمت الإسلام أيضا بل أتصور وهو اجتهاد خاص منى أجره على الله- أن هذه السيدة خدمت الإسلام أكثر من الشيخ خالد الجندي!! إن القصائد الدينية التي تغنت بها أم كلثوم وقد أوردت بعضها مثل نهج البردة، وإلى عرفات الله، وسلو قلبي، وعلى باب الرجاء وغيرها تغسل القلوب بماء الخشوع وتدعو إلى طريق الله ورسوله. في كل مرة اسمعها على حنجرتها تهز هذه الأبيات قلبي الذي لم يهتز مرة لطوفان خطب الشيخ خالد الجندي وبرامجه، وأدعو أن يغسل قلبه بها: إذا زرت بعد البيت قبر محمد/ وقبلت مثوى الأعظم العطرات/ وفاضت من الدمع العيون مهابة/ لأحمد بين الستر والحجرات/ وأشرق نور تحت كل ثنية/ وأضاء أريج تحت كل حصاة/ فقل لرسول الله يا خير مرسل/ أبثك ما تدرى من الحسرات/ شعوبك في شرق البلاد وغربها/ كأصحاب كهف في عميق سبات/ بأيمانهم نوران .. ذكر وسنة فما بالهم في حالك الظلمات، والأبيات من قصيدة «إلى عرفات الله» التي أظن أنها ستكون في ميزان حسنات أمير الشعراء يوم الحساب، وربما عشما في رحمة الله الواسعة تكون سببا في دخوله جنات الخلد. وأتوقع أن ملايين مثلي تهزهم الكلمات وتصفو نفوسهم وترق قلوبهم وهم يسمعونها بهذا الأداء المعجز من أم كلثوم، حتى لتظن أنها تتعبد بها في مناجاة خاصة من فرط خشوعها مع الكلمات. ولعلني أرى ابتسامة ماكرة على وجه مولانا تسألني: عظيم .. طيب وأغنياتها العاطفية ؟! دون أن يفتر حماسي أقول إن الكلمات التي كتبها شعراء في حجم أحمد رامي وشوقي، ومرسى جميل عزيز، ومأمون الشناوي، وإبراهيم ناجى، وأحمد شفيق كامل، والهادي آدم .. لا يمكن أن تجنح إلى الابتذال أبدا وإلا ما أقبل الشيخ الغزالي على سماعها. وأي عذوبة أحلى من تلك الكلمات التي كتبها مرسى جميل عزيز في ألف ليلة وليلة: يارب لا عمر كاس الفراق المر يسقينا/ ولا يعرف الحزن مطرحنا ولا يجينا/ وغير شموع الفرح ما تشوف ليالينا / يا حبيبي يالله نعيش في عيون الليل/ ونقول للشمس تعالي بعد سنة/ مش قبل سنة في ليلة حب حلوة/



بألف ليلة وليلة.أما أداء أم كلثوم فهو أبعد ما يكون عن إثارة الغرائز وأى إثارة يمكن أن ترتكبها سيدة تربت تربية دينية ريفية صارمة وظلت ترتدي العقال سنوات من حياتها ، وكانت من حفظة كتاب الله ولولا إرهاب المشايخ لسجلته كاملا بصوتها كما كانت تنوى.وهنا لابد أن نشهد بالذكاء لمولانا خالد الجندي فهو لم يختر مثلا أغاني روبى ورفيقاتها من مطربات الإثارة ليفجر فيها فتواه.. فلو فعل ما أهتم أحد فقد قيل في أغاني روبى ورفيقاتها العاريات ما قاله مالك في الخمر، فلديه الأدلة الشرعية والموضوعية على سخفها وتجاوزها.بدليل أن أحدا لم يتوقف كثيرا عند فتوى مفتي الديار المصرية الأخيرة لتحريم مسابقة ملكة جمال مصر إذ أن لديه أدلته ومنطقه.أما تحريم أغاني أم كلثوم فهي منطقة- على خطورتها- أكثر جذبا للأضواء وإثارة للجدل .. «برافو يا شيخ».


محمد اقبال

4 - ثم ماذا تقول في الشيخ يوسف القرضاوى؟الا يختلف اثنان على أنه الآن من أكثر أهل الأرض علما بشرع الله، والمرجع الذي تلتفت إليه الأبصار والأفئدة كلما وقع الجدل واختلف الناس في مسائل دينهم .. وكثيرا ما يفعلون.فإذا اتفقنا مبدئيا على هذا الرأي فلنقرأ معاً نص ما قاله في مسألة الغناء وموقف الإسلام منها.


الستباطى

لنقرأ فتوى القرضاوى:

«ما حكم الإسلام في الغناء والموسيقى؟

سؤال تردد على ألسنة كثيرين في مجالات مختلفة وأحيانًا شتى. سؤال اختلف جمهور المسلمين اليوم في الإجابة عنه، واختلف سلوكهم تبعًا لاختلاف أجوبتهم، فمنهم من يفتح أذنيه لكل نوع من أنواع الغناء، ولكل لون من ألوان الموسيقى مدعيا أن ذلك حلال ، طيب من طيبات الحياة التي أباح الله لعباده. ومنهم من يغلق الراديو أو يغلق أذنيه عند سماع أية أغنية قائلا: إن الغناء مزمار الشيطان، ولهو الحديث ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة وبخاصة إذا كان المغنى امرأة، فالمرآة - عندهم - صوتها عورة بغير الغناء، فكيف بالغناء؟ ويستدلون على ذلك بآيات وأحاديث وأقوال. ومن هؤلاء من يرفض أي نوع من أنواع الموسيقى، حتى المصاحبة لمقدمات نشرات الأخبار. ووقف فريق ثالث مترددًا بين الفريقين؛ ينحاز إلى هؤلاء تارة، وإلى أولئك طورًا، ينتظر القول الفصل والجواب الشافي من علماء الإسلام في هذا الموضوع الخطير، الذي يتعلق بعواطف الناس وحياتهم اليومية، وخصوصًا بعد أن دخلت الإذاعة ـ المسموعة والمرئية ـ على الناس بيوتهم، بجدها وهزلها، وجذبت إليها أسماعهم بأغانيها وموسيقاها طوعًا وكرهًا. والغناء بآلة ـ أي مع الموسيقى ـ وبغير آلة: مسألة ثار فيها الجدل والكلام بين علماء الإسلام منذ العصور الأولى، فاتفقوا في مواضع واختلفوا في أخرى. اتفقوا على

تحريم كل غناء يشتمل على فحش أو فسق أو تحريض على معصية، إذ الغناء ليس إلا كلامًا، فحسنه حسن، وقبيحة قبيح، وكل قول يشتمل على حرام فهو حرام، فما بالك إذا اجتمع له الوزن والنغم والتأثير! واتفقوا على إباحة ما خلا من ذلك من الغناء الفطري الخالي من الآلات والإثارة، وذلك في مواطن السرور المشروعة، كالعرس وقدوم الغائب، وأيام الأعياد، ونحوها بشرط ألا يكون المغنى امرأة في حضرة أجانب منها. وقد وردت في ذلك نصوص صريحة ـ سنذكرها فيما بعد. واختلفوا فيما عدا ذلك اختلافًا بينا: فمنهم من أجاز كل غناء بآلة وبغير آلة، بل اعتبره مستحبا، ومنهم من منعه بآلة وأجازه بغير آلة، ومنهم من منعه منعًا باتا بآلة وبغير آلة وعده حرامًا، بل ربما ارتقى به إلى درجة الكبيرة. ولأهمية الموضوع نرى لزامًا علينا أن نفصل فيه بعض التفصيل، ونلقى عليه أضواء كاشفة لجوانبه المختلفة، حتى يتبين المسلم الحلال فيه من الحرام، متبعًا للدليل الناصع، لا مقلدًا قول قائل، وبذلك يكون على بينة من أمره، وبصيرة من دينه. الأصل في الأشياء الإباحة: قرر علماء الإسلام أن الأصل في الأشياء الإباحة لقوله تعالى: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا) (البقرة: 29)، ولا تحريم إلا بنص صحيح صريح من كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو إجماع ثابت متيقن، فإذا لم يرد نص ولا إجماع. أو ورد نص صريح غير صحيح، أو صحيح غير صريح، بتحريم شيء من الأشياء، لم يؤثر ذلك في حيله، وبقى فى دائرة العفو الواسعة، قال تعالى: (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه). (الأنعام: 119). وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا"، وتلا: (وما كان ربك نسيا) (مريم: 64). رواه الحاكم عن أبى الدرداء وصححه، وأخرجه البزار. وقال: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها" أخرجه الدارقطني عن أبى ثعلبة الخشنى. وحسنه الحافظ أبو بكر السمعانى في أماليه، والنووي فى الأربعين. وإذا كانت هذه هي القاعدة فما هي النصوص والأدلة التي استند إليها القائلون بتحريم الغناء، وما موقف المجيزين منها. أدلة المحرمين للغناء ومناقشتها ، فقد استدل المحرمون بما روى عن ابن مسعود وابن عباس وبعض التابعين: أنهم حرموا الغناء محتجين بقول الله تعالى: (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين). (لقمان: 6) وفسروا لهو الحديث بالغناء. قال ابن حزم: ولا حجة فى هذا لوجوه: أحدها: أنه لا حجة لأحد دون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ. والثاني: أنه قد خالفهم غيرهم من الصحابة والتابعين. والثالث: أن نص


الشيخ القرضاوى

الآية يبطل احتجاجهم بها؛ لأن الآية فيها: (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا) وهذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف، إذ اتخذ سبيل الله هزوا. ولو أن امرأ اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزوا لكان كافرا ! فهذا هو الذي ذم الله تعالى، وما ذم قط عز وجل من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويروح نفسه لا ليضل عن سبيل الله تعالى. فبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا . وكذلك من أشتغل عامدا عن الصلاة بقراءة القرآن أو بقراءة السنن، أو بحديث يتحدث به، أو بنظر في ماله أو بغناء أو بغير ذلك، فهو فاسق عاص لله تعالى، ومن لم يضيع شيئا من الفرائض اشتغالاً بما ذكرنا فهو محسن. (المحلى لابن حزم (9/60) ط المنيرية). أ هـ. واستدلوا بقوله تعالى فى مدح المؤمنين: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) (القصص: 55). والغناء من اللغو فوجب الإعراض عنه. ويجاب بأن الظاهر من الآية أن اللغو: سفه القول من السب والشتم ونحو ذلك، وبقية الآية تنطق بذلك. قال تعالى: (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين) (القصص: 55)، فهي شبيهة بقوله تعالى في وصف عباد الرحمن: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما). (الفرقان: 63). ولو سلمنا أن اللغو في الآية يشمل الغناء لوجدنا الآية تستحب الإعراض عن سماعه وتمدحه، وليس فيها ما يوجب ذلك. وكلمة اللغو ككلمة الباطل تعنى ما لا فائدة فيه، وسماع ما لا فائدة فيه ليس محرما ما لم يضيع حقا أو يشغل عن واجب. روى عن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له: أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك ؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات؛ لأنه شبيه باللغو، قال تعالى: (لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم). (البقرة: 225، والمائدة: 89). قال الإمام الغزالي: (إذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم، والمخالفة فيه، مع أنه لا فائدة فيه، لا يؤاخذ به، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص ؟!). (إحياء علوم الدين. كتاب السماع ص 1147 ط دار الشعب بمصر). على أننا نقول: ليس كل غناء لغوا؛ إنه يأخذ حكمه وفق نية صاحبه، فالنية الصالحة تحيل اللهو قربة، والمزح طاعة، والنية الخبيثة تحبط العمل الذي ظاهره العبادة وباطنه الرياء: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". (رواه مسلم من حديث أبى هريرة، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم). وننقل هنا كلمة جيدة قالها ابن حزم فى "المحلى" ردا على الذين يمنعون الغناء قال: (احتجوا فقالوا: من الحق الغناء أم من غير الحق ؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث، وقد قال الله تعالى: (فماذا بعد الحق إلا الضلال) (يونس: 32). فجوابنا وبالله التوفيق: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" (متفق عليه



من حديث عمر بن الخطاب، وهو أول حديث في صحيح البخاري). فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله فهو فاسق وكذلك كل شيء غير الغناء، ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل، وينشط نفسه بذلك على البر فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق. ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه، وقعوده على باب داره متفرجا، وصبغه ثوبه لازورديا أو أخضر أو غير ذلك، ومد ساقه وقبضها، وسائر أفعاله). (المحلى. 9/60). جـ واستدلوا بحديث: "كل لهو يلهو به المؤمن فهو باطل إلا ثلاثة: ملاعبة الرجل أهله، وتأديبه فرسه، ورميه عن قوسه" رواه أصحاب السنن الأربعة، وفيه اضطراب، والغناء خارج عن هذه الثلاثة. وأجاب المجوزون بضعف الحديث، ولو صح لما كان فيه حجة، فإن قوله: "فهو باطل" لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة. فقد ورد عن أبي الدرداء قوله: إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوى لها على الحق. على أن الحصر في الثلاثة غير مراد، فإن التلهي بالنظر إلى الحبشة وهم يرقصون في المسجد النبوي خارج عن تلك الأمور الثلاثة، وقد ثبت في الصحيح. ولا شك أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور، وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل، ولا يحرم عليه شيء منها، وإن جاز وصفه بأنه باطل. واستدلوا بالحديث الذي رواه البخاري - معلقا - عن أبي مالك أو أبي عامر الأشعري - شك من الراوي - عن النبي - عليه السلام - قال: "ليكونن قوم من أمتي يستحلون الحر (الحر: أي الفرج والمعنى يستحلون الزنى). والحرير والخمر والمعازف". والمعازف: الملاهي، أو آلات العزف. والحديث وإن كان في صحيح البخاري، إلا أنه من "المعلقات" لا من "المسندات المتصلة" ولذلك رده ابن حزم لانقطاع سنده، ومع التعليق فقد قالوا: إن سنده ومتنه لم يسلما من الاضطراب، فسنده يدور على (هشام بن عمار) (انظر: الميزان وتهذيب التهذيب). وقد ضعفه الكثيرون. ورغم ما في ثبوته من الكلام، ففي دلالته كلام آخر: إذ هو غير صريح في إفادة حرمة "المعازف"، واستدلوا على تحريم غناء المرأة خاصة، بما شاع عند بعض الناس من أن صوت المرأة عورة. وليس هنالك دليل ولا شبه دليل من دين الله على أن صوت المرأة عورة، وقد كان النساء يسألن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ملأ من أصحابه وكان الصحابة يذهبون إلى أمهات المؤمنين ويستفتونهن ويفتينهم ويحدثنهم، ولم يقل أحد: إن هذا من عائشة أو غيرها كشف لعورة يجب أن تستر. فإن قالوا: هذا في الحديث العادي لا في الغناء، قلنا: روى الصحيحان أن النبي (ص) سمع غناء الجاريتين ولم ينكر عليهما، وقال لأبي بكر: دعهما. وقد سمع ابن جعفر وغيره من الصحابة والتابعين الجواري يغنين. والخلاصة: أن النصوص التي استدل بها القائلون بالتحريم، إما صحيح غير صريح، أو صريح غير صحيح. ولم يسلم حديث واحد مرفوع إلى





رسول الله يصلح دليلاً للتحريم، وكل أحاديثهم ضعفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية. قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب "الأحكام": لم يصح في التحريم شيء. وكذا قال الغزالي وابن النحوي في العمدة. وقال: ابن طاهر: لم يصح منها حرف واحد. وقال ابن حزم: كل ما روى فيها باطل وموضوع. أدلة المجيزين للغناء: تلك هي أدلة المحرمين، وقد سقطت واحدا بعد الآخر، ولم يقف دليل منها على قدميه. وإذا انتفت أدلة التحريم بقى حكم الغناء على أصل الاباحة بلا شك، ولو لم يكن معنا نص أو دليل واحد على ذلك غير سقوط أدلة التحريم. فكيف ومعنا نصوص الإسلام الصحيحة الصريحة، وروحه السمحة، وقواعده العامة، ومبادئه الكلية؟ وهاك بيانها: أولا: من حيث النصوص: استدلوا بعدد من الأحاديث الصحيحة، منها: حديث غناء الجاريتين في بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - عند عائشة، وانتهار أبى بكر لهما، وقوله: مزمور الشيطان في بيت النبي (ص ع)، وهذا يدل على أنهما لم تكونا صغيرتين كما زعم بعضهم، فلو صح ذلك لم تستحقا غضب أبى بكر إلى هذا الحد. والمعول عليه هنا هو رد النبي - صلى الله عليه وسلم - على أبى بكر - (رضى الله عنه) وتعليله: أنه يريد أن يعلم اليهود أن في ديننا فسحة، وأنه بعث بحنيفية سمحة. وهو يدل على وجوب رعاية تحسين صورة الإسلام لدى الآخرين، وإظهار جانب اليسر والسماحة فيه. وقد روى البخاري وأحمد عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي (ص ع): "يا عائشة، ما كان معهم من لهو؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو". وروى ابن ماجة عن ابن عباس قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله فقال: "أهديتم الفتاة؟" قالوا: نعم قال: "أرسلتم معها من يغنى؟" قالت: لا. فقال رسول الله (ص ع): "إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول: أتيناكم أتيناكم .. فحيانا وحياكم؟! وروى النسائي والحاكم وصححه عن عامر بن سعد قال: دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود الأنصاري في عرس، وإذا جوارى يغنين. فقلت: أي صاحبي رسول الله أهل بدر يفعل هذا عندكم؟! فقالا: اجلس إن شئت فاستمع معنا، وإن شئت فاذهب، فإنه قد رخص لنا اللهو عند العرس. وروى ابن حزم بسنده عن ابن سيرين: أن رجلاً قدم المدينة بجوارى فأتى عبد الله بن جعفر فعرضهن عليه، فأمر جارية منهن فغنت، وابن عمر يسمع، فاشتراها ابن جعفر بعد مساومة، ثم جاء الرجل إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، غبنت بسبعمائة درهم! فأتى ابن عمر إلى عبد الله بن جعفر فقال له: إنه غبن بسبعمائة درهم، فإما أن تعطيها إياه، وإما أن ترد عليه بيعه، فقال: بل نعطيه إياها. قال ابن حزم: فهذا ابن عمر قد سمع الغناء وسعى في بيع المغنية، وهذا إسناد صحيح لا تلك الأسانيد الملفقة الموضوعة. واستدلوا بقوله تعالى: (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها





وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين). (الجمعة: 11). فقرن اللهو بالتجارة، ولم يذمهما إلا من حيث شغل الصحابة بهما ـ بمناسبة قدوم القافلة وضرب الدفوف فرحاً بها ـ عن خطبة النبي (ص ع)، وتركه قائماً. واستدلوا بما جاء عن عدد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أنهم باشروا السماع بالفعل أو أقروه. وهم القوم يقتدي بهم فيهتدي. واستدلوا لما نقله غير واحد من الإجماع على إباحة السماع، كما سنذكره بعد. وثانيا: من حيث روح الإسلام وقواعده: لا شيء في الغناء إلا أنه من طيبات الدنيا التي تستلذها الأنفس، وتستطيبها العقول، وتستحسنها الفطر، وتشتهيها الأسماع، فهو لذة الأذن، كما أن الطعام الهنيء لذة المعدة، والمنظر الجميل لذة العين، والرائحة الذكية لذة الشم ... الخ. فهل الطيبات أي المستلذات حرام في الإسلام أم حلال ؟ولو تأملنا لوجدنا حب الغناء والطرب للصوت الحسن يكاد يكون غريزة إنسانية وفطرة بشرية، حتى إننا لنشاهد الصبي الرضيع في مهده يسكته الصوت الطيب عن بكائه، وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه ولذا تعودت الأمهات والمرضعات والمربيات الغناء للأطفال منذ زمن قديم، بل نقول: إن الطيور والبهائم تتأثر بحسن الصوت والنغمات الموزونة ، حتى قال الغزالي في الإحياء: (من لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور وجميع البهائم، إذ الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر ـ لقوة نشاطه في سماعه ـ المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه. فترى الإبل إذا سمعت الحادي تمد أعناقها، وتصغي إليه ناصية آذانها، وتسرع في سيرها، حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها) . وإذا كان حب الغناء غريزة وفطرة فهل جاء الدين لمحاربة الغرائز والفطر والتنكيل بها ؟ كلا، إنما جاء لتهذيبها والسمو بها، وتوجيهها التوجيه القويم، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: إن الأنبياء قد بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتبديلها وتغييرها. ومصداق ذلك أن رسول الله (ص ع) قدم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: "ما هذان اليومان؟" قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية: فقال عليه السلام: "إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر" رواه أحمد وأبو داود والنسائي. وقالت عائشة: "لقد رأيت النبي يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى أهالي الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأمه ـ أي اللعب ـ فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو". وإذا كان الغناء لهوا ولعباً فليس اللهو واللعب حراماً، فالإنسان لا صبر له على الجد المطلق والصرامة الدائمة. قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحنظلة ـ حين ظن نفسه قد نافق لمداعبته زوجه وولده وتغير حاله في بيته عن حاله مع

رسول الله (ص): "يا حنظلة، ساعة وساعة" رواه مسلم. وقال علي بن أبي طالب: روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت. وقال كرم الله وجهه: إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة. وقال أبو الدرداء: إني لأستجم نفسي بالشيء من اللهو ليكون أقوى لها على الحق. وقد أجاب الإمام الغزالي عمن قال: إن الغناء لهو ولعب بقوله: (هو كذلك، ولكن الدنيا كلها لهو ولعب ... وجميع المداعبة مع النساء لهو، إلا الحراثة التي هي سبب وجود الولد، وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال، نقل ذلك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن الصحابة. وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم، فقد ثبت بالنص إباحته. على أني أقول: اللهو مروح للقلب، ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عميت، وترويحها إعانة لها على الجد، فالمواظب على التفكر مثلاً ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة؛ لأن عطلة يوم تساعد على النشاط في سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات. فالعطلة معونة على العمل، اللهو معين على الجد ولا يصبر على الجد المحض، والحق المر، إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام، فاللهو دواء القلب من داء الإعياء، انتهى كلام الغزالي (الإحياء: كتاب السماع ص 1152، 1153)، وهو كلام نفيس يعبر عن روح الإسلام الحقة. القائلون بإجازة الغناء: تلك هي الأدلة المبيحة للغناء من نصوص الإسلام وقواعده، فيها الكفاية كل الكفاية ولو لم يقل بموجبها قائل، ولم يذهب إلى ذلك فقيه، فكيف وقد قال بموجبها الكثيرون من صحابة وتابعين وأتباع وفقهاء؟ وحسبنا أن أهل المدينة ـ على ورعهم ـ والظاهرية ـ على حرفيتهم وتمسكهم بظواهر النصوص ـ والصوفية ـ على تشددهم وأخذهم بالعزائم دون الرخص ـ روى عنهم إباحة الغناء. قال الإمام الشوكاني في "نيل الأوطار": (ذهب أهل المدينة ومن وافقهم من علماء الظاهر، وجماعة الصوفية، إلى الترخيص في الغناء، ولو مع العود واليراع. وحكى الأستاذ أبو منصور البغدادي الشافعي في مؤلفه في السماع: أن عبد الله بن جعفر كان لا يرى بالغناء بأساً، ويصوغ الألحان لجواريه، ويسمعها منهن على أوتاره. وكان ذلك في زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه. وحكى الأستاذ المذكور مثل ذلك أيضا عن القاضي شريح، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، والزهري، والشعبي). وقال إمام الحرمين في النهاية، وابن أبي الدنيا: (نقل الإثبات من المؤرخين: أن عبد الله بن الزبير كان له جواري عوادات، وأن ابن عمر دخل إليه وإلى جنبه عود، فقال: ما هذا يا صاحب رسول الله؟! فناوله إياه، فتأمله ابن عمر فقال: هذا ميزان شامي؟ قال ابن الزبير: يوزن به العقول!) . وروى الحافظ أبو محمد بن حزم في رسالة في السماع بسنده إلى ابن سيرين قال: (إن رجلاً قدم المدينة بجواري فنزل على ابن



عمر. وفيهن جارية تضرب. فجاء رجل فساومه. فلم يهو فيهن شيئا. قال: انطلق إلى رجل هو أمثل لك بيعا من هذا. قال: من هو ؟ قال: عبد الله بن جعفر .. فعرضهن عليه. فأمر جارية منهن. فقال لها: خذي العود. فأخذته. فغنت. فبايعه ثم جاء ابن عمر... الخ. القصة) . وروى صاحب "العقد" العلامة الأديب أبو عمر الأندلسي: أن عبد الله بن عمر دخل على ابن جعفر فوجد عنده جارية في حجرها عود، ثم قال لابن عمر: هل ترى بذلك بأسا ؟ قال: لا بأس بهذا، وحكى الماوردي عن معاوية وعمرو بن العاص: أنهما سمعا العود عند ابن جعفر، وروى أبو الفرج الأصبهاني: أن حسان بن ثابت سمع من عزة الميلاء الغناء المزهر بشعر من شعره. وذكر أبو العباس المبرد نحو ذلك. والمزهر عند أهل اللغة: العود. وذكر الأدفوى أن عمر بن عبد العزيز كان يسمع جواريه قبل الخلافة .قال ابن النحوي في العمدة: وقد روى الغناء وسماعه عن جماعة من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمر. كما رواه ابن عبد البر وغيره. وعثمان. كما نقله الماوردى وصاحب البيان والرافعى. وعبد الرحمن بن عوف. كما رواه ابن أبى شيبة. وأبو عبيدة بن الجراح. كما أخرجه البيهقى. وسعد بن أبى وقاص. كما أخرجه بن قتيبة. وأبو مسعود الأنصاري. كما أخرجه البيهقى. وبلال وعبد الله بن الأرقم وأسامة بن زيد. كما أخرجه البيهقى أيضا. وحمزة كما في الصحيح. وابن عمر. كما أخرجه ابن طاهر. والبراء بن مالك. كما أخرجه أبو نعيم. وعبد الله بن جعفر. كما رواه ابن عبد البر. وعبد الله بن الزبير. كما نقل أبو طالب المكي. وحسان. كما رواه أبو الفرج الأصبهاني. وعبد الله بن عمرو. كما رواه الزبير بن بكار. وقرظه بن كعب. كما رواه ابن قتيبة. وخوات بن جبير ورباح المعترف. كما أخرجه صاحب الأغانى. والمغيرة بن شعبة. كما حكاه أبو طالب المكي. وعمرو بن العاص. كما حكاه الماوردى. وعائشة والربيع. كما في صحيح البخاري وغيره. وأما التابعون فسعيد بن المسيب وسالم بن عبد الله بن عمر وابن حسان وخارجة بن زيد وشريح القاضي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وعبد الله بن أبى عتيق وعطاء بن أبى رباح ومحمد بن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز وسعد بن إبراهيم الزهري. وأما تابعوهم فخلق لا يحصون منهم الأئمة الأربعة وابن عيينة وجمهور الشافعية) . انتهى كلام ابن النحوي. هذا كله ذكره الشوكاني فى نيل الأوطار (جـ 8/264 - 266) . قيود وشروط لابد من مراعاتها: ولا ننسى أن نضيف إلى هذه الفتوى قيودًا لابد من مراعاتها في سماع الغناء. فقد أشرنا في أول البحث إلى أنه ليس كل غناء مباحًا، فلابد أن يكون موضوعه متفقًا مع آداب الإسلام وتعاليمه. فالأغنية التي تقول: "الدنيا سيجارة وكاس" مخالفة لتعاليم الإسلام الذي يجعل الخمر رجسًا من عمل الشيطان ويلعن شارب "الكأس" عاصرها وبائعها وحاملها وكل من أعان فيها بعمل. والتدخين أيضًا آفة ليس وراءها إلا



الجسم والنفس والمال. والأغاني التي تمدح الظلمة والطغاة والفسقه من الحكام الذين ابتليت بهم أمتنا، مخالفة لتعاليم الإسلام، الذي يلعن الظالمين، وكل من يعينهم، بل من يسكت عليهم، فكيف بمن يمجدهم ؟! والأغنية التي تمجد صاحب العيون الجريئة أغنية تخالف أدب الإسلام الذي ينادى كتابه: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم... وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) (النور: 30، 31). ويقول - صلى الله عليه وسلم - يا على: "لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة". ثم إن طريقة الأداء لها أهميتها، فقد يكون الموضوع لا بأس به ولا غبار عليه، ولكن طريقة المغنى أو المغنية في أدائه بالتكسر فى القول، وتعمد الإثارة، والقصد إلى إيقاظ الغرائز الهاجعة، وإغراء القلوب المريضة - ينقل الأغنية من دائرة الإباحة إلى دائرة الحرمة أو الشبهة أو الكراهة ، من مثل ما يذاع على الناس ويطلبه المستمعون والمستمعات من الأغاني التي تلح على جانب واحد، هو جانب الغريزة الجنسية وما يتصل بها من الحب والغرام، وإشعالها بكل أساليب الإثارة والتهيج، وخصوصاً لدى الشباب والشابات. إن القرآن يخاطب نساء النبي فيقول: (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض) . فكيف إذا كان مع الخضوع في القول الوزن والنغم والتطريب والتأثير؟! ومن ناحية ثالثة يجب ألا يقترن الغناء بشيء محرم، كشرب الخمر أو التبرج أو الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء، بلا قيود ولا حدود، وهذا هو المألوف في مجالس الغناء والطرب من قديم. وهى الصورة الماثلة فى الأذهان عند ما يذكر الغناء، وبخاصة غناء الجواري والنساء. وهذا ما يدل عليه الحديث الذي رواه ابن ماجة وغيره: "ليشربن ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها، يعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير". وأود أن أنبه هنا على قضية مهمة، وهى أن الاستماع إلى الغناء في الأزمنة الماضية كان يقتضي حضور مجلس الغناء، ومخالطة المغنين والمغنيات وحواشيهم، وقلما كانت تسلم هذه المجالس من أشياء ينكرها الشرع، ويكرهها الدين. أما اليوم فيستطيع المرء أن يستمع إلى الأغاني وهو بعيد عن أهلها ومجالسها، وهذا لا ريب عنصر مخفف في القضية، ويميل بها إلى جانب الإذن والتيسير. هذا إلى أن الإنسان ليس عاطفة فحسب، والعاطفة ليست حبًا فقط، والحب لا يختص بالمرأة وحدها، والمرأة ليست جسدًا وشهوة لا غير، لهذا يجب أن نقلل من هذا السيل الغامر من الأغاني العاطفية الغرامية وأن يكون لدينا من أغانينا وبرامجنا وحياتنا كلها توزيع عادل، وموازنة مقسطة بين الدين والدنيا. تحذير من التساهل في إطلاق التحريم: ونختم بحثنا هذا بكلمة أخيرة نوجهها إلى السادة العلماء الذين يستخفون بكلمة "حرام" ويطلقون لها العنان فى فتواهم إذا أفتوا، وفى بحوثهم إذا كتبوا، عليهم أن يراقبوا الله فى



قولهم ويعلموا أن هذه الكلمة "حرام" كلمة خطيرة: إنها تعنى عقوبة الله على الفعل، وهذا أمر لا يعرف بالتخمين ولا بموافقة المزاج، ولا بالأحاديث الضعيفة، ولا بمجرد النص عليه فى كتاب قديم، إنما يعرف من نص ثابت صريح، أو إجماع معتبر صحيح، وألا فدائرة العفو والإباحة واسعة، ولهم في السلف الصالح أسوة حسنة. قال الإمام مالك رضي الله عنه: ما شيء أشد عليّ من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ لأن هذا هو القطع فى حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا، وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه، ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام في الفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غدا لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب وعليا وعامة خيار الصحابة كانت ترد عليهم المسائل - وهم خير القرون الذين بعث فيهم النبي (ص) فكانوا يجمعون أصحاب النبي (ص) ويسألون، ثم حينئذ يفتون فيها، وأهل زماننا قد صار هذا فخرهم، فبقدر ذلك يفتح لهم من العلم". هذا هو نص فتوى القرضاوى.. وأتوقف عنده ببعض الملاحظات:

1- العجب من فقهاء التحريم، الذين يبنون أحكامهم المتشددة على اجتهادات شخصية ما أنزل الله بها من سلطان، ويطالبون الناس بالالتزام بها وكأنها معلوم من الدين بالضرورة.

2 - هذه الجرأة الغريبة على الفتوى فى هذا الزمان، والتي وصفها الشيخ القرضاوي بأنها "شهوة"، في حين كان أصحاب النبي يفرون منها من خشية الله، وخوفا من الخطأ وما يترتب عليه.

3 - هذه السماحة التي كان يتعامل بها النبي وصحابته وتابعوه مع مسألة الغناء، وأظن أنهم كانوا أكثر سماحة من فضيلة مفتى الفضائيات الآن خالد الجندي، الذي يكاد يكون على شفا حفرة من الانضمام إلى مشايخ التكفير الذين ابتلينا بهم، وسودوا الدنيا في وجوهنا، وكرّهونا في عيشتنا، وجرجروا الناس إلى المحاكم، و«هججوهم» من البلد قبل أن يلحقهم مصير فرج فوده أو نجيب محفوظ. وأدلل على هذا الرأي بواقعة تعود إلى شهر أبريل عام 2002، وفى ركن الفتاوى نفسه على الأوربت الذي يجلس الشيخ خالد الجندي على عرشه فجرّ قنبلة أحمد الله أن أحدا لم يلتفت إليها فى حينها، وإلا لأشعلت فتنة طائفية في البلد (وكأنها ناقصة). يومها قال سيف الله المسلول، إن كل من لم يؤمن بنبينا محمد فهو كافر حتى ولو كان من أهل الكتاب (المسيحيين واليهود). وكشف مفتى الفضائيات عن وجه متعصب وهو يدلل على وجهة نظره بأن أهل تلك الديانات يرون من يؤمن بالإسلام كافرا، خاسرا لملكوت الله، مع أنهم على ضلال وكفر مبين لعدم أتباعهم ملة الإسلام..!!استبيحت والله الفتوى كما قالت عيون مفتى الديار المصرية، وابتلينا بمصابين بشهوة الفتوى بغير علم، كما قال الشيخ القرضاوي، وفرضت الفضائيات علينا مشايخ يتجرأون على الفتوى التي كان يهرب منها سيدنا عمر بن



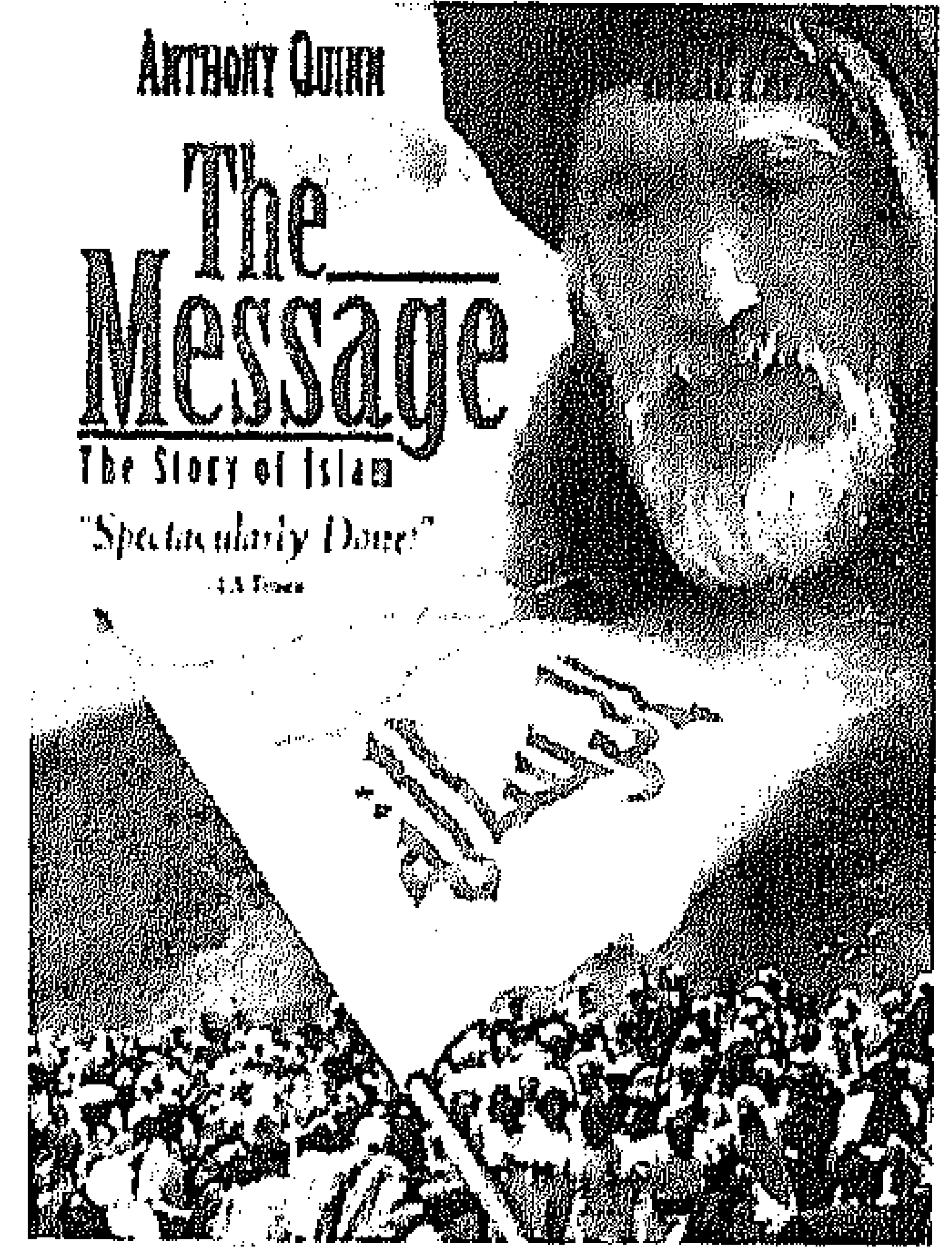
الخطاب، ويشاور العارفين قبل أن ينطق بكلمة، وهو الفاروق! ملف الشيخ خالد الجندي يقول إنه تخرج في قسم الحديث بكلية أصول الدين، وعمل موظفا في وزارة الأوقاف لسنوات براتب حكومي متواضع لا يزيد على 120 جنيها، وهو ما جعله يضيق بالوظيفة وجنيهاتها التعيسة ويقرر أن يحترف الدعوة وسرعان ما ظهرت بركاته، وأصبح مطلوبا في بيوت الأثرياء والأمراء لإحياء حفلات الوعظ والدموع، التي تنتهي غالبا بوجبة كباب ساخنة!ومع هوجة الفضائيات قفز اسم خالد الجندي إلى شاشاتها، ونصب نفسه مفتيا.. ولأنه يعرف أن المنافسة على أشدها بين الفضائيات وبعضها، وبين مشايخها وبعضهم فقد قرر أن يكون في الأضواء دائما، فلا تمر فترة دون فتوى تثير الزوابع.. أفتى بأن أهل الكتاب كفرة سيدخلون جهنم.. وأفتى بأن أهل السنة وحدهم على الحق، وأنهم سيدخلون الجنة دون غيرهم من الفرق الإسلامية.ولن تكون أخرها فتواه بتحريم أغاني أم كلثوم، التي أسمعها الآن ترد عليه: أروح لمين وأقول يا مين ينصفني منك!



وختاما ليس هناك أروع ولا أطرف ولا أعمق من تلك السطور المنسوبة إلي شيخ الأزهر في القرن الثالث عشر الهجري الأمام الأكبر الشيخ حسن العطار لتكون مسك الختام.. انه يقول:
"من لم يتأثر برقيق الأشعار، تتلى بلسان الأوتار على شطوط الأنهار في ظلال الأشجار، فذلك جلف الطبع حمارا"،
شيخ الأزهر أحل السماع في القرن الثالث عشر الهجري.. ويأتي أحفاد أحفاده، وتلاميذ تلاميذه ليحرموه في عام 1426هجرية.. يا لضيعة الفتوى!



"الرسالة".. الفيلم الحرام!





عندما حزم الشاب مصطفي العقاد حقائبه في طريقه للطائرة التي أقلته إلي أمريكا لدراسة الإخراج السينمائي عام 1954، وضع والده الشيخ السوري المتدين في جيبه الأيمن 200 دولار، هي كل ما أستطاع أن يدبرها لأبنه ليستعين بها على المجهول. وفي الجيب الأخر دس مصحفا صغيرا بعد أن قبله برفق، وكأن القبلة كانت رسالة للابن الشاب بأن لا ينسى دينه في بلاد الغرب بكل ما فيها - كما يتصور - من مغريات تدير الرءوس وتقلب المباديء وتفسد الإيمان!!

لم يكن المصحف والمائتي دولار هما كل ما حملها إبن حلب مصطفي العقاد - المولود في عام 1933 – بل كان يحمل في عقله "مركب نقص" وشبه اليقين بضآلة الثقافة العربية المهزومة أمام نظيرتها الطاغية التي حط رحاله في بلادها.

إسمع إلي نص كلماته بلا رتوش وهو يحكى عن تلك الواقعة: "كنت أعتقد أنني أقل ممن حولي، وأنهم أفضل منى بكثير، وأنه من الصعب إن لم يكن مستحيلا أن أكون مثلهم. ولكن بمجرد جلوسي على مقعد الدراسة، ومع الاختلاط بعدة جنسيات اكتشفت انه لا ينقصني شيء لأني مسلم وعربي،بل على العكس، فأنا ومنذ الحصة الدراسية الأولي أدركت أنه لا فرق بيني وبين أي طالب غربي أخر، وأنني أمتلك كل المقومات التي تجعلني أتفوق عليهم. وعندما عرفت المجتمع هناك أدركت أنني أفضل منهم وقدرت قيمة الأخلاقيات التي رباني عليها والدي .. وبعد هذا الاكتشاف حدث انقلاب في تفكيري، ومركبات النقص تحولت إلي ثقة، ومن هذه النقطة بدأت أدرس حضارتنا العربية لأعمق الإحساس في داخلي بأنني الأفضل، وبأننا كنا نتسيد العالم فيما كانوا هم عبارة عن مجموعة من الهمج، وأننا كنا متقدمين في فروع العلم ، فيما كانوا هم يعانون من الجهل والتخلف. وتلك هي

الأشياء التي حلمت من وقتها بأن أقدمها على الشاشة في أفلام سينمائية، وأن أقدم الأيام التي حكمنا فيها الأندلس ، وعلّمنا الهمج والجهلاء الأوربيين وقتها الفلك والطب ووضعنا أقدامهم على سلم الحضارة"



رجل بهذا الإيمان وهذا اليقين بحضارته العربية الإسلامية، لابد أن تكون نيته إذا ما صنع فيلما عنها هي إنصاف الاسلام وأهله، وتقديمه في أبهي صورة، وإلقاء الضوء على جوانب العظمة في الرسالة وصاحبها. بتلك الروح أقدم العقاد على فيلمه "الرسالة" الذي يروى فيه السيرة النبوية بكل ما تحمله من جلال وكفاح وحضارة ودعوة لرقى الإنسان، وهو ما عبر عنه في تلك السطور التي كتبها في لوحة على تترات الفيلم: "إن الرسول (ص) الذي إصطفاه ربه ليحمله ما لا تطيقه الجبال لأجل قدرا وأبعد مثالا من أن يظهر بصورته أو ينطق بصوته إنسان.. لذلك لن يظهر الرسول الكريم (ص) لا صورة ولا صوتا ولا ظلا طوال أحداث الفيلم".

وكأن العقاد أراد أن يضرب عصفورين بلوحة واحدة، فيثبت إجلاله للنبي ورسالته، ويؤكد للمتشددين من رجال الدين أنه ملتزم بشرطهم الصارم بعدم ظهور الأنبياء على الشاشة.



وحتى يأتي الفيلم بأثره وتأثيره كاملا أنجزه العقاد في نسختين، الأولي ناطقة بالعربية قام ببطولتها عبدالله غيث ومني واصف، والثانية ناطقة بالإنجليزية إستعان فيها باثنين من أشهر نجوم هوليود: أنطوني كوين وإيرين باباس، كما استعان بكونسلتو من أقدر كتاب الدراما التاريخية: توفيق الحكيم، عبدالحميد جودة السحار، د. أحمد شلبي، عبد الرحمن الشرقاوى ، ومعهم هاري كريج السينارست العالمي، بالإضافة إلي مستشارين من الأزهر هما د. عبد المنعم النمر، ود. عبد الرحمن بيصار، لمراجعة الوقائع الدينية، ومطابقتها لما جاء في الكتاب والسنة والسيرة النبوية الصحيحة.

وحصل العقاد علي موافقة الرقابة، وخرج السيناريو من دهاليزها دون أن تحمل أوراقه أي ملاحظات رقابية تلفت النظر، أو تدعو إلي الغضب، بل جاءت تقارير الرقابة تميل إلي التعاطف مع الفيلم وهدفه، وصدرت الموافقة في 9 يونيه 1973 مشروطة بأن يعاد عرض الفيلم عليها بعد تصويره لمطابقته بالسيناريو المصرح به. وقالت تأشيرة أمين مجمع البحوث الإسلامية بالنص: "وأن موافقة المجمع لن تكون نهائية إلا بعد مشاهدة الفيلم وقبل العرض علي الجمهور" وفي نشوة حماسه للفيلم، وإدراكه أنه يخدم الإسلام، واستعانته باثنين من كبار علماء الأزهر للإشراف علي تنفيذه ، نسي مصطفي العقاد أن يقوم بعرض الفيلم بعد تصويره علي مجمع البحوث الإسلامية، ظنا أنه مجرد شرط روتيني لا أهمية له، ولم يكن يدري أن هذا السهو سيكلف الفيلم غاليا، وسيتسبب في حرمانه من العرض المشروع في دور العرض

المصرية ووسائل إعلامها الرسمية.
كانت موافقة مجمع البحوث الإسلامية شرطا ليخرج الترخيص النهائي من الرقابة، وفي حين أعتبر أعضاء المجمع أن مسارعة مخرج الفيلم بعرضه دون الرجوع إليهم بشريط الفيلم بمثابة استهانة بهم، فقد قرروا معاقبته بسكين الروتين القاتل ولأن المسئولين في الرقابة يعرفون أنه لابد من تأشيرة المجمع لاستيفاء الإجراءات، فقد بادروا بمخاطبة أمين المجمع لحسم موقفه إزاء الفيلم، خاصة أن الشركة الموزعة كانت قد أرسلت إلي الرقابة طلبا للترخيص بعرضه، والرقابة ملزمة قانونيا بالرد خلال ثلاثين يوما من تلقي الطلب.

وجاء رد المجمع "مائعا"، لا يحمل رأيا قاطعا بالمنع أو الأجازة: "لا جدوى من مشاهدة الفيلم بعد عرضه علي شعوب العالم".

وفي حين فسر الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور بحكم منصبه يومها كمساعد لرئيس المجلس الاعلي للثقافة للشئون الثقافية تأشيرة المجمع علي أنها "إباحة" بعرض الفيلم، إلا أن الرقابة لم تركن إلي هذا التفسير باعتباره خيالات شاعر. وعادت تخاطب المجمع من جديد للحصول علي تأشيرة قانونية وليست شاعرية.. وحاولت الرقابة أن تلتمس الأعذار لمخرج الفيلم الذي تهور بعرضه دون الرجوع بنسخته النهائية إلي المجمع، خاصة وأن "تقصير القائمين علي الفيلم في تنفيذ تعهدهم بتقديم الفيلم للأزهر بعد تصويره وقبل عرضه علي الجمهور لا ينبغي أن يكون له تأثير، إذ أن ذلك التقصير لا يمكن أن يقف حائلا دون إبداء الرأي في طلبهم الترخيص بعرض الفيلم في مصر طبقا للقانون من عدمه، حيث ما يهمنا هو الإجازة من جانب فضيلتكم علي عرض الفيلم من عدمه"



وفي 24يونيه 1981 تلقت الرقابة خطابا موقعا من الأمين العام للمجمع د. الحسيني هاشم يفصح فيه عن غضبه من العقاد، وتشم في سطوره نية المجمع بمعاقبته علي "جريمته" بعرض الفيلم دون الرجوع إليه، واعتبار تأشيرة المجمع النهائية "العربة" التي تقف في طريق الحصان.. قال رد المجمع: "إننا مازلنا عند رأينا الموضح في كتابنا المؤرخ في 29 فبراير 1981، ويتلخص في أن القائمين علي أمر الفيلم أغفلوا دور الأزهر في ضبط القيم الإسلامية ، بناء علي ما خوله له القانون رقم 103 لسنة 1961، والذي هو ملتزم به تماما، وبناء علي دوره في الحفاظ علي الشريعة الإسلامية وتنقيتها مما يؤذى شعور المسلمين ، فالأزهر عندما يغلق هذا الباب فإنه لا يري أنه مسئول عن هذا، بل إن المسئولية تقع أولا وأخيرا علي من تجاهلوا توجيهاته ولم ينفذوا ما أشترطه الأزهر وتعهدوا هم به، فعرضوا الفيلم علي الجماهير في شرق العالم وغربه، وبذلك "افلتوا" من رقابة الأزهر (روزاليوسف 9\2\2002).

كان العقاب قاسيا، ولا يتناسب مع جريمة "السهو" التي أرتكبها

العقاد بحسن نية. فلابد أنه أعتمد علي شهادة أمين المجمع السابق د. محمد عبدالرحمن بيصار، في خطابه الرسمي لمنتج ومخرج الفيلم، والذي وقعه في 9 يونيه 1973 وأجاز فيه السيناريو بقوة، مؤكدا أنه "صحيح في مادته وليس لدي المجمع مانع في تصويره".

كما أعتمد علي حماس الرقابة العلني للفيلم، حتى أن مديرة الأفلام العربية يومها السيدة نعيمة حمدي التي اشتهرت بلقب المرأة الحديدية عندما تولت مسئولية الرقابة كتبت تقريرا تمتليء سطوره بالإعجاب والحماس بـ "الرسالة". وتؤكد في تقريرها المؤرخ في 9 يناير 1980: "إننا أحوج ما نكون فيه إلي مشاهدة مثل هذه النوعية الهادفة من الأفلام التي تحث علي الخلق والجهاد في سبيل الحق، كما توقظ الإيمان وتعمقه في نفوس المسلمين ولا شك أن النسخة الإنجليزية للفيلم ستقوم بدور عظيم في نشر الدعوة الإسلامية وتعريف العالم بحقيقة الإسلام".



الشيخ بيصار

بل إن هذا الحماس الرقابي النادر جعل الرقباء يتجاوزون عما أعتبروه أخطاء وإسرائيليات مدسوسة علي التاريخ الإسلامي، مثل واقعة هبوب عاصفة رملية عنيفة اقتلعت معسكر المشركين في غزوة بدر، في حين أن كتب السيرة الموثوق بها تشير إلي أن تلك العاصفة كانت في غزوة "الخندق" وليس "بدرا".

ومثل ورود اسم أمين الوحي جبريل في ترجمة النسخة الإنجليزية من الفيلم في متن الآية القرآنية" قالت أني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا"، في حين أن الآية لا تشتمل صراحة عليه، إذ تسامح الرقباء مع هذا الخطأ، علي اعتبار إن إضافة اسم جبريل للإيحاء بأنه هو الذي قال، كما أنه بالرجوع إلي المصحف المفسر للأستاذ محمد فريد وجدي ، ذكر أن الملاك الذي نزل علي مريم هو جبريل عليه السلام، وبالتالي يجب التجاوز عن هذه الملحوظة، لأن "الترجمة هنا ترجمة لمعاني القرآن ، وقد تصرف المترجم لتوضيح المعني للمشاهد الأجنبي، حيث أن حذف الكلمة المذكورة - جبريل - من الشريط سيكون له تأثير ضار علي تسلسل المعني، والإبقاء عليها يأتي لصالح المعني والعمل، خشية أن يفهم المشاهد الأجنبي أن الله عز وجل هو الذي كان يخاطب مريم، وهو الذي "قال" بما يخل المعني ويمثل تدخلا مرفوضا".

اعتمد العقاد علي هذا الحماس، كما ظن أن الإشادة العلنية بالفيلم التي سمعها بأذنيه من شيوخ أجلاء ينتمون لمؤسسة الأزهر، حضروا العرض الخاص للفيلم، ستشفع له عند مجمع البحوث الإسلامية، وستكون بمثابة تأشيرة شفوية بالإجازة تغنيه عن التأشيرة الروتينية.

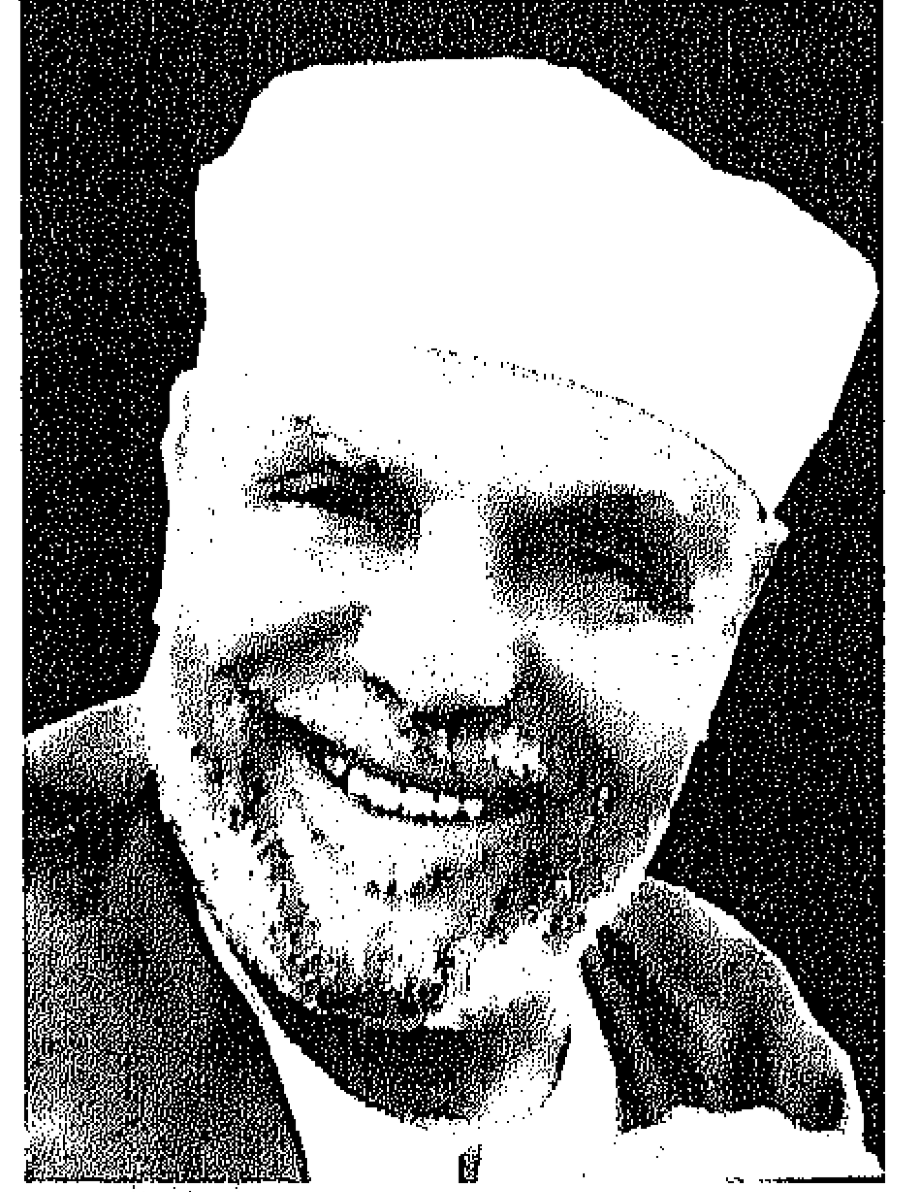
وليس سرا أن الشيخين الجليلين أحمد حسن الباقوري ومتولي الشعراوي كانا علي رأس الحضور في العرض الخاص للفيلم ، وكما

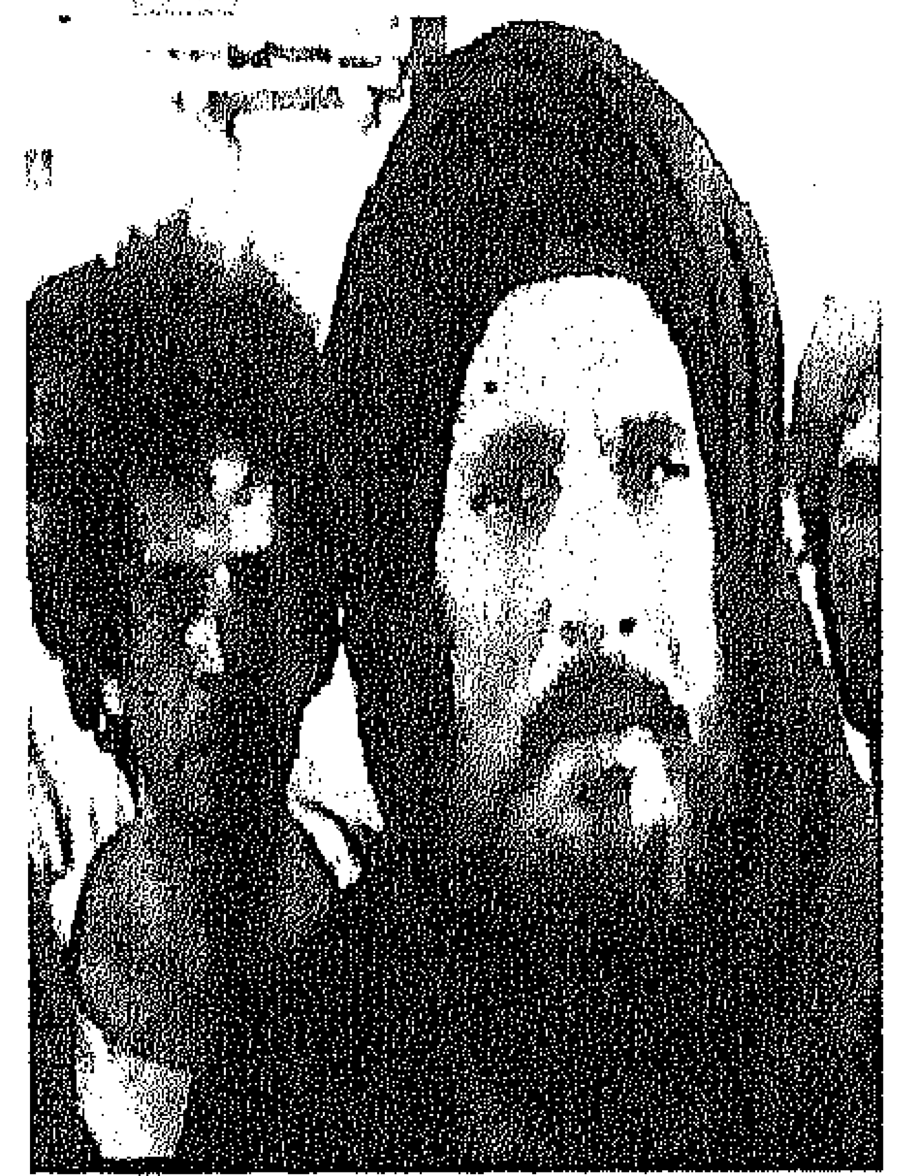
روى لي العقاد في حوار مطول معه نشرته علي صفحات جريدة القاهرة في عددها رقم 186 الصادر في 30 أكتوبر 2003، فإن الشيخ الشعراوي الذي كان يجلس بجواره قام وعانقه علي رؤوس الأشهاد إعجابا بالفيلم، وقال له وهو يشد علي يديه: نطلب المزيد.

وكما تراجع مجمع البحوث الإسلامية عن حماسه للفيلم، وتحول من جهة مشجعة إلي مانعة، فوجيء العقاد بتحول مماثل في موقف الرقابة.

كان التحول الأخير مدهشا. فقبله بوقت غير بعيد قدم عضوان بالبرلمان المصري هما سامي أباظة وعلي راشد إستجوابا لوزير الثقافة عن أسباب عدم عرض الفيلم، وكان رد الوزير أن الفيلم لا يحمل أي موانع رقابية، فما الذي تغير حتى تصدر توصية من الرقابة بعدم عرضه "لتعارضه مع النظام العام للدولة في الظروف الراهنة".

أثار القرار بالمنع الذي صدر في منتصف أغسطس 1980 استغرابا شديدا، وهو ما عبر عنه الكاتب الراحل عبدالسلام داود في عموده اليومي "علامة استفهام" بجريدة الأخبار ، ومن المناسب أن ننقله هنا بنصه: "آخر ما كان يخطر علي قلب بشر، بعد المناقشة الموضوعية التي أسهم فيها كبار علماء الدين وأعضاء مجلس الشعب، أن يكون رد فعل الرقابة بالنسبة لفيلم الرسالة أن "يمنع من العرض لتعارضه مع النظام العام للدولة نظرا للظروف الراهنة"، فرغم ما يثيره هذا القرار المفاجيء من حيرة بالغة تفوق الحيرة التي أثارها رد السيد مدير الأعلام بالأزهر فلا مفر من التسليم بأن الجهتين - الرقابة والأزهر - تمارسان حقها المشروع، فقط نود أن نفهم - ولعل الجهتين المذكورتين لا تحرمنا من هذا الحق - كيف يتعارض النظام العام للدولة مع فيلم ديني إسلامي؟ وما هي الظروف الراهنة التي تمنع عرض فيلم يشيد بالإسلام؟ وكيف يكون رأي الأزهر الشريف هو تحريم التمثيل بكافة صوره، في الوقت الذي ازدهر فيه عرض الأفلام والمسلسلات الدينية في التليفزيون أحد الأجهزة الرسمية للدولة؟". (انتهى الاقتباس)


الشيخ الشعراوى

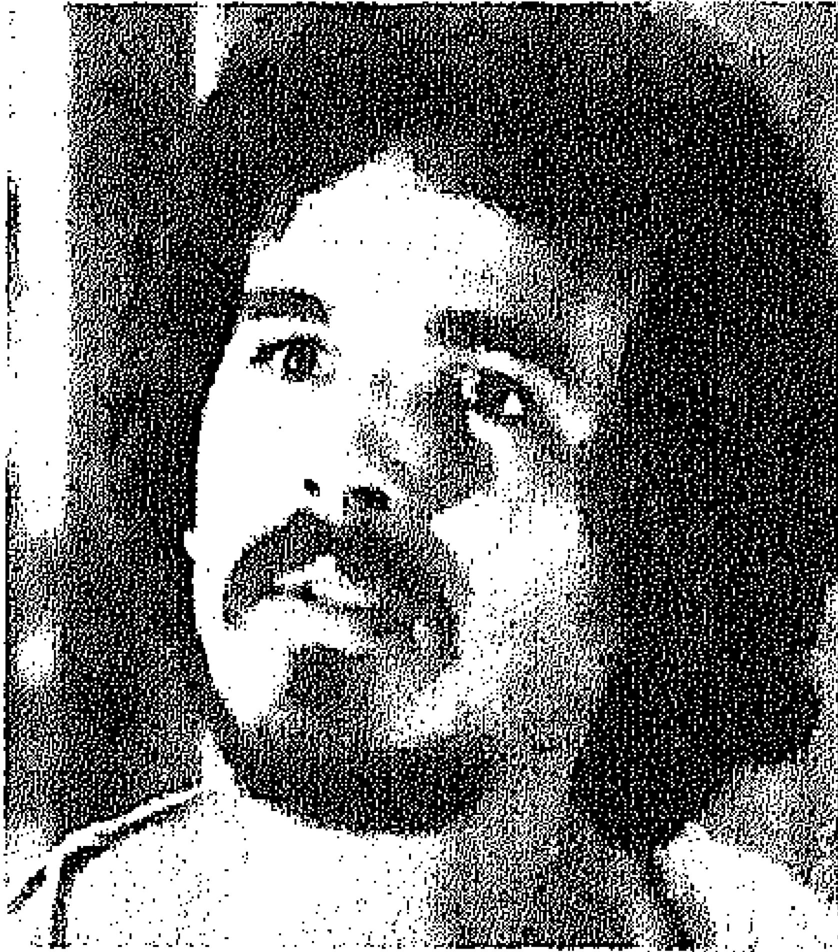


وتعددت الأسباب في تفسير المنع ، فإلي جانب تعنت مجمع البحوث ومشايخ الأزهر انتقاما من صاحب الفيلم علي تجاهله تقديم الشريط إلي المجمع، وعرضه قبل حصوله علي الختم النهائي، هناك أيضا تفسير يشير إلي حمزة بن عبد المطلب، عم النبي، والذي يظهر بشخصيته الحقيقية، فيما عده بعض المشايخ تجاوزا لا يليق بأسد الله، وبحق الأجلاء من صحابة رسول الله، ولكنه تفسير متهافت،تتلاشي أعمدته عندما نجد أن صحابيا جليلا أخر كبلال بن رباح يظهر بلحمه في الأحداث دون أن يلفت نظر المعترضين.

هناك إذن سر في هذا المنع، لعل العقاد هو أول من أمسك بطرف

خيطه عندما أشار إلي حالة الرفض التي قوبل بها عندما ذهب إلي السعودية للحصول علي تصريح من رابطة العالم الإسلامي، وهي من أعلي السلطات الدينية في المملكة، وحضر اللقاء يومئذ مفتي السعودية الأشهر الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

وطبقا لما حكاه لي العقاد في حوارنا المشار إليه: "كانت المأساة عندما تطلب الامر موافقة رابطة العالم الإسلامي، ومازلت أذكر الحوار الذي دار بيني وبين المسئولين فيها.. سألني رئيسها واسمه الشيخ سرور الصبان: ما الهدف من الفيلم؟! أجبت: أن يعرف العالم الإسلام الحقيقي. فقال بدهشة: اللي عايز يعرف الإسلام يقرأ القرآن! قلت: لكن هناك أجانب لا يعرفون العربية، وممكن أن ننقل لهم الإسلام عن طريق الدراما.. وكان الشيخ ابن باز حاضرا المناقشة فقال لي: لكن الصورة حرام شرعا. قلت له :وأنا أدرس في جامعة كاليفورنيا الأمريكية علموني أن مخترع نظرية التصوير رجل عالم مسلم اسمه الحسن بن الهيثم الاندلسي.. ثم أنكم تنشرون صورة الملك فيصل في صحفكم؟ بلهجة تقريرية.. علق: هذا تجميد للظل مسموح به..أما السينما فتعتمد علي الصورة المتحركة وكأنك تخلق فيها روحا! وسألني أخر: هل ستستخدم الموسيقي في الفيلم؟ قلت: طبعا! واصل قوله: ألا تعرف أن البيت الذي تدخله الموسيقي تهرب منه الملائكة؟ قلت لهم بشيء من الحدة: يا جماعة.. الأمريكان نزلوا علي القمر وأنتم تحرمون الموسيقي في فيلم يخدم الإسلام؟!


محمد العربى

رد أحدهم: مين قال لك إن الأمريكان نزلوا علي القمر؟! هذه صور كاذبة يضحكون بها علي العالم!

ووصلت المناقشة العبثية إلى طريق مسدود، واستأذنت في الانصراف، ومن حينها وفيلمي مسموح به في العالم كله، وممنوع في مصر وسوريا والسعودية.. بالطبع بتأثير رابطة العالم الإسلامي" (السعودية)



وضع مصطفي العقاد يده علي السر، ولكن تفسيره يلزمه كثيرا من التفاصيل حتى تتضح الصورة. التفاصيل تؤكد أن حالة الرفض التي أعلنها مشايخ رابطة العالم الإسلامي تجاه "الرسالة" لم يقتصر تأثيرها علي المملكة وحدها، بل امتد خارج حدودها ، وكان من ضمن الاكتشافات المهمة في ملف "الرسالة" تلك الوثيقة المهمة التي نشرها الزميل مجدي الطيب في عدد روزاليوسف المشار إليه،وتمثل تحريضا سافرا علي الفيلم ، ففي 17 يوليو من عام 1978 تلقي السفير المصري في الرياض رسالة بتوقيع الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي محمد علي الحركان يشير فيها إلي أن المجلس التأسيسي للرابطة أتخذ قرارا أثناء انعقاد دورته التاسعة عشرة بمقر الأمانة العامة للرابطة بمكة المكرمة، وذلك بعد مناقشات مستفيضة لفيلم الرسالة؛ والمحاولات التي يبذلها صناعة لعرضه في البلدان الإسلامية، ويقضي القرار بتكليف الأمانة العامة للرابطة بمخاطبة العواصم

الإسلامية كتابيا لحثها علي مقاطعة الفيلم.

مذكرة الحركان للسفير المصري تضمنت مناشدة صريحة للحكومة المصرية "بعدم الموافقة علي دخول الفيلم إلي بلادكم أو السماح بعرضه بأي حال من الأحوال".

فهل استجابت الحكومة المصرية للمناشدة؟! وهل كان الانقلاب الذي حدث في موقفي مجمع البحوث الإسلامية والرقابة علي المصنفات الفنية، وتحولهما من الحماس الكامل إلي الوقوف في جبهة الرفض بتأثير الموقف السعودي تماشيا معه واستجابة لنفوذه؟!



ويبدو أن مخرج الفيلم ومنتجه في رحلة بحثه عن إجابة حاسمة لهذه الأسئلة الصعبة أراد أن يقطع الشك باليقين فأقام دعوى قضائية، إختصم فيها جهات المنع، مطالبا بمعرفة الأسباب الحقيقية التي تجعلها "تغتال" فيلما يخلو من الموانع الرقابية، ويقدم صورة مشرقة عن الإسلام باعتراف كل من شاهده، بما فيهم الرقابة والأزهر؟! الأمر الذي يدعو للعجب أن عددا من الفضائيات العربية الخاصة - دريم علي سبيل المثال - قامت بعرض الفيلم علي شاشتها دون إذن من الأزهر أو الرقابة أو حتى مخرج الفيلم ومنتجه نفسه، في حين أن الدعوى القضائية المطالبة بإباحة العرض لا تزال منظورة أمام القضاء طوال أكثر من ثلاثين عاما.. ولم تحسم حتى الآن!!

ثلاثون عاما من المناقشات والمداولات والمخاطبات والدعاوى القضائية كانت كفيلة بأن تسلم صاحب الرسالة إلي حالة من الغضب الممزوجة بيأس خانق ذهبت معه إلى قبره. أستعيد كلماته لي: أنا متشائم جدا بأحوال أمتنا لا توجد نقطة ضوء واحدة تستحق أن نتفاءل من أجلها.. أتصور أحيانا أن أوضاعنا في ظل الاستعمار القديم كانت أفضل من أحوالنا الآن تحت "الاحتلال الوطني".. ما في مرة زرت فيها بلداننا العربية، إلا ورجعت ودمعة في عيني وغصة في قلبي تجعلني أترحم علي أيام الاحتلال الإنجليزي والفرنسي، فقد كانت أوضاعنا الأدبية والثقافية أفضل علي الأقل مما نعيشه الآن!"، وجاء مصطفى العقاد فى إحدى الزيارات ولم يرجع.. فقد اغتالته يد الإرهاب.



ملايين علي امتداد العالم الإسلامي شاهدوا "الرسالة" عبر شرائط الفيديو وشاشات الفضائيات والوسائط الإلكترونية.. شاهدوه واستمتعوا به وأجمعوا علي عبقرية مخرجه ونبل رسالته، في حين يظل فيلم الرسالة في سجلات المؤسسة الدينية الرسمية يقبع في خانة الممنوع، ويحتل لقب.. الفيلم الحرام!

"الحسين شهيداً"..

وممنوعاً!



جلال الشرقاوى



عبد الرحمن الشرقاوى

عاش المخرج الكبير جلال الشرقاوى شعورين قمة فى التناقض، أولهما كان مزيجا من الألم والدهشة، بعد أن فوجىء بلجنة مهيبة من 18 فردا تدخل عليه مسرحه، لتعاين تجهيزات الأمان ومقاومة الحريق، التى أنجزها فى مسرح الفن، كشرط لاستمرار العمل على خشبته، وأمهلته أجهزة الدولة شهرين لاتمامها، وجاءت بعدها حملة التفتيش المهيبة، التى استدعت السخرية من المخرج الكبير، فهمس لى: أظن أن اللجنة التى شكلها عمرو بن العاص لبناء القاهرة بعد الفتح الاسلامى كانت أقل عددا من هذه اللجنة التى جاءت لمعاينة طلمبات الحريق فى المسرح.. إيه كل الناس دى.. يكون عندى أسلحة دمار شامل فى المسرح وأنا مش عارف؟!

ولم تستطع الابتسامة التى رسمها على وجهه فى ذلك الصباح متقلب المناخ أن تمنع مشاعر الغضب والألم والدهشة من أن تطل من عينيه.

أما الشعور الثانى فكان على العكس.. مزيجا من الابتهاج والحماس والفرح، أما السبب فهو خبر نقلته إليه، يقول إن الاستعدادات تجرى على قدم وساق لإنجاز أول عمل درامى عن سيرة سيد الشهداء، وابن بنت النبى الأعظم مولانا الإمام الحسين رضى الله عنه وأرضاه.

وفى التفاصيل أن المنتج الكويتى محمد العنزى حصل على كل الموافقات الدينية ممثلة فى ست فتاوى رسمية، بين فقهاء ومؤسسات شيعية وسنية لإنجاز مسلسل عن سيرة الحسين، وأنه شرع فى التنفيذ فعلاً، واختار النجم السورى سامر المصرى لتجسيد شخصية الإمام الحسين، وبلدياته الفنان سلوم حداد فى دور معاوية، أمام دور ابنه يزيد فاستقر عند خالد القيش.. وسيجمع العمل نجوما من جميع البلدان العربية، يتقدمهم من

مصر الفنان أحمد راتب، وستزيد ميزانية المسلسل على ثلاثة ملايين دولار. وأسندت كتابته إلى السورى محمد اليسارى، وإخراجه إلى عبدالبارى أبو الخير. الذى عمل مساعدا للمخرج السورى المعروف حاتم على طويلا، وقد بدأ التحضير بالفعل ليكون العمل جاهزا فى رمضان القادم. (عرض بالفعل فى رمضان 2011) وسيكون تصويره بين سوريا ولبنان، وأوشك مؤلفه على الانتهاء من نصه الأخير، ويجرى عرضه على أساتذة فى التاريخ الاسلامى قبل تقديمه إلى الرقابة السورية.

وأكد منتجه العنزى الذى ذاع اسمه مؤخراً بعد إنتاجه مسلسل خالد بن الوليد، أن مسلسله الجديد عن الإمام الحسين سيتجاوز الفتنة النائمة بين السنة والشيعة، ولن يفتح الجراح القديمة، وستبنى أحداثه على قاعدة حسن الظن بالصحابة، دون إساءة لأحد أو تجريح لشخص، لأن الفتاوى التى أجازت له العمل اشترطت عليه الالتزام بالروايات التاريخية المعتدلة والمنصفة التى لا تسىء إلى آل البيت أو الصحابة الكرام، واختيار فنانين لأدوارهم يتسمون بالخلق والاعتدال.


أحمد راتب

كان الفرح يقفز من عينى جلال الشرقاوى وهو يتابع التفاصيل، التى كانت كل جملة بها توقظ حلمه الكبير بوقوف الحسين على خشبة المسرح وهو حلم قديم عانى فى سبيله، ولم يفقد الأمل فى تحقيقه، رغم أن كل الأبواب أوصدت فى وجهه إلا باب السماء!

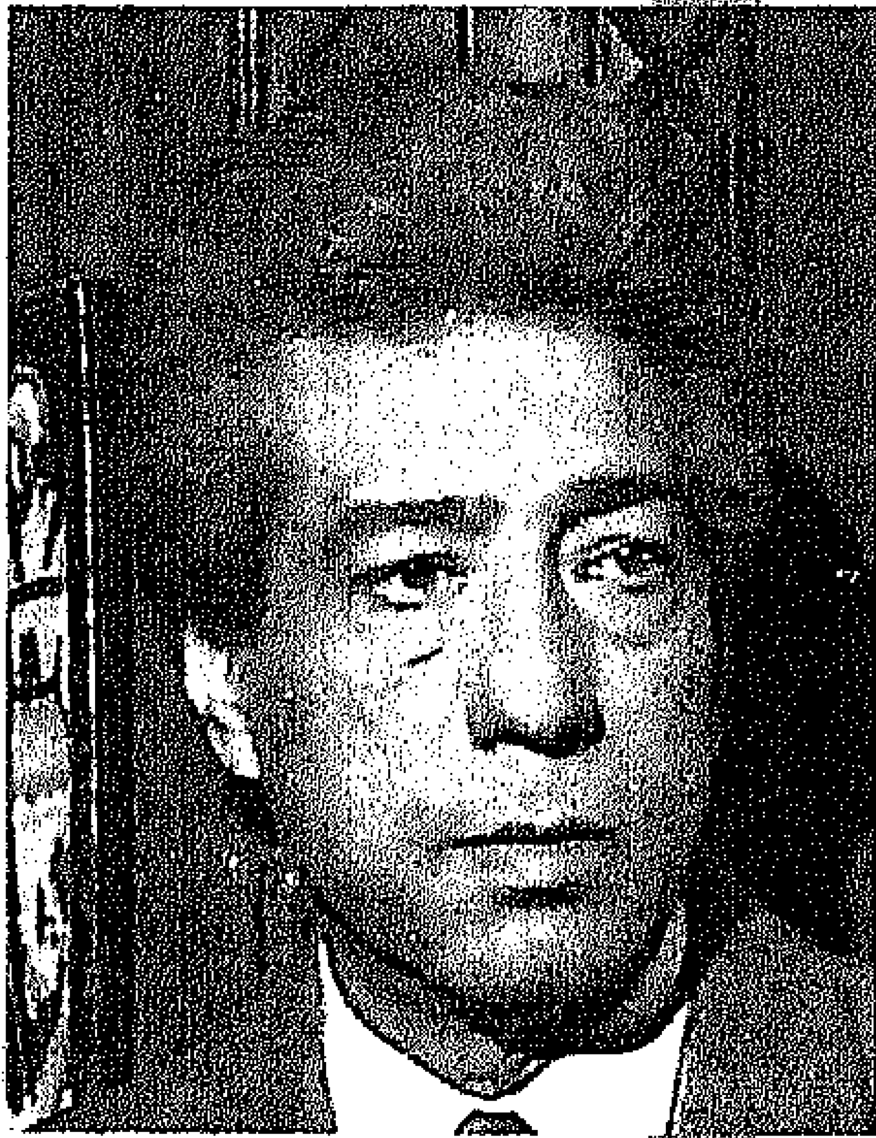
حلم الحسين فى وجدان جلال الشرقاوى يزيد على الثلاثين عاما.. بكلامه هو: هو حلمى الأكبر الذى ولد ليلة البروفة الجنرال للعرض الذى أخرجه الراحل العظيم كرم مطاوع، وكان مأخوذاً عن مسرحيتى "الحسين ثائراً" و"الحسين شهيدا" للشاعر الفذ عبدالرحمن الشرقاوى وانتهى كرم مطاوع من العرض، وكان على رأس أبطاله عبدالله غيث فى دور الحسين، وقبل أن يبدأ العرض رسمياً بأيام، صدر قرار من الأزهر بوقف العرض، منذ تلك الليلة البعيدة وأنا أحمل فى قلبى هماً وغما، وإصرارا على أن يقف الحسين على خشبة المسرح، هذا ليس حلمى بمفردى بل إنه حلم نور الشريف وسهير البابلى أيضا.. بل وصل الأمر بنور الشريف إلى أن أعطى وعداً قاطعاً باعتزال التمثيل نهائياً وقطعياً عندما يكون الحسين هو آخر أعماله.

مازال الشرقاوى يحكى: وقد جنح بى الخيال أن أقوم بتصوير معارك حقيقية بطريقة السينما. واستخدمها فى العرض المسرحى بتكنيك المسرح السحرى.. وحلمت أن المنولوجات العذبة التى كتبها عبدالرحمن الشرقاوى فى النص، وكثير منها يصلح للغناء، أن يقوم بغنائها مطرب على الشاشة أيضاً. وحلمت أن يكون كاظم الساهر هو هذا المطرب، وعرضت عليه الأمر فوافق بلا تردد.. مسرحية يقوم ببطولتها نور الشريف وسهير البابلى فى دور زينب بنت على شقيقة الإمامين الحسن والحسين، ويغنيها

كاظم الساهر. قل لى بربك ماذا كان يمكن أن يقدم هذا العمل للإسلام؟!

يواصل الشرقاوى: كانت تهمنى المعانى العظيمة فى هذا النص.. ولذلك تجاوزت عن الأمور الشكلية، التى يمكن أن يعترض عليها المشايخ. والفتوى القاطعة التى سيشهرونها فى وجهى بتحريم تجسيد شخصيات الصحابة وآل البيت، وأبديت مرونة فائقة، وقررت أن يكون نور الشريف مجرد راو لكلام الحسين. وأن تسبق كل جملة له عبارة يقول الحسين. وأن يرتدى ملابس عصرية، فى شكل بذلة وفوقها عباءة، حتى يكون هناك فصل كامل بين الشخصية الحقيقية وراوى الأحداث.. وكذلك فعلت بشخصية السيدة زينب، التى ستروى كلامها سهير البابلى، وأذكر أننى زرت الإمام الأكبر شيخ الأزهر د.طنطاوى ومعى سهير البابلى. وعرضت عليه حلمى ومشروعى ومسرحيتى، كان ذلك قبل تسع سنوات، فرحب، وأبدى سعادة غامرة، وقال لى حرفياً ومازال حواره الهادىء العذب عالقاً بذاكرتى: "يا أستاذ شرقاوى أنا عن نفسى موافق ولكن لابد أيضاً من موافقة مجمع البحوث الإسلامية وسأحيل طلبك إليه".

وأرسل الإمام الأكبر مشروع الشرقاوى إلى المجمع، لبحثه، وإبداء الرأى الفقهى فيه، ورغم حماس د.طنطاوى للمسرحية، ورغم المرونة التى أبداها جلال الشرقاوى، إلا أن المجمع رفض إجازته، ولكن الشرقاوى لم ييأس وعاد ليجتمع بشيخ الأزهر، طالباً منه فرصة أخيرة، أن يحضر اجتماع المجمع، ويناقش أعضاءه، عله يقنعهم بوجهة نظره، وجاءته الموافقة، وتحدد الموعد، واحتشد الشرقاوى للمواجهة، واستعان بعدد هائل من المراجع والأبحاث، ليكون على مستوى الحوار مع 52 عالماً وفقهياً وعلامة، هم عدد أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.


مطاوع

يحكى هو: جلست إليهم على مدار ساعة وثلث، والحقيقة أننى غادرت الاجتماع وقد كسبت عدداً لا بأس به من الأصوات لصالحى، بعد أن بدأت المناقشة وسط رفض قاطع من الجميع. وانتهت وقد انقسم المجمع بين مؤيد ومعارض، واحتد النقاش، ووجد شيخ الأزهر أن حدوث هذا الجدل الساخن فى وجودى غير مناسب، فدعانى للخروج، وخرجت..

وبتاريخ أول مارس عام 2001، وصل إلى جلال الشرقاوى هذا الخطاب من مجمع البحوث الإسلامية بتوقيع أمينه العام السيد أبو عجور جازماً برفض المسرحية، وهو خطاب وثيقة ننشره بنصه كاملاً:

"السيد الأستاذ المخرج جلال الشرقاوى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن الأمانة تشكر لكم حسن توجهكم حيث سلكتم الطريق الصحيح بطلبكم من مجمع البحوث الإسلامية على مسرحية "الحسين شهيداً" بكتابكم المؤرخ فى 24/8/2000م وحضوركم جلسة المجمع لشرح وجهة نظركم أمام السادة

الأعضاء.. وبذلك تظهر نيتكم الطيبة، ورغبتكم الصادقة فى خدمة الإسلام والمسلمين بإخراج أعمال مسرحية تخدم قضاياه وتظهر فضائله.. ونظراً للظروف الحالية التى تمر بها الأمة العربية والشعوب الإسلامية فإن الأمر يستدعى حرصكم وحرص مجمع البحوث الإسلامية على وحدة الكلمة وتوحيد الصف واجتماع الشمل فى مواجهة التحديات والمشكلات.. ولما كان ظهور مثل هذه المسرحيات فى ذلك الوقت لا يخدم وضع الأمة الحالى، ولما كان يفرق أكثر مما يجمع ، فإن مجمع البحوث الإسلامية - بعد الدراسة المتأنية - يرى صرف النظر عن هذه المسرحية وأمثالها خاصة فى ظروفنا القائمة. لأن ظهورها سيؤدى إلى فتن الأمة الإسلامية فى غنى عنها".



سهير البابلى

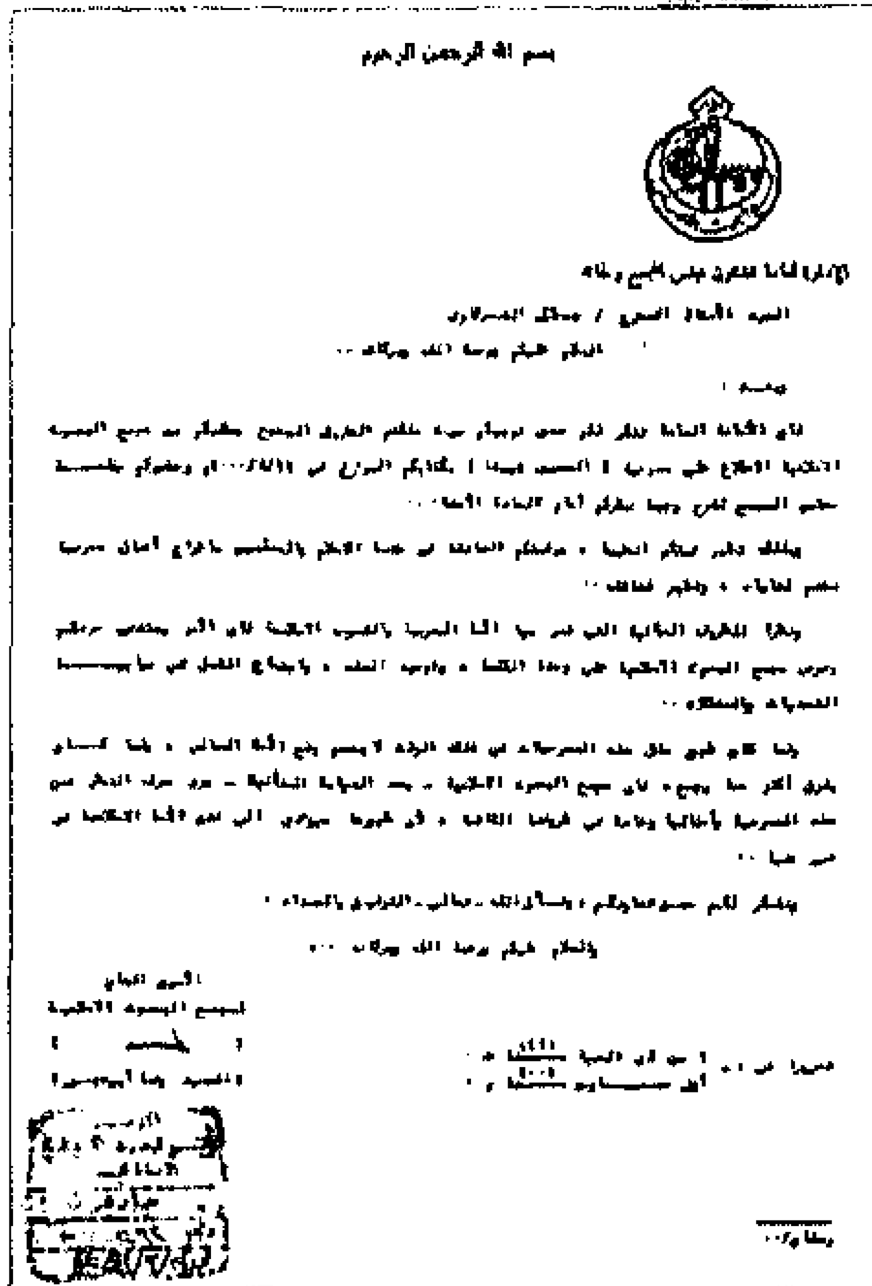
الرفض واضح وقاطع ولا يقبل التأويل.. ولم تزحزحه بلاغة جلال الشرقاوى وهو يعرض مشروعه ومشروعيته وأهميته فى رسالته لشيخ الأزهر:

"تجتاحنى منذ فترة طويلة فكرة تجسيد قصة سيد الشهداء سيدنا الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما على خشبة المسرح.. ففى هذه القصة الخالدة من المثل والقيم ما يقوم نموذجا رائعا وقدوة عظيمة على الجرأة فى نصرة الحق والاستبسال فى مجابهة الظلم والتضحية بكل غال.. حق علينا إذن أن نقدم لهذا الجيل هذا المثل الأسمى، خاصة فى هذه الأيام حيث أصبح النفاق فضيلة، والتخاذل جرأة وشجاعة، والنكوص عن نصرة الحق فطنة وذكاء. وأنه لمن حسن الظن أن أقدم المرحوم الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوى على كتابة هذه القصة فى مسرحيتين "الحسين ثائراً"، و"الحسين شهيداً" وقد أرى أن أدمجهما فى مسرحية واحدة مكثفة. ويقف أمام تحقيق هذا الحلم العظيم رأى شيوخ الفقه الأجلاء فى تحريم تجسيد شخصيات آل البيت النبوى الكريم، وهم يضعون لذلك أسباباً يرونها وأراها معهم غاية فى الحكمة والسداد.. وقد هدانى الله إلى حل أرى أنه يوفق بين رأيهم فى عدم تجيسد مثل هذه الشخصية المباركة وبين الحلم أن أقدم قصته نموذجا لهذا الجيل المتردد.. ويرى هذا الحل أن أقدم راوى الحسين بدلا من شخصية الحسين.. وأن أقدم راوية زينب أخت الحسين بدلا من شخصية زينب.. وغنى عن البيان أننى سأختار لأداء دورى الراوى والراوية اثنتين من الزملاء المشهود لهم بحسن الدين وحسن الخلق وحسن السمعة.. وأود أن أؤكد لفضيلتكم أننى لا أبتغى من وراء هذا المشروع الدينى الفنى إلا مرضاة الله سبحانه وتعالى".

ولم تشفع كذلك موافقة المجلس الأعلى لرعاية آل البيت على تقديم مسرحية الحسين، ومبادرة رئيسها آنذاك السيد محمد الدرينى بإرسال مذكرة إلى شيخ الأزهر يعلن فيها موافقة المجلس على المسرحية، ويتساءل: ما حدث ويحدث دفعنا لأن نكتب إليكم.. خاصة بعد موافقتكم على أعمال فنية تخص معاوية بن

أبى سفيان وعمرو بن العاص وترفضون الحسين شهيدا ، بحجة أن رفض الحسين سوف يجنبنا الخلافات.. والسؤال: وهل الموافقة على معاوية وعمرو سوف تجنبنا الخلافات أم أنها سوف تشعلها؟!

كان د.عبدالمعطى بيومى عضو المجلس البارز الأكثر وضوحاً فى تحديد أسباب الرفض، إذ كانت سياسية أكثر منها دينية، لأن المغزى الأساسى فى قصة الحسين ومأساته ، هو تشجيع الخروج على الحاكم ومقاومة السلطة بحد السيف، وهو معنى لم يكن خافيا على جلال الشرقاوى، فأراد التخفيف منه، وأكد لأعضاء المجمع أن المسرحية ليس فيها أى تحريض على الثورة، فمقاومة الظلم أمر مشروع ومسموح به فى كل الأديان، والحسين كقصة تعد ملحمة إنسانية درامية، بغض النظر عن الصراع السنى الشيعى، لأن المصريين يعشقون آل البيت ويجلونهم ويقبلون عتباتهم، ويعدونهم أولياء لهم.


بسم الله الرحمن الرحيم

ويوضح لى جلال الشرقاوى: النص أبعد ما يكون عن الفتنة والتحريض على الثورة.. فمن وجهة نظر درامية تاريخية مجردة، فإن الذى حدث هو أن معاوية أراد أن يستأثر بالسلطة، وأن يجعلها ملكا عضوضا فى أهله، وفكر أن يأخذ البيعة لابنه يزيد فى حياته، فاستخدم السلاحين الشهيرين السيف والذهب.. الترغيب والترهيب.. ونجح فى أن يحصل على البيعة ليزيد من كل الوجهاء، بمن فيهم أقطاب من بيت النبوة، ولم يبق مستعصيا عليه إلا الحسن والحسين وزينب.. فأما الحسن فالثابت أنه مات مسموما بمؤامرة شاركت فيها زوجته التى لم يذكر لها التاريخ أثرا بعده.. وكل الدلائل تشير إلى أن أيادى معاوية لم تكن بعيدة عن تلك المؤامرة!



وأما الحسين فقد استدرجوه بجيشه إلى العراق، وهناك أغروا كثيرا من رجاله بالمال فانفضوا من حوله، وتركوه يواجه جيشا بأكمله، ولم يكن معه سوى سبعين من أهل بيته، وأغلبهم من النساء والأطفال.. وفى كربلاء كانت الموقعة والمذبحة.. ونجحت المؤامرة فى التخلص من الحسين ورفضه.. ولكن تبقى التفاصيل المذهلة عن مقاومة الحسين وصموده وتحديه لقوى الظلم والجبروت، ومعاناته فى لحظاته الأخيرة، ورفضه الاستسلام.. فما الذى تخاف منه المؤسسة الدينية ورجالها فى هذه القصة الدرامية العظيمة؟!

أنا أظن - والكلام لجلال الشرقاوى - أن مثل هذه القصص الإسلامية العظيمة تزيد النفوس خشوعاً وإيماناً. وتقدم صورة إنسانية بديعة للإسلام، بدلا من تلك الصورة المشوهة التى أصبحنا عليها.. سأحكى لك تجربة شخصية عشتها بنفسى.. فى حوالى العام 1980 زرت مدينة أبو ظبى بدعوة من أحد المنتجين الموزعين، وكانت أبو ظبى يومها مدينة هادئة لا مكان فيها للسهر، ولما أنهيت مهمتى فى السادسة مساء، كان أمامى وقت طويل حتى يحين موعد إقلاع طائرتى إلى القاهرة، وككرم من مضيفى

منحنى شريط فيديو لفيلم الرسالة لأقضى معه سهرتى الطويلة، ولم أكن قد شاهدت الفيلم بعد، لأنه كان ممنوعا من العرض فى مصر بقرار من الأزهر.. وأقسم بالله العظيم أن دموعى ليلتها هطلت بغزارة. تأثرا وإعجابا بهذا الفيلم، وقضيت بصحبته ليلة عظيمة من ليالى عمرى، وشاهدته نحو ثلاث مرات متتالية، وفى كل مرة كانت دموعى لا تتوقف، واصطحبت الشريط معى إلى القاهرة، ولم أنم ليلتها من فرحى بالفيلم، الذى أزعم أنه غير حياتى، وأصبحت بعده أكثر إسلاما مما كنت قبل مشاهدته.. فمثل هذه الأعمال المأخوذة من تراثنا الإسلامى تسهم فى نشر الدعوة، وفى جذب العالم إلى الاسلام بدلا من تلك الصورة البشعة التى أصبحنا عليها.. فنحن فى نظر العالم مجرد إرهابيين ومتطرفين وسفكة دماء!

عاد الحسين يداعب خيال جلال الشرقاوى وأحلامه، واستيقظت الأمنية النائمة، بمجرد الاعلان عن مسلسل درامى تدور أحداثه حول سيرة سيد الشهداء، وتتجاوز قضيته تلك الحجة التى أجهضت ظهوره على خشبة المسرح المصرى الفتنة السنية والشيعية وهى الحجة التى يراها الشرقاوى واهية: "الخلافات بين السنة والشيعة فى خلافات شكلية، وفى أمور فرعية، الأزهر أكبر مؤسسة سنية فى العالم تعترف بالمذهب الشيعى وتدرسه لطلابها.. كما تتبنى قضية التقريب بين المذاهب. وإذا لم يكن ديننا الإسلامي هو الذى يوحدنا فلن يستطيع سبب آخر أن يوحدنا".


الشرقاوى

وأسأله عن الفرق بين المعالجة المسرحية التى أنجزها كرم مطاوع لنص عبدالرحمن الشرقاوى المسرحى والذى أنجزه هو.. فيرد: "أكيد هناك اختلافات وفروقات.. نسخة كرم رحمة الله عليه تأخذ الشكل الدينى أكثر.. فى حين أن معالجتى أنا أدمجت المسرحيتين فى نص واحد.. ومالت أكثر للتركيز على جوهر القضية. وهو الصراع على الخلافة.. معاوية ويزيد يريدان الكرسى، والحسين يرفض.. وأنا هنا لا يعنينى من الأجدر بالخلافة، كل مما عنيته هو قصة ذلك الرجل الذى قال لا فى وجه السيف.

جلال الشرقاوى فى انتظار أن يبدأ تصوير هذا المسلسل، ويطمئن على جديته ليبدأ فى التحرك من جديد "اعترف بأن هذا المسلسل يؤجج النيران بداخلى، ويدفعنى لأن أكرر المحاولة وأن أطرق أبواب مولانا الإمام الأكبر من جديد، وأخاطب مجمع البحوث الإسلامية مرة أخرى، عله يعيد النظر فى قراره برفض النص المسرحى، وهو رفض ليس له ما يبرره، بل لقد سقط بظهور هذا المسلسل، الذى سيدخل كل بيت، ولن يستطيعوا منعه، لأن تصويره سيتم خارج مصر، ثم إن لدى صناعة ست فتاوى بين سنية وشيعية وبإجازته، ولا أظن أن الفتنة الكبرى ستقوم بعرضه، بل على العكس يمكن أن يتسبب عرضه فى تقريب

الفرقاء، وفى إخماد الفتنة.. أملى الأخير فى تحقيق حلمى الكبير بين يدى الإمام الأكبر.. وسأكون ممتنا له طول العمر إذا سمح بظهور الحسين شهدا على خشبة المسرح"!.

سألت رئيس الرقابة على المصنفات الفنية الناقد الكبير على أبو شادى عن موقف الرقابة من مسرحية الحسين بجزأيها لعبدالرحمن الشرقاوى؛ فقال إنه لابد من موافقة الأزهر أولا.. وأشار إلى أن الرفض الدينى للمسرحية قديم، من أيام د.عبدالرحمن بيصار شيخ الأزهر الأسبق الذى قام بمنع المسرحية من الظهور، برؤية كرم مطاوع، رغم حماس د.ثروت عكاشة وزير الثقافة آنذاك للعرض.. فالمسرحية تحمل ألغاما سياسية متفجرة.. والحل فى رأيى أن يحولها جلال الشرقاوى إلى نص دينى خالص، وينقيها من تلك الألغام.

ولما سألت جلال الشرقاوى عن هذا الحال قال: أنا مقتنع جدا بمعالجتى للنص، وأرى أنه خال من الممنوعات الرقابية والدينية، وأنا متفائل بفك الحظر عن الحسين بعد خروج هذا المسلسل الجديد للنور.. إنه حلمى الأخير!

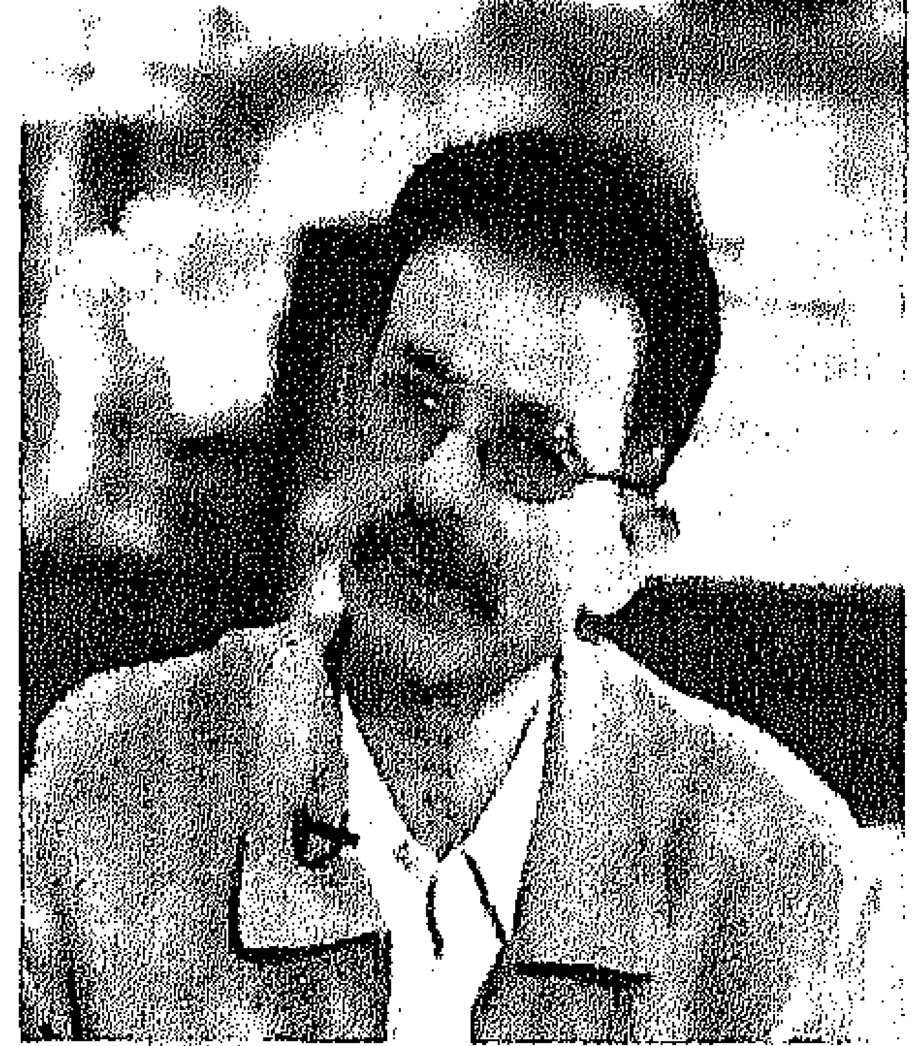






وقائع تكفير

شاعر يمنى!


على المقرى

شهدت اليمن معركتين غاية فى السخونة، انتهت الأولى بفوز الرئيس على عبدالله صالح بدورة رئاسية جديدة، بعد انتخابات شرسة، سالت فيها الدماء، وسقط الضحايا، وكان على اليمنيين فيها أن يدفعوا ضريبة الديمقراطية، أما المعركة الثانية فلم تنته بعد، وكانت تنافس فى سخونتها وإثارتها انتخابات الرئاسة، بطلها اسمه "على" ايضاً، ولكنه شاعر.. وإذا كان الرئيس "على" قد حسم المعركة لصالحه، فإن "على المقرى" الشاعر اليمنى لم يحسم معركته بعد، بل قد يدفع حياته ثمناً لها، بعد أن حاصرته زوابع التكفير.

المقرى مثقف وشاعر يمنى شاب، من مواليد "حمرة" فى "تعز" عام 1966، برز اسمه فى الصحافة الثقافية اليمنية، منذ أن التحق بالعمل بها قبل 20 عاماً، وتنقل بين صحف المستقبل، والثورى ، والشورى، وبفضل الشهرة التى نالها على صفحاتها انتخب سكرتيراً للأمانة العامة لاتحاد الأدباء والكتاب فى اليمن، ورئيساً للوحدة الإعلامية فى المكتب التنفيذى لصنعاء عاصمة الثقافة العربية (2004) ونائباً لرئيس اللجنة التحضيرية لملتقى صنعاء الثانى للشعراء الشباب العربى فى أبريل الماضى.

وخلال هذه المسيرة أنجز ستة مؤلفات ، كان أولها مجموعته الشعرية "نافذة للجسد" التى صدرت بالقاهرة عام 1987.

وحملت الثانية التى صدرت عن الهيئة العامة للكتاب اسم "ترميمات" وفى العام 2003 صدرت مجموعته الثالثة "يحدث فى النسيان"، وكتابه "العفيف: زمن خارج السرب".. كما صدر له "ثم قال" مختارات من أعماله، إلى أن جاء كتابه الأخير "الخمر والنبيذ فى الإسلام" الذى أثار ضده العواصف ورياح التكفير.

وكان على المقرى قد اعتاد أن يكون فى عين العاصفة. فلم يكن كتابه الأخير هو السابقة الأولى له فى الصدام مع رجال

نشر بمجلة روز اليوسف فى 30 سبتمبر 2006

الدين، والقوى الرجعية فى المجتمع اليمنى. فقد حدث قبل أربعة أعوام أن كتب المقرى ونشر قصيدة له بعنوان "تدليك". كانت من الجرأة أن طالب بعض خطباء المساجد بجلد كاتبها بتهمة الخروج على الدين وخدش الحياء.

مقطع القصيدة يقول: أحتاج إليك بشكل مؤقت / يمكن أن تسميه حباً أو عشقاً أو جنوناً/ ما أحتاجه ليس عناقاً / أو قبلة عابرة/ لكنه أيضاً ليس دواماً طوال الليل/ لساعة واحدة فقط/ أريد أن أعريك تماماً/ ثم آخذك إلى الحمام.

كانت القصيدة فى رأى شاعرها تتحدث عن "الحب السريع العابر الذى لم يعد قابلاً للاستمرارية والتواصل. الحب بعيداً عن العادات والتقاليد والقوانين". وبتعبير آخر كان المقرى يتخيل حالة نزوة عابرة مع امرأة عابرة.. لا مجال فيها لأعراف وقوانين. بل هى خارج السياق، وبلا رقابة من أى نوع.. يطلق فيها العنان لنزقه وتحلق الحرية به إلى سماوات مفتوحة..

هذا ما ظنه المقرى. ولكن ظنه كان رومانسياً بريئاً.. إذ أثارت القصيدة ثائرة المجتمع اليمنى المحافظ، وتزعم النقاد السلفيون الحملة ضده وضدها، أو على حد تعبيره هو "تقمصوا دور رجال الدين وقاموا فى الملتقى الشعرى بصنعاء بتناولها بأسلوب تكفيرى ، ثم انتقلت القضية إلى المساجد.. حيث اعتبرها بعض خطباء المساجد فى صنعاء خروجاً على الدين وتدعو لخدش الحياة، وبناء عليه دعوا لمنعها وجلدى".

يعترف المقرى بأن قصيدته تقدم صوراً إباحية متمردة، أراد منها تحرير الحب من قيود المجتمع وعاداته. وبلهجة هجومية متحدية أعلن: إن هؤلاء السلفيين يفتقدون للحب ولم يمارسوه ولهذا قاموا بتكفيرى".



هؤلاء السلفيون الذين قصدهم المقرى كان يقف على رأسهم الشيخ ناصر الشيبانى رجل الدين السلفى ووزير الأوقاف السابق فى الحكومة اليمنية، إذ كان أول من أشعل فتيل معركة التكفير التى استمرت فصولها حتى الآن ضد المقرى.

الشيبانى قرأ القصيدة منشورة فخرج فى احتفال عام يهاجمها على الملأ، ويصفها بأنها نوع من الغزل الفاضح المكشوف المثير للغرائز، الذى لابد من التصدى له، لأنه يحمل معانى وألفاظاً وكلاماً شاذاً، يسىء للأخلاق وللمجتمع والدين. وكان رأى الشيخ بمثابة تحريض للرجعية الدينية، و"فتوى" غير مباشرة بالهجوم على المقرى، فطالبوا بجلده، ليكون عبرة لمن يعتبر.

الشيبانى كان حاضراً أيضاً وبقوة فى معركة التكفير الثانية، ولم تكن هذه المرة بسبب قصيدة، بل كتاب يتناول موضوعاً شائكاً وآراء متفجرة، ووجهات نظر تدخل فى منطقة المحرمات.

الكتاب يبدو صادماً من عنوانه "الخمر والنبيذ فى الإسلام". فكرته أسبق زمنياً من القصيدة. نواته تمثلت فى أربع مقالات نشرها المقرى تحت عنوان "لذة للشاربين" فى الملحق الثقافى

لجريدة الجمهورية اليمنية خلال الفترة بين 17 يوليو و7 أغسطس من العام 1987. وقامت ضده الدنيا ولم تقعد. واتهم فى دينه، وأنه يحلل الخمر، مخالفا لما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو مخالفة إن صحت تدخل صاحبها فى دائرة "الكفر"!

حاول المقرى فى مقالاته أن يوضح ويؤكد أنه يكتب بحثا تاريخيا وليس فقهيا فى التعريف بالخمر والنبيذ: صناعته وفنون شربه ومعناه فى القواميس، وذكره فى القرآن والسنة، وموقف الفقهاء منه.

واصلاً إلى اجتهاد بحثى - معتمداً على كتب التراث - مفاده أنه لا يوجد نص فى القرآن لعقوبة الحد على شارب الخمر.. بل وصل إلى ما هو أخطر، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم وعدداً من كبار صحابته كالصديق أبو بكر وعبدالله بن مسعود كانوا يشربون نوعاً من النبيذ، عبارة عن نقع "الزبيب" ، وأنه لم يرد نص قاطع فى تحريم النبيذ.

كانت ردود الأفعال عنيفة بالطبع، بدأت بردود صحفية فى الجريدة نفسها التى نشرت مقالات المقرى. وسرعان ما تحولت إلى حملة صحفية طاحنة ضد هذا الذى تجرأ على الإسلام ونبيه. سأنقل نماذج سريعة من تلك الردود:

- كتابك عن الخمر سيكون مرجعاً مهماً للخمارين والسكارى يا أستاذ علىّ

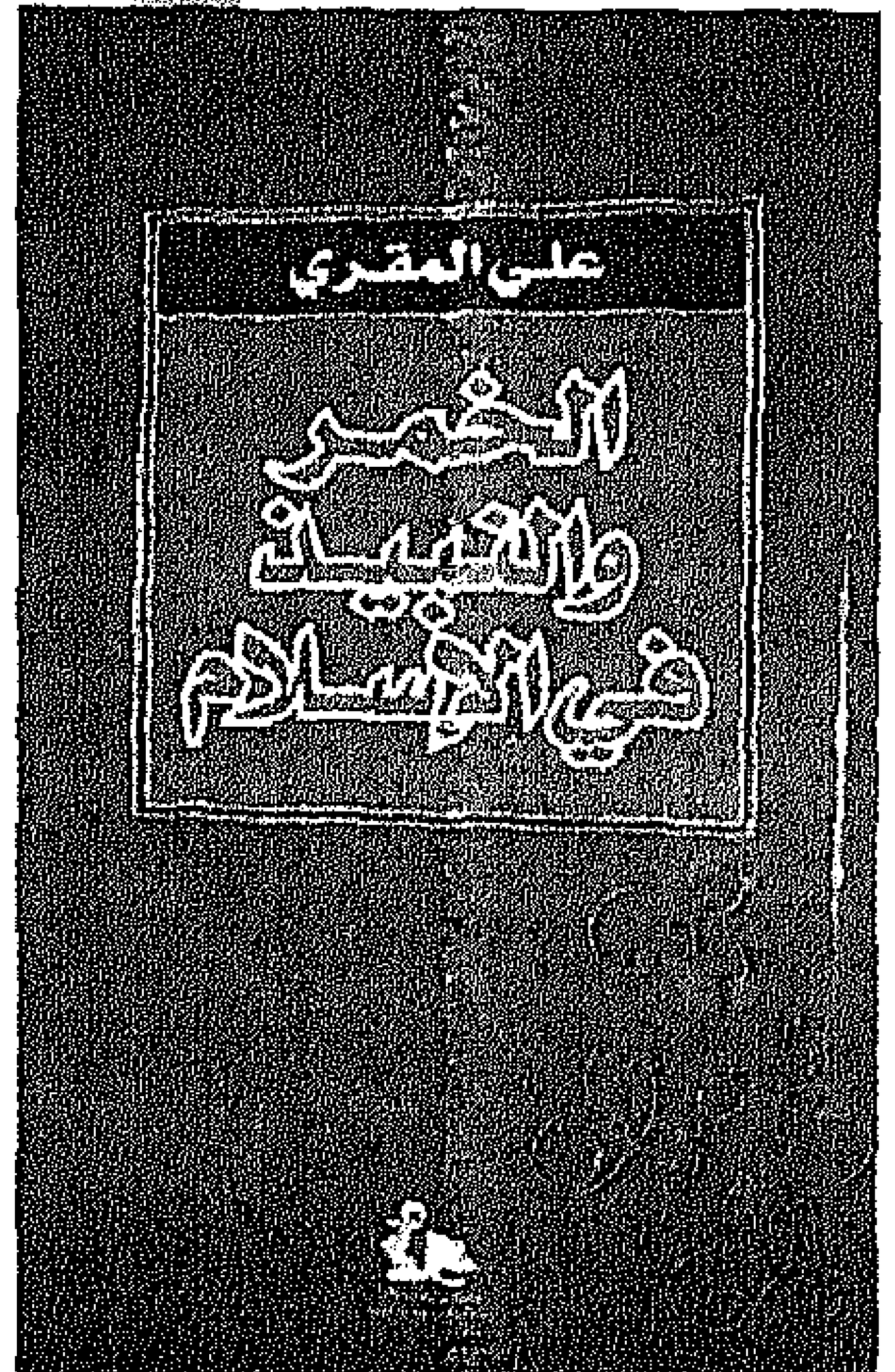
- موضوع المقرى يعد ريبورتاجا إعلاميا لترويج الخمر.. ولم يكتف صاحبنا بسرد التاريخ الخمرى، بل أفتى أنه لا يوجد حد لشارب الخمر، مشيراً إلى أن الحدود التى طبقت ومازالت ما هى إلا اجتهادات.. وهذا ليس صحيحاً. من أوهمك بهذا يا أستاذ.

- من كان يتصور أن يوجد فى أبناء المسلمين من يقول هذا البهتان؟! لقد ظل المسلمون 14 قرناً وليس فيهم من يشك فى حرمة الخمر حتى جاءنا المقرى، الذى ننتظر منه ومن أمثاله أن يحلل للناس الزنى واللواط وكل الموبقات؟!

- يستطيع الأخ المقرى أن يفتح خمارة.. إذا أراد ذلك فيطلق عليها ما شاء من الأسماء دون أن تكون به حاجة للترويج لهذه "الحانة" على النحو الذى ظهر فى مقالاته.. يستطيع أن يفعل ما يشاء فى نفسه أو فى جبر خاطر جميع السكارى فى العالم الإسلامى الذين يبحثون عن قشة يتعلقون بقها تخفف عنهم شعورهم بالإثم وهم يتعاطون الخمر بأى مسميات كانت ، لكن المقرى لا يستطيع أن يشوه التراث ويقلب الحقائق ويتلاعب بالألفاظ دون أن يجد من يقول له كف عن هذا العبث!

وقد لقيت تلك المقالات النارية من يتلقفها من رجال الدين، فجعلها الشيخ ناصر الشيبانى موضوعاً لخطبة الجمعة، وهاجم المقرى على المنبر، واتهمه بـ "الطعن فى النبى"، مشيراً إلى سوء نية المقرى، وأنه حرص على نشر مقالاته الخمرية فى ذكرى المولد النبوى.. واتسع نطاق "لعن" المقرى على المنابر، وكأنه عدو





لله ورسوله، وتعددت فيه الأوصاف، وكان أبرزها أنه مسيلمة الكذاب الجديد.

وكان من المفترض أن تقوم دار "رياض الريس" - أحد أشهر دور النشر فى لبنان - بطباعة المقالات فى كتاب، بعد أن يضيف إليها المقرى المزيد من الفصول والأبحاث. وتقاضى المقرى "عربونا" من الدار إلى أن ينتهى من فصوله الجديدة، إلا أنه فوجىء بالدار العريقة تتهرب من وعودها وعقودها، أمام عنف الهجمة ضد الكتاب ومؤلفه.

لم تكن دار "رياض الريس" وحدها هي التى تهربت، بل تكرر الموقف نفسه مع دور نشر كبرى، رأت أن نشر كتاب جرى تكفير صاحبه هو مخاطرة فوق الاحتمال.

ومع ذلك واصل المقرى جهده حتى انتهى من كتابه كاملاً.. ولم ينتظر ناشراً جريئاً يتحمل معه المخاطرة والمغامرة فنشره على الإنترنت.

وتجددت حملة الهجوم من جديد خلال الشهور الأخيرة.. ووصلت إلى ذروتها فى فتوى للشيخ الشيبانى يفهم منها ميله إلى تكفير المقرى، واتهامه فى الطعن فى رسول الله وجرأته على الصحابة الأجلاء، وزعمه أنهم كانوا يشربون الخمر بعد نزول آيات التحريم. وكانت الفتوى بمثابة ضوء أخضر لذبح المقرى على يد أى مهووس. كما حدث مع فرج فودة فى مصر، ليقدم على تنفيذ الفتوى وكأنه يجاهد فى سبيل الله.


على المقرى

ولأن المعركة دخلت فى الممنوع، ولم تعد مجرد سجال فكرى، كتب المقرى بياناً يحمل فيه الشيبانى المسئولية عن حياته. ويحمله وزر دمه المهدد بالإهدار. وقال فى بيانه الذى وجهه إلى اتحاد كتاب اليمن:

"فوجئت بتصريحات الشيخ ناصر الشيبانى الأخيرة. التى كرر خلالها ما قام به ضدى من حملات محرضة. حيث أعاد القول بأننى قمت بـ "الطعن ﷺ رسول الله" عام 1997، حيث نشرت مقالات عن الخمر والنبيذ فى الإسلام، مما أدى به إلى الخطبة ضدى حينها وكذلك ما قام به عام 2003 فى حفل توزيع جائزة هائل سعيد "بتعز" ضد قصيدة لى وصفها بالشاذة. وفى الوقت الذى ينكر فيه الشيبانى أنه لم يقم بتكفيرى ولا الدعوة إلى جلدى متناسياً آلاف الحضور الذين سمعوه فى العامين المذكورين، وكذلك التوثيق الموجود، تجده يقوم بما هو أسوأ وأكثر ضرراً من التكفير، حيث قال "إن هذا الشاعر طعن برسول الله" أى ذكرته بقبح، وهو بذلك يتكىء كفقيه على ما جاء فى الحديث "لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا" والكلام هنا إذ يطلق على عواهنه فإنه تحريض ضدى مباشر بقوله إننى أطعن بالنبى الكريم الذى يجله كل المسلمين ويتشددون ضد أى إساءة تلحق به، وما حدث فى الدنمارك ليس ببعيد.

" وعليه ولأن الشيخ الشيبانى سبب لى الكثير من الأضرار

الأسرية والمادية والمهنية والنفسية حين خطب على فى جامع "تعز" و نقلت خطبته الإذاعة على نطاق واسع، ولأنه تسبب بالكثير من الأذى المهنى والعادى والنفسى فى مايو 2003 حين خطب وحرض ضد قصيدة لى ، فأنا أبلغكم بأن تصريحات الشيخ ناصر الجديدة قد سببت الكثير من المشاكل فى محيطى الاجتماعى المتدين، وصرت أتوقع أى ردود فعل تنتج من أحد المتطرفين أو المسلمين الغيورين والذى قد يصدق الشيبانى لشهرته الفقهية، مع أن ما قمت به عبارة عن بحث أظهرت فيه الجوانب المغيبة فى التراث العربى الإسلامى. إن الشيبانى يقوم فى كلامه بتقديمى إلى المشنقة حين يصرح للمسلمين بأننى طعنت نبيهم، فيما هو يقول أننى أريد أن أشهر نفسى، وكأن الذهاب إلى المشنقة عبارة عن نزهة، فأى شهرة هذه التى يسعى إليها المرء؟!".

ويضيف المقرى فى بيانه: "ما قاله الشيخ الشيبانى من كلام عن الطعن فى النبى الكريم ، أريد أن يفصل به قاض عادل أو إنسان كريم لم يتلوث بكبرياء التلقين والمنبرية الضيقة الأحادية التى لا تسمح بالنقاش ولا الرد، ولنعرف من يعود إلى المصادر والمراجع المؤكدة ليحقق أبحاثه، ومن يقوم بإصدار التصريحات الصوتية دون الرجوع إلى ثنايا الروح، يؤسفنى أن أعلن هنا لأول مرة أن الشيخ الشيبانى سبب لى مشكلة أسرية دامت تسع سنين بسبب العلائقية الاجتماعية المحافظة التى أضرت بى وبعائلتى مباشرة بعد سماعهم فى الجامع والإذاعة لتحريض هذا الشيخ ضدى. أكتب إليكم أيها الاخوة أنا أتقطر وجعاً. كيف لهذا الشيخ أن يكون بهذه القسوة؟! وصحيح أن عائلتى قررت رفع دعوى ضد الشيبانى لما قام به تجاهها من أضرار مادية ونفسية مباشرة إلا أننى أيضاً آتى إليكم باعتباركم متكأ وأخوة".

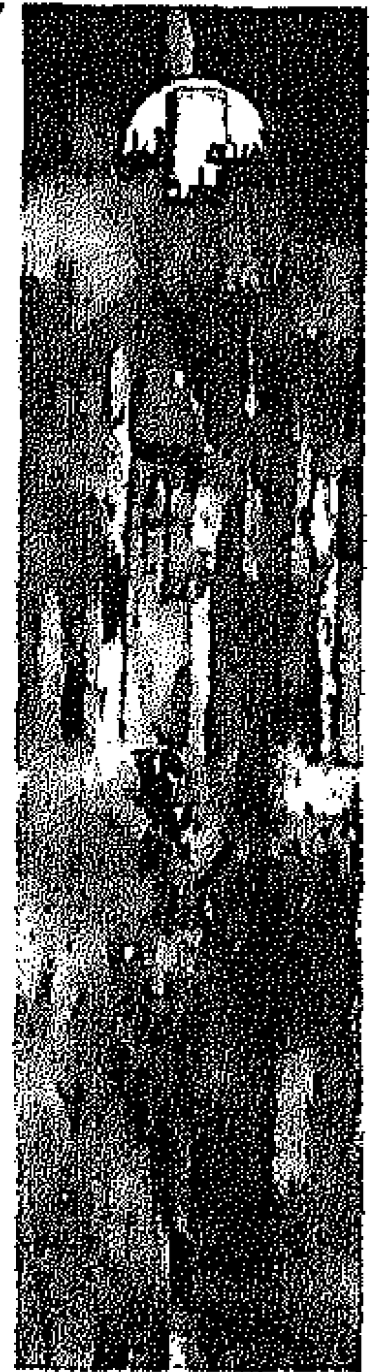
أما المشكلة الأسرية التى لم يفصح عنها المقرى فى بيانه، فهى أن زوجته طلبت منه الطلاق وأصرت ، رافضة الرجوع إليه، بعد الفتوى بتكفيره، إذ لا يجوز لمسلمة أن تعاشر كافراً!

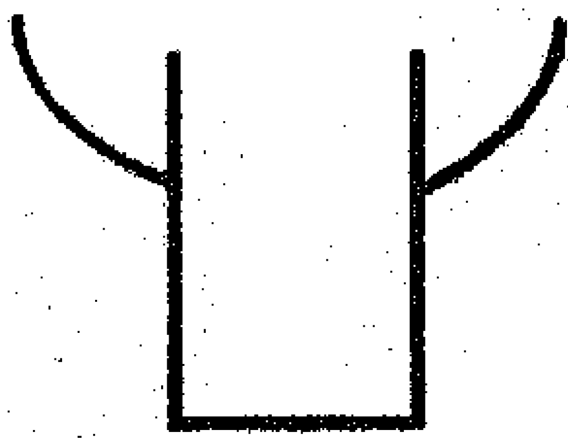
نعود إلى الكتاب نفسه الذى مازال يثير الزوابع فى اليمن حتى الآن، فهو كما يقدمه مؤلفه، بحث فى مسألة الخمر والنبيذ فى الإسلام، من خلال النصوص القرآنية والمصادر والمراجع التاريخية، ويعرض لاختلاف الفقهاء والباحثين فى مسألة تحريم الخمر، ويبين أنه لا يوجد أى حد أو عقوبة فى القرآن والسنة على شارب الخمر، واتفاق المراجع الإسلامية أن النبيذ حلال، كما يوضح الموقفين الدينى والطبى من التداوى بالخمر.

الكتاب يقع فى 166 صفحة من القطع المتوسط، ويحتوى على ستة فصول هى: تعريف الخمر والنبيذ - الخمر قبل الإسلام - الخمر والنبيذ فى الإسلام - التداوى بالخمر والنبيذ - الخمر والمجون فى العصر الأموى - الخمر والمجون فى العصر العباسى.

بالإضافة إلى ملحق وثائقى عن المقالات والردود التى وصلت







إلى المؤلف عن الكتاب.

فى مقدمة الكتاب يكتب المؤلف: ألم تجد موضوعاً غير الخمر والنبيذ تبحث عنه؟ هل أردت أن تحلل الخمر؟ ما الذى تريد أن تصل إليه من خلال الكتابة عن الخمر والنبيذ؟ هذه خلاصة أسئلة مازلت أواجهها منذ أن تفضل الأستاذ سمير رشاد اليوسفى بنشر أربع حلقات مهذبة من كتابى "الخمر والنبيذ فى الإسلام"، وفى الحقيقة حين شرعت فى البحث فى مصادر التراث الإسلامى لم أكن أهدف لتناول موضوع الخمر والنبيذ فى الإسلام فحسب، بل تناول موضوعات أخرى تبرز فيها جوانب التعدد فى المرجعية الفكرية الإسلامية، ولهذا فإننى فى تناولى لهذا الموضوع لم أهدف إلى الخروج باستنتاج يبرهن على تحليل الخمر والنبيذ أو تحريمهما من قبل المرجعية النصية الإسلامية فى مستوياتها المتعددة، وإنما أردت من خلال إيراد بعض المغيب عنوة فى النصوص المرجعية الإسلامية أن أبرهن على وجود تعدد فى وجهات هذه النصوص، وتعدد آخر فى تفسيرها وتأويلها وشرحها يصل أحياناً إلى حد التناقض الذى يتيح إمكانية القول أن الشىء ذاته حلال بمعيار وجهة ما، وحرام بمعيار وجهة أخرى.

ويضيف: "ما هدفت إليه هو أن أحفز الكثيرين إلى العودة لقراءة التراث الإسلامى بتعدده. ومن ثم الخروج من الذهنية المنغلقة على قشور ثقافة الماضى الأحادية، إلى ذهنية ابتكارية تعددية لا تقبل أى حدود فكرية، وإذا كان هناك من سأل: لماذا قراءة مسألة الخمر بالذات؟ أقول إن الخمر كمشروب فى مستواه المسكر قد يصل إلى فعل المخدر الذى يغيب الشارب "السكران" عن أزماته الاجتماعية والنفسية. لكن الخمر كمسألة ثقافية ظل يمثل فى جانب من موقعه فى الثقافة فعلاً تصادمياً حديثاً ضد ثقافة الخنوع والاتكالية وذهنية الاتباع والتحريم، وفى هذا المستوى أعتقد أن تناول موضوع الخمر كمشكلة ثقافية يسهم فى نقد الخطاب الاسلامى لجماعات احتكرت حق انتقاء النصوص الأحادية من التراث الإسلامى".

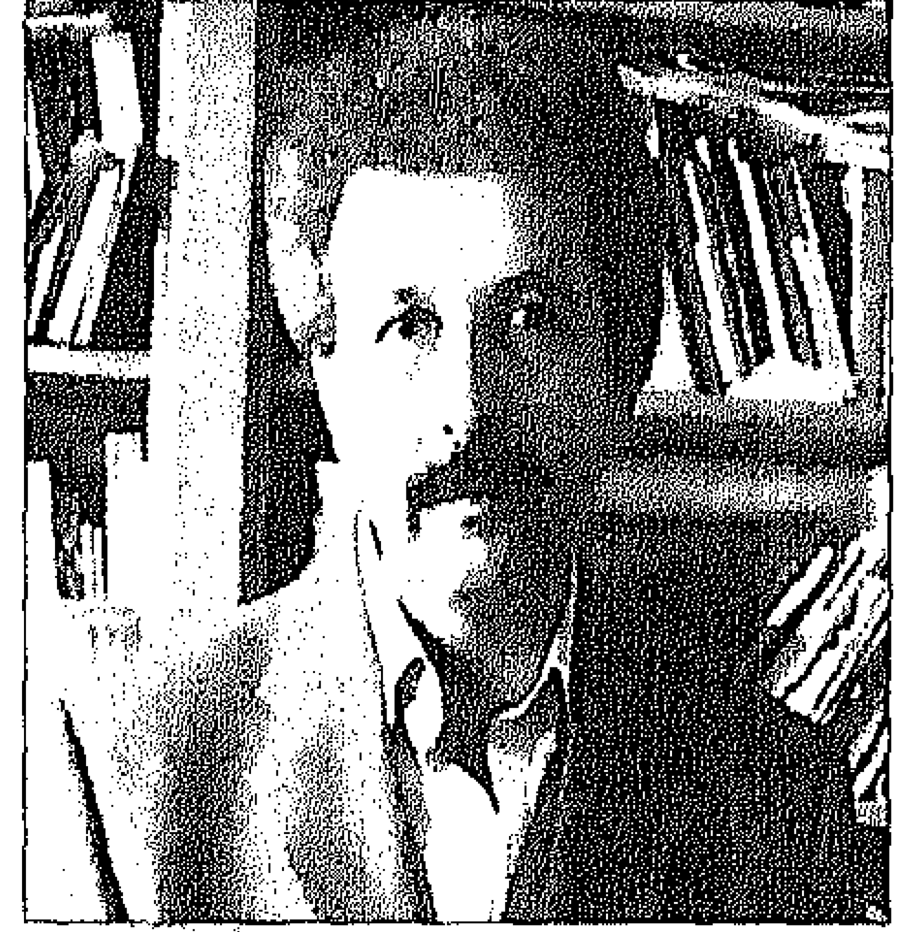

على المقرى

لم تشفع هذه المقدمة الفلسفية فى إطفاء النيران المشتعلة حول الكتاب وصاحبه، ومازال المقرى يتوقع أن يدفع ثمن هذا الكتاب الصادم.

إن حملات التكفير تنطلق ضدى من ثلاث جهات هى السلطات الدينية والتجارية والسياسية وكل جهة تتكىء على الأخرى ويصبح المثقف كبش فداء للجميع، والكل يتسابق لتقديم المثقف على المذبح باعتباره "أضحية".

.. ومصادرة شاعر أردنى

بتهمة إثارة الفتنة!


ابراهيم نصر الله



على المقرى ليس وحده.. فيبدو أنه موسم الهجوم على الشعراء فى العالم العربى.. فالشاعر الأردنى المعروف إبراهيم نصر الله يواجه هو أيضاً "محنة" بسبب ديوانه "نعمان يسترد لونه"، وعلى الرغم من أن الديوان صادر قبل 23 عاماً، إلا أن حكماً صدر مؤخراً بمصادرته، بعد صدوره ضمن الأعمال الكاملة لنصر الله.. ويواجه صاحبه ثلاث تهم تصل عقوبتها إلى السجن لمدة 7 سنوات.

الرقابة فى الأردن التى أحالت نصر الله إلى القضاء. اتهمته بالآتى: الإساءة للدولة، إثارة الفتنة، زعزعة الاستقرار فى البلاد.

كل ذلك بسبب ديوان مكون من 23 قصيدة، تشكل كما يقول كاتبها سيرة غنائية ملحمية لفدائى فلسطينى شاب يقع فى غرام فتاة أردنية مسيحية.. وبين السطور هجوم حاد على التعصب والإقليمية والديكتاتورية".

كان الأمر فى منتهى الغرابة. فلم يحدث أن ننصب الرقيب نفسه مفسراً ومؤولاً لنص أدبى، ويرسل صاحبه إلى المحكمة، لأنه فهم من بين أبيات شعرية لا تتفق مع قوانين المطبوعات والنشر. وتتعرض لأحداث أيلول عام 1970، وتسىء إلى الدولة الأردنية. وهى إساءة "ستؤدى إلى إثارة الفتن وعدم الاستقرار، إضافة إلى تلقين الأجيال الجديدة معلومات عن أحداث أيلول التى لا يمكن أن توصف إلا بالفتنة التى يجب أن تظل نائمة وبعيدة عن العبث".

إحالة الديوان إلى القضاء كان بمثابة صدمة للوسط الثقافى فى الأردن، لان القراءة النقدية للديوان لا تحفل بتلك التفسيرات

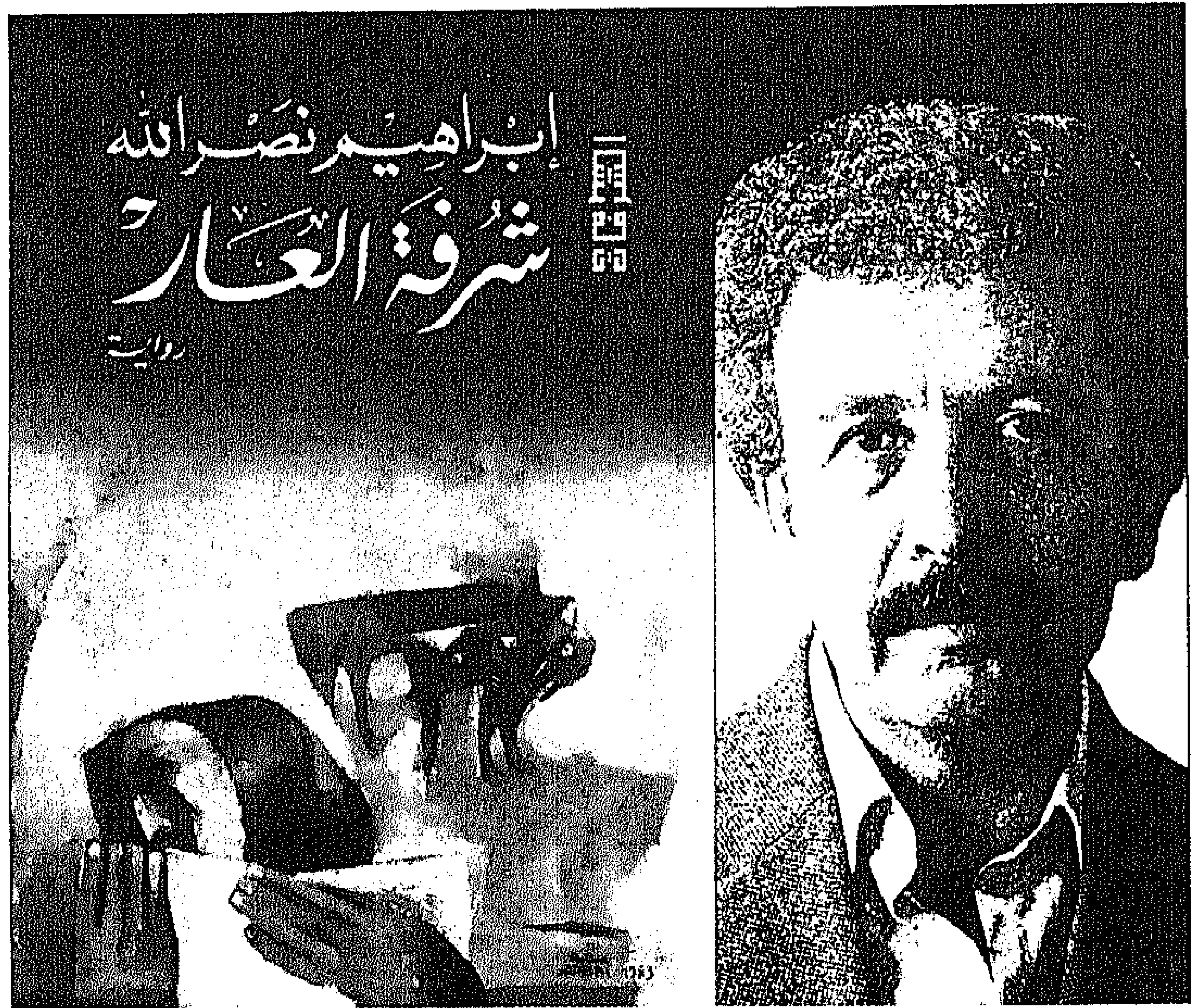
السياسية المؤامراتية التى توقف عندها الرقيب.. فعندما يقول نصر الله: قمر ينحنى/ والزغاريد/ مشرعة للإياب/ لما تمر الجنازة زيتونة للجراح/ وعمان تحمل رشاشها/ وقطوف الأغانى/ وتنثر فوق الجبين السماوى / زهر الجبال.

ويعلق الناقد فخرى صالح: إنها مقاطع شعرية مفتوحة على التأويل. لا تحتمل ما حملها إياه الرقيب من معنى. ثمة أسى ولوعة وعتاب للمدينة التى احتضنت طفولة الصوت وصباه. ثمة روح معذبة تسأل عن سبب الرصاص والموت. لا يثير هذا الكلام الشعرى فتنة ولا يذكر بأحداث أيلول "التى لا يتم ذكرها فى المجموعة ولا تسمى" فمن أين جاء الرقيب بهذا التأويل الخاص؟! كأن الرقيب أصبح ناقداً أدبياً يسعى إلى الكشف عما يخفى الكلام الشعرى من نصوص وخطابات مطمورة!





فى مهرجان الاسماعيلية الدولى للسينما التسجيلية التقيت إبراهيم نصر الله. جاء إلى دورته ، وهو يحمل أسى خاصاً ، وتهمة تطارده، وقسوة لا يستحقها، حاول أن يبعد آثارها عن ملامحه بابتسامة هادئة، وبنسخ من كتاب جديد له يوزعها على الأصدقاء.. ولكن حالة شرود مفاجئة كانت تأخذه من وسطنا، كنت أعرف أسبابها. وأحس بنظرات عينيه تكاد تصرخ: ثبت أن ديوانى وبعد 23 سنة من نشره لم يزعزع الدولة، ولم ينشر الفتن، كتبت قصائد شعرية وهى تأمل فى الحالة وليست خطابات سياسية .. فلماذا يحاكموننى؟!



المهاجر... يوسف النبى

يُحاكم يوسف شاهين!



مولع بالمغامرة إلى حد الجنون.. منذ أن تفتح وعيه وهو فى حالة من التجارب والمغامرات والنزوات الفنية، تتعدى أحياناً الخطوط الحمراء، فيدخل بسببها فى صدمات وصدامات ومعارك وأزمات لا تنتهى.

متجاوزاً فى جرأته وأرئه ومواقفه، لا يوزن الأمور بالورقة والقلم، ولا تهمه حسابات المكسب والخسارة، ولا يعرف كلمات المجاملة والمداهنة التى يتقنها الفنانون ويبرعون فى استخدامها، إنها كلمات لا ترد على قاموسه، ولا تصمد أمام تلقائيته وعفويته وردود أفعاله الطبيعية.. المدهشة غالباً، الصادمة كثيراً.



YOUSSEF CHAHINE
1926 - 2008

والأمثلة وافرة .. كان مريضاً، ويمر بأزمة صحية قاسية عندما اشتعلت انتفاضة الأقصى عام 2000، وراح يوسف شاهين يُتابع الأحداث والتطورات الدامية، وأخبار الشهداء الذين يتساقطون كل يوم برصاص الصهاينة، الذى لا يفرق بين طفل ورجل، أو شيخ وامرأة... ويزداد قلبه الموجوع ألماً، رافضاً توسلات الأطباء له بأن يكف عن متابعة تلك الأخبار التى ترفع ضغطه، وتصل بقلبه إلى حد اللاخفقان.

ودخل الأطباء غرفته بالمستشفى ذات صباح فلم يجدوا مريضهم المشاغب، بحثوا عنه فى كل مكان فلم يستدلوا له على أثر، فقد قرر "جو" فى لحظة غضب طفولية عارمة أن يقود سيارته إلى حيث يوجد "الأوغاد" ، وفى مدينة رفح الحدودية وقف أمام السلك الشائك، حيث الجنود الإسرائيليين على مرمى البصر، والتقط حجراً من الأرض، ورماه فى وجوههم، بأقصى ما استطاع من قوة. لم يجد غير هذا السلوك الصبيانى يعبر به عن غضبه، ثم قاد سيارته وعاد من جديد ليرقد فى المستشفى!!

المواقف عنده لا تخضع لمنطق، ولا ترتيب صارم، أو سيناريو

مسبق. ما يؤمن به يفعله، وما يعتقده يقوله، مهما كانت الخسائر.. لذلك كان هو الوحيد الذى واتته الجرأة لأن يقول لأم كلثوم: لا، عندما استدعته عن طريق وزير الإعلام يومها - 1965- الدكتور عبد القادر حاتم، ليُخرج لها أغنية "طوف وشوف" بطريقة الفيديو كليب كما نقول الآن، حينها كانت أم كلثوم فى عز سطوتها، ويتمنى الجميع رضاها من أول جمال عبد الناصر حتى أصغر مواطن فى الجمهورية العربية المتحدة.

كان يوسف شاهين وقتها قد أنجز واحداً من أعظم أفلامه "الناصر صلاح الدين"، وجاء بلغة سينمائية جديدة لفتت إليه الأنظار، وبينها نظر أم كلثوم، التى كانت تراقبه منذ عودته من أمريكا، حيث سافر لدراسة الإخراج السينمائى، وعاد ليبدأ رحلة جنونه الفنى. وبلا خجل سألها شاهين: "طوف" دى يعنى إيه؟!

وصُدمتْ كوكب الشرق فى مخرج الناصر صلاح الدين الذى لا يعرف معنى كلمة "طوف"، وهى الكلمة الشعبية المتداولة، والتى يبدو من سؤاله عنها أن ثقافته الغربية طغت عليه، وأزاحت فى طريقها ثقافته الشعبية. ولكن الصدمة الأكبر لأم كلثوم عندما كاشفها ذلك المخرج الشاب بأنه يرفض طلبها، ويصارحها بأن إخراج الأغنية لا يحتاج إلى عبقرية، بل فقط إلى مصور يخرج بكاميراه ليلتقط مشاهد للنيل والسواقى وأشجار الصفصاف، لتصاحب كلمات الأغنية وتترجمها.. إنها تحتاج إلى مترجم وليس مخرجًا!!





بنفس الجرأة يصارحك بأنه ظل جاهلاً بالسياسة وشئونها حتى بلغ الأربعين من عمره. قبلها لم تكن له رؤية ولا اتجاه ولا رأى ولا موقف ولا أيدلوجية. وجاءت نكسة 1967 لتصدمه وتكسره، وتصهره فى نار السياسة، وتحدد توجهاته الفنية، التى سرعان ما تجسدت على الشاشة لحماً ودماً فى ثلاثيته "الإختيار- 1971"، و "العصفور- 1973"، و "عودة الإبن الضال- 1976"، والأفلام الثلاثة -كما يصفها على أبو شادى- هى بحث فى تقصى أسباب الهزيمة، ودور المثقفين فى خيانة الثورة وتقلص أحلامهم فى التغيير، وبحثهم الدائب عن الخلاص الفردى، إن أبطال شاهين فى هذه الأفلام معظمهم من المهزومين ذوى الأحلام المجهضة.

ومنذ أن وضعته يد الله فى التجربة، وهو يخوض فى غمار السياسة بطريقته هو، يحاول بأسلوبه وبروحه الفنية المتوقدة، وببصيرته الثاقبة، ورؤيته العارية أن يعبر بصدق عما يراه، ولما أدرك فى لحظة كاشفة أن الواقعية وحدها كأسلوب للتناول غير كافية لتوصيل تلك الرؤية، فإنه قدمها بأسلوب سينمائى، شديد الخصوصية، تختلط فيه السيرة الذاتية، بالتاريخية، بالسريالية، بالفانتازيا، مستعيناً أحياناً بالرقص والغناء، وفى كل الأحوال يثور حوله الجدل والنقاش والخلاف.

جرأة واضحة لابد ان تلحظها – ولو اختلفت معها - فى أفلامه

واختياراته، مثلما تلحظها فى تصريحاته. يوسف شاهين فقط هو القادر على أن يقول بعلو صوته "أنا لا تعنينى الحكومة .. يعنينى الناس.. الحكومة ليست الشعب، ومجلس الشعب لا يمثل الشعب، أقولها واضحة ولا نلف ولا ندور.. إحنا مش كورديات.. ولذلك الحكومة عندنا هى التى دمرت السينما وخربتها وباعتها لرجال الأعمال.. ولما عملوا قانون السينما اللى اشترط أن يكون رأس مال شركة الإنتاج 200 مليون جنيه، ذهبت للاجتماع بحضور رئيس الوزراء.. ووجدت أحدهم - رجل أعمال- يخبط على الترابيزة ويقول : أنا اللى هدفع، أنا اللى أقول.. قلت له: ح تقول إيه؟ .. أنت تعرف تتاجر فى الأراضى، تعمل مصنع سجاد، تتاجر فى شرابات.. لباسات... ممكن جداً.. لكن تأتى وتقول أنا الذى سيقول فى الفن؟! لا ..دى شغلانة تانية.. إزاى رجل الأعمال هو اللى فاهم فى الفن وإحنا كلنا أحمرة (جمع حمار على الطريقة الشاهينية)"



وهو وحده الذى يملك الجرأة لأن يعترض علانية على مظاهر التدين فى المجتمع المصرى، من أول صوت الآذان ومكبرات الصوت التى تحمله إلى كل مكان، مروراً بإنتشار الحجاب، وصولاً إلى ما أسماه النزعة المحافظة المتدينة بين ممثلات السينما "الآن تقول لك الممثلة فوراً أنا أرفض القبلات، ومن ثم فإننى لا أستطيع الاستعانة بها، أو تقول أنها لا تريد أن تتعرى، أو تظهر بملابس مكشوفة أكثر مما ينبغى دى تقعد فى البيت أحسن"



ولذلك كان هو وحده الذى يستطيع إخراج فيلم فى خطورة "المهاجر".

(1)

ليس غريباً أن يُفتتن المبدعون فى كل زمان بقصة نبى الله يوسف، وتأسرهم أحداثها وشخوصها وتقلباتها وصراعاتها وحبكتها ونهايتها المدوية. فإذا جردنا القصة من إطارها الدينى وهالة القداسة التى تحيطها بوصفها تخص نبى من أنبياء الله، فإننا نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام عمل درامى هائل، يُثير مخيلة أى مبدع، ويحرضه على اقتباسه، والتمسح به..

إن سيرة يوسف عليه السلام تحتوى على جميع عناصر الدراما.. ففيها الصراع الحاد بين يوسف وإخوته.. وفيها المأساة، ممثلة فى مؤامرة الأخوة على قتل أخيهم الصغير، وفى حالة الحزن الأسطورى الذى تملك الأب، فأفقده البصر.. وفيها الإغواء الجنسى، وعربدة الغريزة، والمواجهة الخطرة بين إمرأة تملك الجمال والفتنة والنفوذ، وبين شاب يمتلك الجمال والسحر والعفاف ويقين الأنبياء، ولما تفشل أسلحة الجسد والأنوثة والنفوذ، يكون الانتقام قاسياً بذهاب يوسف إلى السجن وهو المظلوم البرئ.

وفى القصة أحلام ونبوءات ورحلة نجاح وطموح وصعود، ونهاية تُرضى الجمهور فى كل زمان ومكان.. ولذلك كان من الطبيعى أن تكون قصة يوسف هى الأكثر شهرة وإغراء بين كل القصص التى إحتوتها الكتب المقدسة، فى كل الأديان السماوية. وكان من الطبيعى -والحال كذلك- أن تتحول إلى مصدر إلهام، ويراها كل مبدع من زاوية تخصه.. إستوحاها الفنان أحمد علام وقدمها على خشبة المسرح، يوم كان أحد نجومه فى الثلاثينات... ورأى فيها الشاعر الكبير محمود درويش تجسيداً لظلم الأشقاء، فاستوحى منها قصيدته "أنا يوسف يا أبى"، التى ضمنها آية من سورة يوسف القرآنية، انفجرت فى وجه مارسيل خليفة المطرب اللبنانى المناضل عندما غنى القصيدة، وإتهموه بسببها بالإساءة إلى القرآن بغنائها، مع أن المعانى التى اشتملت عليها كانت أوسع، وأعمق وأنبل من أن نحصرها فى تلك الأزمة المفتعلة؟؟ لقد توقفوا عند أداء مارسيل للآية على المسرح، مع أنه حافظ على جلالها وقدسيتها، ولم يتعمقوا فى معانى القصيدة التى أراد صاحبها أن يُحدث" تشابها" تماهياً بين مأساة يوسف ومأساة وطن اسمه فلسطين.



أما يوسف شاهين، فقد رأى فى قصة يوسف أروع مدخل يمُكن من خلاله أن يحقق أمنيته القديمة بإخراج فيلم عن التاريخ الفرعونى، دون أن يلتزم فيه بالسرد والوقائع التاريخية المباشرة.. كان يريد أن يعود إلى زمن الفراعنة عبر رؤية شاهينية خاصة.. أضف إلى هذا السبب سببين آخرين كانا يدفعان شاهين دفعاً إلى قصة يوسف، بما يجعلها تُلح عليه، وتطارده فى كل حين. أولهما رؤية شخصية له بأن القصة توضح الجذور الأولى للصراع العربى الإسرائيلى، وهى رؤية سيطرت عليه بعد حادث شخصى وقع له، وحكى عنه "كان عمرى 18 سنة عندما أخذت مركباً لتوصلنى إلى أمريكا.. وفى فيلمى "إسكندرية ليه" حكيت إزاى جبت الفلوس بالعافية علشان رحلة أمريكا، لأنى مقتنع أن الموهبة وحدها مش كفاية، وإنى لما أشوف أفلام بلا عدد أيضاً مش كفاية، وإنى لازم أتعلم.. المهم ركبت المركب، وكان المفروض أن تمر على حيفا -فى فلسطين قبل نكبة 1948- ثم مارسيليا قبل أن تعبر جبل طارق إلى المحيط فأمريكا.. نزلت فى حيفا مع ثلاثة ركاب، وسمعنا ضرب نار، وناس تجرى هنا وناس تجرى هناك، وجرى ورانا ناس من المركب قالوا لنا ارجعوا.. ارجعوا، وجريت راجع وأنا لا أفهم رأسى من رجلى.. كان فيه صراع أنا مش فاهمه.. وهذا بالضبط ما حدث لبطلى فى "المهاجر" رام.. كان يريد الدخول إلى هنا، لكنه لا يفهم حقيقة الصراع.. كان عايز يعرف"



مثل بطله كان شاهين يحاول أن يعرف، ويستكشف حقيقة وجذور وفجر هذا الصراع، الذى إمتد مع الزمان وتشعب وفجّر المنطقة بأكملها فيما بعد..

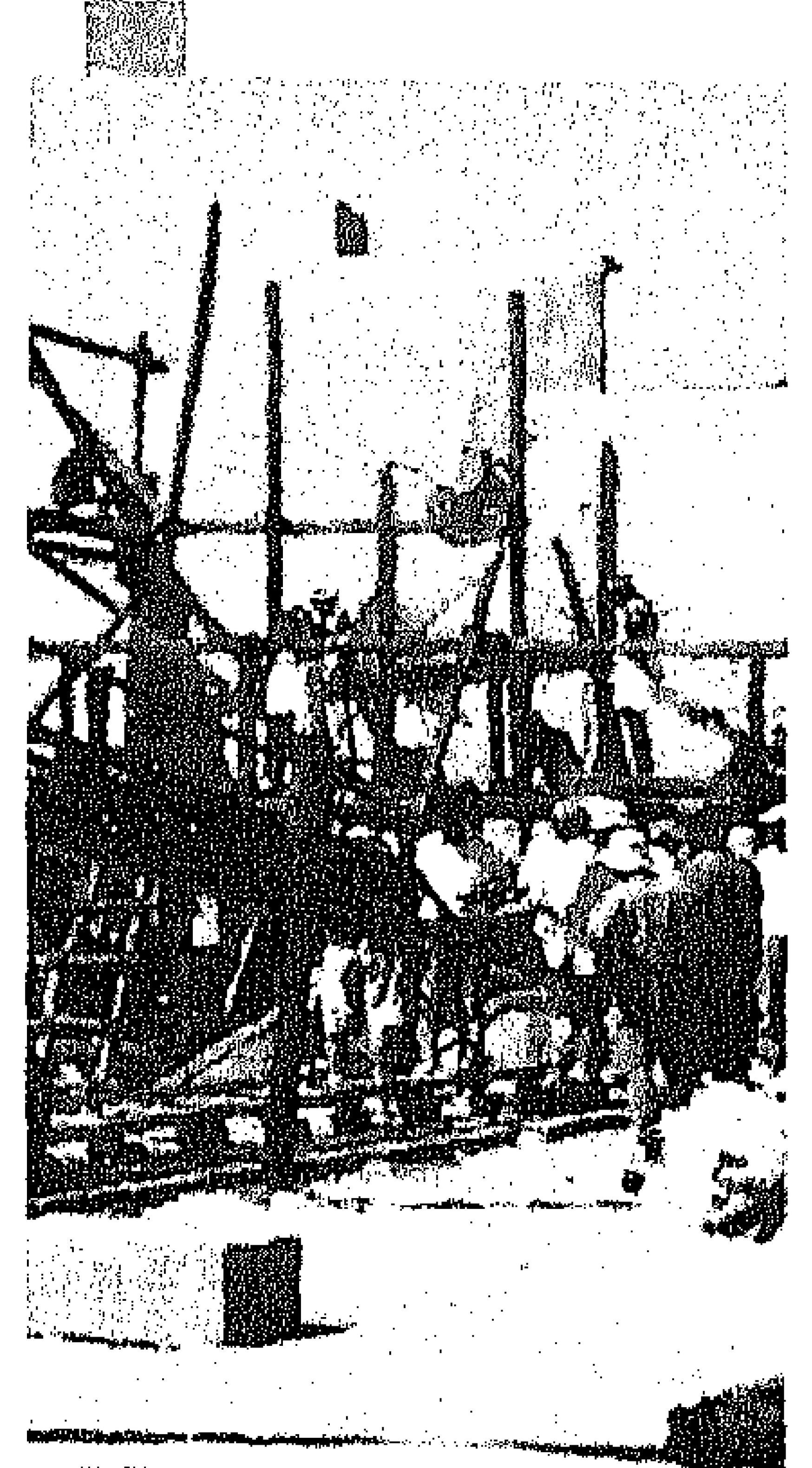
ويعترف شاهين -ثانية- بأن شخصية يوسف النبى فى ذاتها تشده إليها، ويراها جديرة بالإعجاب والتقدير والتأمل، وإتخاذها كقدوة للشباب. وأجمل ما فى شخصية يوسف النبى، كما يرى يوسف المخرج، هى قدرته العجيبة على الصبر والمثابرة والاحتمال والتحدى وقهر اليأس.. فمن غياهب الجب إلى عرش مصر. لا شك أنها رحلة نجاح باهرة.

تحت تأثير هذه الحالة من الإعجاب كتب شاهين سيناريو فيلم "يوسف الصديق" بمساعدة د. رفيق الصبان، وحمل السيناريو إلى الأزهر الشريف مباشرة، إختصاراً للطريق، لأنه يُدرك أن موافقة المؤسسة الدينية أهم من موافقة الرقابة.. وأودع نسخة أخرى بمجمع البحوث الإسلامية لاستطلاع رأى كبار العلماء.



كان ذلك فى 31 أغسطس 1992 وظل شاهين يحدوه الأمل أن يحظى بالموافقة الصعبة، وأن يسمحوا له بتصوير الفيلم مثلما سمحت أوروبا لمبدعيها أن يجسدوا أنبياء الله على شاشة السينما. وبعد أقل من شهر ونصف تلقى شاهين الصدمة الأولى، وصله تقرير الأزهر بتوقيع الشيخ فتح الله ياسين جزر مدير عام البحوث والتأليف والترجمة يفيد برفض سيناريو يوسف الصديق..

ويقول نص الخطاب الذى كان بمثابة الشرارة الأولى فى معركة طويلة تالية "السيد الأستاذ يوسف شاهين.. أفلام مصر العالمية، 35 شارع شامبليون. القاهرة. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد: فبالإشارة إلى خطابكم بتاريخ 31/8/1992 بشأن طلب فحص ومراجعة سيناريو فيلم (يوسف الصديق) تأليف رفيق الصبان ومن إخراجكم نفيد بالآتى:



1 - اشتمل السيناريو المذكور على تصوير شخصيات أنبياء الله وأخوة يوسف، وهذا أمر ممنوع شرعاً.

2 - وقعت بالسيناريو أخطاء تاريخية تخالف ما جاء فى القرآن الكريم، كما هو موضح بالتقرير.

3 - وقعت بالسيناريو أخطاء فى الآيات القرآنية.

4 - بالسيناريو وصف لنبى الله يعقوب بأوصاف لا تليق بمقام النبوة.

5 - يتحدث عن سيدنا يوسف عليه السلام حديثاً لا يليق بمقام النبوة.

لكل هذا وغيره:

يُعاد إلى سيادتكم سيناريو الفيلم المذكور لإعادة صياغته من جديد مراعياً الملاحظات الموجودة بالتقرير المرسل إليكم صورته مع نسخة من السيناريو المذكور، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

وفى حين جاء تقرير فحص السيناريو ذاته، والذى قامت به الإدارة العامة للبحوث والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية، بالرفض أيضاً، إلا أنه قد اشتمل على ملاحظات تفصيلية، ساقها

كدليل وحيثيات للرفض. ومن المفيد هنا أن نطالع التقرير بنصه ، كما أورده الكاتب والمؤرخ الكبير صلاح عيسى ضمن دراسته القيمة عن أزمة فيلم "المهاجر" والتى نُشرتَ فى مجلة "أدب ونقد" فى عددها الصادر فى يونيو 1995.

تقرير مجمع البحوث الإسلامية والموقع باسم الأمين العام للمجمع أحمد عطا الله سعود فى 17 أكتوبر 1992، يقول نصه:

1 - سيناريو الفيلم - المقصود به "يوسف الصديق" - اشتمل على تصوير شخصيات أنبياء الله وأخوة يوسف، وهو أمر ممنوع وغير جائز شرعاً، صيانة لقدسية هؤلاء الأنبياء، وإعمالاً لمقتضى قرارى مجلس مجمع البحوث الإسلامية بجلستيه المعقودتين بتاريخ 22/2/1972 و29/4/1992.

2 - إن هنالك كثيراً من الخطاء التاريخية التى تُناقض ما جاء فى القرآن الكريم، حيث ورد بسيناريو الفيلم أن سيدنا يعقوب أنجب ابنه "نافتالى" من خادمته "بلعه"، وهذا اتهام لنبى بما لا يليق بعامة البشر فضلاً عن الأنبياء.

3 - وصف نبى الله يعقوب بأنه يتلوى ألماً وغضباً، لأن ربه قد أنزل به العقوبة، وأنه بدا صائحاً منتحباً يُعاتب ربه ويسأله كيف شاءت إرادته أن يرسل وحشاً يفترس هذا الجمال، وهذا الوصف والتساؤل يناقض كلية ما ورد فى القرآن الكريم من أن نبى الله يعقوب عليه السلام تذرع بالصبر عندما أنبأه بنوه بأن الذئب قد أكل أخاهم يوسف عليه السلام بينما كانوا يستبقون تاركين يوسف عند متاعهم، بل إن القرآن الكريم يكشف صراحة عن تأكد يعقوب عليه السلام من أن ما أخبره به بنوه لم يكن مصادقاً لواقع ما حدث ، فقال "بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" الآية 18 من سورة يوسف.



4 - تحدث السيناريو عن سيدنا يوسف بأنه شارك المصريين فى طقوسهم وصلاتهم للأصنام مجاملاً، ومؤمناً بأن ربه سيسامحه ويُقدر موقفه وهو أمر لا يجد سنداً من القرآن الكريم.

5 - أظهر إمرأة العزيز وهى ترقص لاهية نشوانة، وأن يوسف عليه السلام كان يراقب حركاتها، وقد أخذ كفها المجروح ورفعه إلى فمه وقبله، وهذا الوصف والتصوير لا يليق أن يُرى أو يروى فى قصة نبى من أنبياء الله.

6 - جاء فى المشهد السادس والثامن والتاسع أن يعقوب أعطى يوسف عباءة جده إبراهيم، وقال له إن هذه العباءة هى التى أنقذت جده من النار، وهى التى ستنقذه من غيرة أخوته، وأنها تتسع حتى تكون مثل السماء وتضيق حتى تكون مثل المنديل، وأن يوسف لما حضر إليه أخوته بعد ضمه أخاه بنيامين إليه أعطاهم هذه العباءة ليلقونها على وجه أبيه حتى يعود إليه بصره.

وهذا كله حديث خرافة، فلم تكن لإبراهيم عباءة من هذا النوع، ونجاته من النار، إنما كانت علته ، أن الله تعالى سلب منها القدرة على الإحراق، وجعلها برداً وسلاماً عليه "قلنا يا نار كونى

برداً وسلاماً على إبراهيم" (الآية 69 من سورة الأنبياء).
ولم تزل غيرة أخوته بلبسه العباءة المدعاة التى أعطاها له أبوه. فقد تآمروا عليه. وألقوه فى غياهب الجب. والأمر كذلك بالنسبة لعودة بصر يعقوب إليه. فلم يكن سببه إلقاء هذه العباءة على وجهه، وإنما كان إلقاء القميص. قال تعالى "إذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأتى بصيرا" (الآية 93 من سورة يوسف).

7 - جاء فى المشهد التاسع أن يعقوب كان يُفضل يوسف وأخاه بنيامين على أولاده كافة، وهذا خطأ. فإن يعقوب عليه السلام كان أعدل من أن يُفضل بعض ولده على بعض، وما قاله أبناؤه "ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة" (الآية 8 من سورة يوسف) قد كان وهماً منهم، ولم يكن حقيقة قدرها يعقوب.

8 - جاء فى المشهد التاسع عشر ما نصه "لقد حان الوقت لتنفيذ جريمتهم البشعة، جريمة قتل أخيهم" وهو أمر يتناقض مع ما ورد فى القرآن الكريم من أن أخوة يوسف تشاوروا فى قتله أو طرحه أرضاً. لكنهم عدلوا عن ذلك ورأوا أن يلقوه فى غياهب الجب ليلتقطه بعض السيارة (الآيتان 9، 10 من سورة يوسف).

9 - جاء فى المشهد العشرين أن أخوة يوسف بعد أن استأذنوا أباهم فى خروجه معهم، هجموا عليه وضربوه، وأن يهوذا إقترح عليهم أن يلقوه فى بئر ففعلوا ذلك، ووضعوا على فم البئر حجراً، ومفاد ذلك أن فكرة إلقائه فى البئر قد جاءت متأخرة عن إصطحابهم يوسف بعد استئذان أبيهم، وأن الهدف كان قتل يوسف وليس إلقاؤه فى غياهب الجب ليلتقطه بعض السيارة، وهذا أمر يُناقض ما ورد بالقرآن الكريم، حيث يذكر أن فكرة إلقاء يوسف فى البئر قد كانت سابقة على استئذان أبيهم فى خروجه معهم، وأن الهدف من تنفيذهم هذه الفكرة لم تكن لقتله أو لمجرد إلقائه فى غيابة الجب، ولكن ليلتقطه بعض السيارة (الآيات من 10 إلى 14 من سورة يوسف).



10 - جاء فى المشهد السادس والعشرين أن "روبين" عاد إلى البئر وحرك الحجر الذى على فمه، وقد كان من الثقل بحيث لا يستطيع أن يحركه عشرة رجال، ونادى على يوسف فرآه حياً.. كما جاء فى المشهد الحادى والثلاثين أن قافلة أرسلت واحداً منها للبحث عن الآبار فوجد بئراً عليه حجر لم يستطع تحريكه، فعاد إلى قومه فتعاونوا على تحريكه ثم أخرجوا يوسف من البئر، وهذه المشاهد الثلاثة تناقض ما ورد فى القرآن الكريم الذى صور هذا الحدث بقوله تعالى "وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام" (الآية 19 من سورة يوسف).

ومعنى هذا أن وارد القافلة أتى البئر وأدلى دلوه فيه فتعلق الغلام به، فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام، فلا حجر إذن ولا عودة إلى القافلة للاستعانة بها فى زحزحته، والعطف بالفاء هنا دون غيرها يدل على أنه لم تكن ثمة فجوات أو عقبات تسمح بوجود

أحداث لم تكن، فضلاً عن أن المفهوم من عبارة القرآن الكريم ان البئر كانت عامرة بالمياه ولم تكن مغطاة بشئ، وأن السيارة كانت تعلم ذلك بدليل قوله تعالى "فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه"

11 - جاء فى المشهد الثانى والثلاثين أن إخوة يوسف تتبعوا القافلة لأخذه ثم باعوه لها، وهذا يناقض ما ورد فى القرآن الكريم. قال تعالى "وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين" (الآية -19 20 من سورة يوسف).

12 - جاء فى المشهد الخامس والأربعين ما نصه "إن فضول يوسف وحبه للمعرفة قد جعله يترك بيته ، وأهله فما بالك بنا نحن" ، هذه العبارة تشير إلى أن يوسف قد غادر أهله وبلده إختياراً، وهذا التعبير يناقض ما ورد فى القرآن الكريم من أن أخوة يوسف عليه السلام ألقوه فى الجب، وهذه السيارة قد انتزعته منه، وإتجهت وهو معها إلى حيث تريد، وليس إلى حيث يريد، وهذا تنقضه الآيات من 7 إلى 12 من سورة يوسف.



13 - جاء فى المشهد الثانى والثمانين أن يوسف كان يمارس طقوس عبادته فى مصر، وهذا غريب، لأن الديانة المصرية كانت تقوم على تعدد الآلهة، والأنبياء معصومون عن الشرك قبل النبوة وبعدها..

وجاء فى المشهد الرابع والثمانين أن إمرأة العزيز لم تدع النساء إلى طعامها من أجل الشائعة التى انتشرت فى المدينة، ومفادها أنها قد راودت فتاها عن نفسه لأنه شغفها حباً، وإنما دعتهم إلى الطعام لحكم صدر عليها من الكاهن، وإنها هى التى قطعت يدها وليس النساء، وأن يوسف لما رأى الدم يسيل من كفها غادر مكانه خلف العزيز وتناول يدها فقبلها، وكانت هذه فضيحة ، طأطأ العزيز منها رأسه وهرب الخدم، وهذا كله يناقض ما سجله القرآن فى هذه القصة (الآيات من 32-30 من سورة يوسف).

14 - فى المشهد الثامن بعد المائة أخطاء ، منها أن العزيز هو الذى أخرج يوسف من الجب، ومنها أن يوسف لما جلس من إمرأة العزيز مجلس الزوج من زوجته رأى صورة أبيه وصورة العزيز، فقام وأدار لها ظهره، فجذبته من معطفه فتمزق.

وهذا الأمر يناقض ما حكاه القرآن الكريم من أن إمرأة العزيز جذبت قميصه، وهو المتصور فى هذه الحادثة وليس المعطف (الآية 25 من سورة يوسف).

15 - فى المشهد التاسع بعد المائة أن يوسف لما غادر مكانه من إمرأة العزيز طفق يجرى حتى بلغ أسوار القصر، وأن إمرأة العزيز وقفت على باب جناحها تُخبر زوجها بما وقع، وهذه الرواية تناقض ما ورد فى القرآن الكريم الذى بيّن أن إمرأة العزيز قد أسرعت تلاحق يوسف ، وأنهما معاً قد وصلا إلى الباب وراحت تبكى لزوجها ما أراد يوسف أن يأخذه منها.. والمفهوم هنا أن

المقصود بالباب هو باب مخدع إمرأة العزيز، وليس باب جناحها أو عند أسوار القصر (الآية 25 من سورة يوسف).

16 - جاء في المشهد العاشر بعد المائة أن زليخا إتهمت يوسف بالاعتداء عليها، وأن خادماً أبكم قال للعزيز إنظر إلى ردائه فإن كان قد تمزق من الأمام فقد صدقت وكذب يوسف، ولم يذكر دفاع يوسف عن نفسه.. وهذا الأمر يناقض ما ورد في القرآن الكريم من أن الذي لفت نظر العزيز قد كان شاهد من أهلها، ووضع القرآن لفظ القميص بدلاً من لفظ الرداء، وصرح بأن القطع إذا كان من الأمام فإن إمرأة العزيز تكون هي الصادقة، وإذا كان من الخلف فيوسف هو الصادق، كما سجل القرآن الكريم دفاع يوسف عن نفسه، وكل ذلك لم يرد في خيال المؤلف الذي سجله في هذا المشهد (انظر الآيات من 26 إلى 28 من سورة يوسف).



17 - جاء في المشهد الثاني عشر بعد المائة تسجيل لحلمي الفتيين بأن أولهما رأى في حلمه كرماً للعنب مزيناً بالورود تتدلى منه ثلاثة عناقيد، وأنه إعتصر العناقيد الثلاثة وقدم خلاصتها للفرعون ليشربها، والآخر رأى كأن فوق رأسه ثلاث سلال فيها خبزاً يأكل منه الطير، وهذا على غير ما حكاه القرآن الكريم (الاية 36 من سورة يوسف).

18 - جاء في المشهد الثامن عشر بعد المائة ، ذكر الفرعون، وهو خطأ لأن هذا اللقب لم يكن يخلع إلا على من ملك أرض الكنانة من المصريين، ويوسف كان في عهد غزاة لمصر في ذلك الوقت، وكان ولي الأمر فيهم أنذاك يُلقب بالملك ولا يُلقب بفرعون، وقد ورد التعبير بالملك في سورة يوسف دون غيرها من آيات القرآن الكريم (انظر في ذلك الآيات 43، 50، 72 على سبيل المثال) بينما عبر بلقب فرعون في غيرها من الآيات، مثل المتعلقة بقصة نبي الله موسى عليه السلام، أو بيان طغيان فرعون وجبروته.



19 - جاء في المشهد التاسع عشر بعد المائة ، أن الذي ذكر يوسف لفرعون إنما كان الكاهن، وأن يوسف أخذ وقتاً للتفكير في الحلم.. وهذا يُناقض ما ورد في القرآن الكريم من أن الساقي الذي كان سجيناً مع يوسف هو الذي طلب السماح له بالذهاب إلى يوسف للحصول على تأويلهم حلم الملك، وقد أنبأه يوسف بذلك فوراً (الآيات من 45 إلى 49 من سورة يوسف).

20 - جاء في المشهد العشرين بعد المائة ، أن الملك لما سمع تفسير الحلم قال أتوني به أستخلصه لنفسي، وهو يناقض ما ورد في القرآن الكريم الذي ذكر أن هذه المقالة قد كانت في المرة الثانية، أما المرة الأولى فهي "وقال أئتوني به فلما جاءه الرسول.. إلى آخره (انظر الآيات من 50 إلى 54 من سورة يوسف).

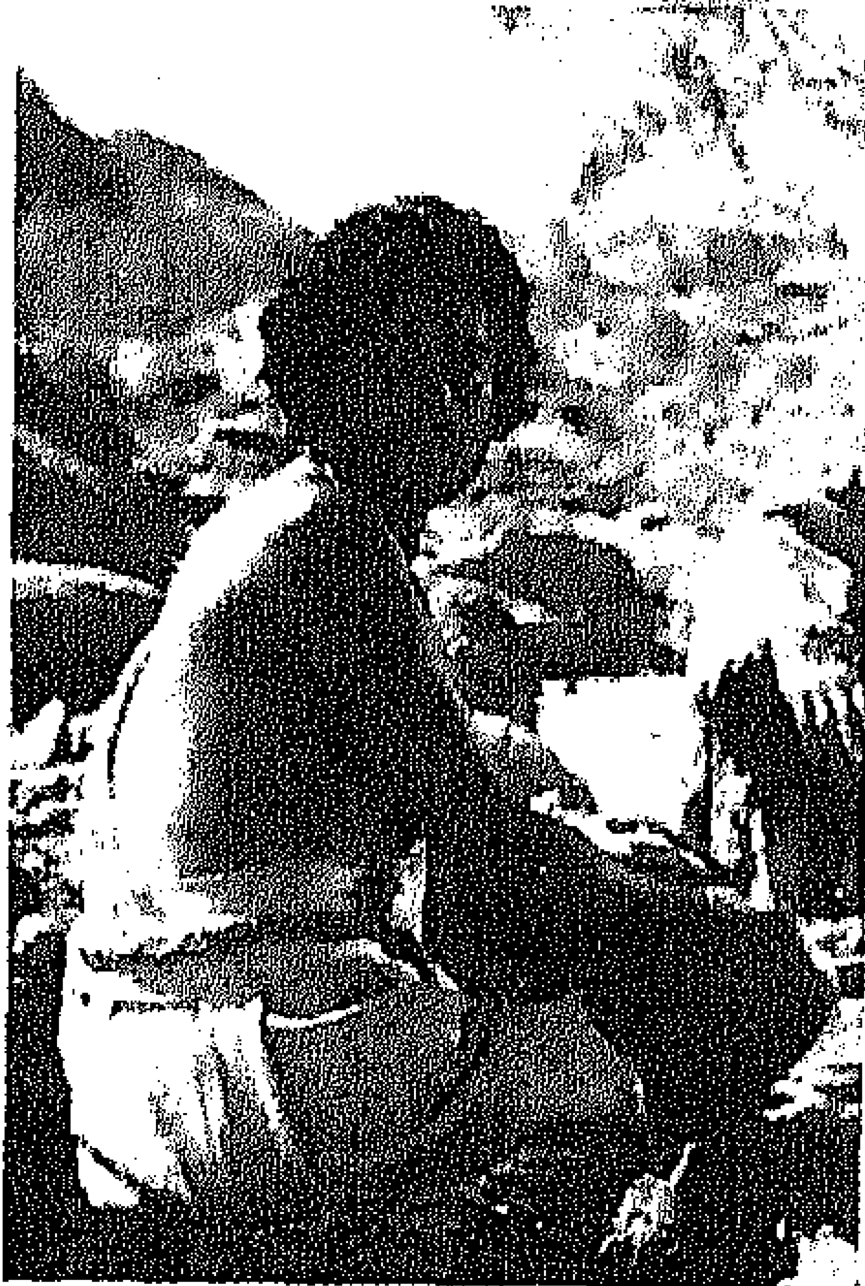
21 - جاء في المشهد الحادي والعشرين بعد المائة ، ما يُناقض القرآن الكريم وهي أن يوسف طلب من الرسول أن يرجع إلى الملك ويسأله "ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، وأن الملك قد

استجاب له وأحضر النساء وسألهن ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه، قلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء، قالت إمرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وأنه لمن الصادقين (الآية 51 من سورة يوسف).

22 - جاء فى المشهد التاسع والثلاثين بعد المائة، أن أخوة يوسف لما دخلوا عليه تولى يهوذا الكلام، وهذا يناقض ما ورد فى القرآن الكريم الذى نص على أنهم جميعاً تكلموا (الآية 88 من سورة يوسف).

23 - جاء فى المشهد السادس والأربعين بعد المائة، أن يوسف خرج لاستقبال أبويه وأسرته، وأنه رحب بهم فى مصر، وقال إن الشيطان قد نزغ بينه وبينهم، وقد خلا المشهد من سجود أخوته الأحد عشر له، وهذا أمر أساسى فى قصة يوسف عليه السلام، لأنه تحقيق لتأويل حلمه الذى رآه ورواه لأبيه فى صغره، وحذره من أخوته به، وبشره أنذاك بالمقام الرفيع الذى سوف يصل إليه مستقبلاً وتحقق فعلاً (الآيات 4، 5، 6، 100 من سورة يوسف).

يتبين من هذه الملحوظات الموجزة، وغيرها أن مؤلف وكاتب سيناريو ومخرج فيلم "يوسف الصديق" قد ناقضوا ما ثبت فى القرآن الكريم عن قصة النبى يوسف عليه السلام، ولم يلتزموا النص القرآنى فيما حكاه رب العزة من وقائع هذه القصة، وأضافوا إليها الكثير من شطحات الخيال التى أوهنتها وأخرجتها من دائرة الحقيقة والواقع إلى مجال الأسطورة، وأضافوا إليها كثيراً من العبارات الهابطة والمشاهد الخارجة عن تقاليد المجتمع وآدابه"



إنتهى نص تقرير مجمع البحوث الإسلامية، والذى جاءت ملاحظاته الثلاث والعشرين تحمل رفضاً حاسماً لسيناريو الفيلم، اعتماداً على مخالفته لنصوص القرآن، بما يعنى أن على مخرجه أن يسحب مشروعه، أو يعيد النظر فيه كلية طبقاً لشروط المؤسسة الدينية، وإختار يوسف شاهين الحل الأخير، وقام بإجراء تعديلات فى سيناريو الفيلم، وطرحه من جديد أمام مشيخة الأزهر، إلا أن التعديلات التى أدخلها وحاول فيها إيهامهم قيامه بحذف شخصية النبى يوسف، لم تنطل على المشايخ، كما لم ينطل عليهم الخطاب الرقيق الذى أرسله شاهين إلى شيخ الأزهر وفى 9 فبراير 1993، أى بعد خمسة شهور من الشد والجذب أرسل الأزهر ممثلاً فى الشيخ فتح الله جزر مدير عام البحوث والتأليف والترجمة خطاباً إلى يوسف شاهين يفيد برفض سيناريو الفيلم حتى بعد التعديلات، وهو ما نفهمه من سطور الخطاب:

"السيد الأستاذ يوسف شاهين- أفلام مصر العالمية- 35 شارع شامبليون- القاهرة- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فبالإشارة إلى خطابكم الموجه إلى فضيلة وكيل الأزهر بتاريخ 28/12/1992، وإلحاقاً لكتابنا المؤرخ فى 7/10/1992 بخصوص

قيامكم بإعادة صياغة فيلم "يوسف الصديق" تأليف رفيق الصبان، ومن إخراجكم، وعلى ضوء ملحوظات الإدارة الموضحة بالكتاب سالف الذكر نفيد بالآتى:-

1 - تبين أن الكاتب لم يلتزم بحذف ما طلب حذفه وإصراره على ظهور نبى الله يوسف الصديق عليه السلام، وهو أمر لا يجيزه الأزهر الشريف، لا قبل البعثة ولا بعدها، إحتراماً وتقديراً لرسالة الأنبياء والرسل الكرام.

2 - السيناريو يحتوى على أخطاء فى اللغة العربية، وبعض الايات القرآنية، لذا فالإدارة ترفض تصوير هذا العمل بصورته الحالية لمخالفته القواعد الشرعية"



وبذلك خسر يوسف شاهين الجولة الأولى فى المعركة، ولكنه لم يرفع الراية البيضاء، بل إن مفاوضاته مع المؤسسة الدينية ومشايخها جعلته أكثر دراية بلغتها، وفهماً لتفكيرها، مما مكنه أن ينفذ من ثغراتها. أدرك يوسف شاهين أن تقديم قصة يوسف "القرآنية" أمراً يكاد يكون مستحيلاً، وأن عليه أن يستلهم روح القصة فقط حتى يخرج من هذا المأزق الشرعى. ويتعامل مع الأحداث والشخصيات بحرية وواقعية، بعيداً عن قيود النصوص السماوية بما يمنحه فرصة تقديم بشر بكل أخطائهم ونزقهم، وليس أنبياء معصومين.



وبهذا المنطق كتب يوسف شاهين سيناريو "المهاجر" وتقدم به هذه المرة إلى رقابة المصنفات، على إعتبار أنه فيلم عادى لا يحتاج إلى موافقة الأزهر، الذى إتضح لشاهين عملياً أنه ضد ظهور الأنبياء وتجسيدهم على الشاشة، ولم يخف المخرج الكبير أنه ذهب لمقابلة شيخ الأزهر وقتها الشيخ جاد الحق على جاد الحق، ودخل معه فى مناقشات مطولة، إنتهت بأن أعلن الإمام الأكبر بوضوح أنه ملتزم برأى الأزهر الرافض لتجسيد أنبياء الله فى أعمال درامية، وحتى الرأى المستنير الذى أبداه مفتى مصر يومها د. محمد سيد طنطاوى بموافقته على تجسيد شخصية يوسف عليه السلام فى مرحلة ما قبل النبوة فقط، وإقتراحه الاستعانة براوٍ ينقل كلام يوسف وأبيه نبى الله يعقوب، دون أن يظهرا بشخصيتيهما الحقيقية، حتى هذا الحل لم يرضِ طموح شاهين، فلجأ إلى إستلهام القصة، واللف والدوران حولها، وتجهيل أبطالها، على أن يقول من خلالها كل المعانى التى يريدها.. فكان "المهاجر"

ومن شدة تأثر يوسف شاهين بالقصة الأصلية وسيطرتها عليهن فإن الاسم الأصلى الذى إختاره لفيلمه الجديد ، هو "يوسف وأخوته"، وهو ما إعترض عليه مدير الرقابة على المصنفات الفنية يومها حمدى سرور، إدراكاً منه أن الإسم يضعه تحت طائلة الأزهر، وأن عليه أن يتقدم بنسخة من السيناريو إلى المؤسسة الدينية للحصول على موافقتها، طبقاً للقانون 35 لسنة 1955 الذى يلزم الرقابة بعرض الأفلام السينمائية التى تمس

الدين أو أنبياء الله أو الصحابة أو الخلفاء الراشدين أو العشرة المبشرين بالجنة أو أهل البيت على الأزهر لإبداء الرأى فيها.. ولأن شاهين جرب التعامل مع المؤسسة الدينية وذاق مرارة رفضها، فقد استجاب على الفور، وتحول "يوسف وأخوته" إلى "المهاجر".

وفى 18 يوليو 1993 حصل يوسف شاهين على تصريح الرقابة على المصنفات الفنية بتصوير "المهاجر" بعد أن شكل مدير الرقابة حمدى سرور ما يُشبه "الكونسلتو" لقراءة السيناريو، واستعان بضعف العدد الإعتيادى من الرقباء لإبداء الرأى حوله، بل وقرأه بنفسه، وكان أكثر الرقباء تشدداً هو عبد الستار فتحى، الذى أبدى ملاحظات على السيناريو من "منظور أمنى" معتبراً أن بعض مشاهد الفيلم قد تحمل معنى الإساءة للتاريخ المصرى، فى إشارة إلى أمور فى أحداث الفيلم، مثل العجز الجنسى لقائد الجيش المصرى، وما يحمله من دلالات، وكذلك استعانة المصريين بـ "رام" العبرانى ليعلمهم الزراعة.. وإعتبرها الرقيب ملاحظات عامة يوصى مخرج الفيلم بأخذها فى الإعتبار، ولم يجد غضاضة بعدها فى التصريح بتصوير الفيلم.



وكان من الممكن أن ينتهى يوسف شاهين من تصوير "المهاجر" وعرضه دون شوشرة، لولا تلك الشكوى التى تقدم بها السينارست جابر عبد السلام إلى المخابرات العامة، وإلى شيخ الأزهر، وتتضمن تحريضاً سافراً ضد الفيلم، وضد الرقابة التى أجازته..

المدهش أن الشكوى كانت من النوع الكيدى، ولم يكن يوسف شاهين هو المقصود بها فى الأصل، بل كانت أقرب لأن تكون "نكاية" فى حمدى سرور رئيس الرقابة، كما إعترف الشاكى فى حوار صحفى نشرته مجلة روزاليوسف فى 14/11/1994، وجابر عبد السلام هو فى الأصل سيناريست متواضع، تتدرج أفلامه الأربعة التى كان قد كتب قصتها حتى ذلك الحين تحت وصف أفلام المقاولات، بداية من "أيام التحدى" بطولة سمير غانم وليلى علوى- 1985، ثم "روض الفرج" تمثيل فريد شوقى ومجدى وهبة- 1987، و"اللعب مع الشياطين" تمثيل محسن محيى الدين وهالة فؤاد- 1991، و "هارب من التجنيد" ليونس شلبى وايمان- 1992، ولا يغيب عن الوصف فيلميه اللذين كتب لهما السيناريو والحوار بنفسه "إنتحار مدرس ثانوى" لحسين فهمى، وعفاف شعيب- 1989، و "عائلة مشاغبة جداً" لسمير صبرى وإسعاد يونس- 1981، والفيلمان أخرجهما إثنان من نجوم أفلام المقاولات التى إنتشرت فى تلك السنوات هما ناصر حسين، وإسماعيل حسن على الترتيب.



وشاء حظ "المهاجر" التعس أن تقدم جابر عبد السلام بسيناريو جديد إلى الرقابة متزامناً مع إنشغالها بقراءة "المهاجر"، وأمام إلحاحه عامله رئيس الرقابة بخشونة عدها عبد السلام إهانة شخصية له، فقرر أن ينتقم.. وفى فترة تردده على

مقر الرقابة صكت مسامعه أنباء "المهاجر" والاهتمام غير العادى به، و الذى جاء حسبما تصور على حساب فيلمه، فتفتق ذهنه عن تلك الشكوى التى أرسلها إلى الجهات السيادية فى الدولة ، وبينها رئاسة الجمهورية والمخابرات العامة والأزهر الشريف مطالباً بوقف تصوير "المهاجر" الذى عده كارثة قومية يجب التصدى لها فوراً!

ورغم ركاكة الصياغة وتجاوز العبارات والأوصاف فى كثير من مواضع الشكوى، ورغم أنها كانت مكتوبة فى الأصل بغرض الانتقام من رئيس الرقابة، إلا أن "المهاجر" هو الذى دفع ثمنها. ولذلك فمن المهم هنا أن نقرأ نصها:

سيادة رئيس المخابرات العامة

سيادة فضيلة شيخ الأزهر

لسيادتكم جميعاً كل إحترام وتقدير

مقدمه لسيادتكم المؤلف جابر عبد السلام هلال





الموضـوع

بخصوص فيلم اسمه "المهاجر" تأليف وإنتاج وإخراج يوسف شاهين بتمويل من فرنسا والدول الأوروبية ، نما إلى علمى أن الرقيب عبد الستار فتحى بالرقابة على المصنفات الفنية الموجودة بالدورين الثانى والثالث بمصلحة الاستعلامات بجوار سينما راديو بالقاهرة- شارع طلعت حرب- يا أفندم أن هذا الرقيب المؤمن الحر السابق اسمه أعلاه قد كتب تقريراً عن فيلم "المهاجر" يتضمن 12 صفحة بالرفض ملخصهم الآتى:

1 - هذا السيناريو يسيئ إلى الدين والأخلاق، وهو عن قصة سيدنا يوسف عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام، ويُشار إلى سيدنا يوسف بالرموز السينمائية التى يجهلها بعض المشاهدين، ويقول إن سيدنا يوسف لم يستطع معاملة المرأة التى دعته إليها، وأنه كان مريضاً ولا يستطيع المعاشرة الزوجية مع أى إمرأة.

2 - وهذا السيناريو قد رُفض منذ ثلاث سنوات رفضاً باتاً، ثم وافقت عليه الرقابة بعد أن قامت رقيبة ملازمة فى مكتب يوسف شاهين بـ 35 شارع شامبليون، تُدعى نبيلة صقر ووافقت على السيناريو بالإلحاح مع الزملاء الآخرين، ووعدها يوسف شاهين بالسفر إلى لندن أثناء طبع وتحميض الفيلم مكافأة لها للموافقة على السيناريو.

3 - فأرجو من سيادتكم إنقاذ سمعة وحضارة مصر.. وهذا من الأمن القومى لأننا دولة إسلامية.

4 - أفندم: أرجو من سيادتكم الإطلاع على نسخة السيناريو باسم "المهاجر" أو "يوسف وإخوته" الموجودة فى مكتب يوسف شاهين، وموجود هناك ثلاث نسخ بالرقابة على المصنفات الفنية.

5 - لن يرفض تصوير أى مشهد يسيئ للدين أو الإسلام أو

لسيدنا يوسف، مادامت هناك موافقة من الرقابة على السيناريو ومختومة بشعار جمهورية مصر العربية.

6 - ونعرف سيادتكم يا افندم أن الفيلم الذى يخرجه يوسف شاهين وتموله الدول الأوروبية يمجد فى اليهود، ويحقر من قيمة المصريين، لأنهم هم الذين إضطهدوا اليهود، وهذه تهمة تاريخية، يريد العالم الخارجى إثباتها تاريخياً.. وأسفاه.. إن مهاجمة الشعب المصرى العظيم ذو الحضارة منذ 7 آلاف سنة، جاءت المهاجمة من مخرج مصرى، وسيناريست مصرى ولكنه بتمويل صهيونى أجنبى ضد أمن مصر .. نريد من سيادتكم أن تسألوا أين موافقة الأزهر الشريف على هذا الفيلم؟!

7 - وكيف وافق مدير الرقابة على التصريح بهذه الجريمة الشنعاء فى حق مصر.. كيف؟! و أؤكد لسيادتكم أنه لم يقرأ السيناريو، وأنه وافق عليه من خلال الرقباء الثلاثة وخصوصاً الرقيبة نبيلة صقر.

8 - هذا السيناريو يعطى الحق لليهود فى الأرض المغتصبة.. لأنه يحكى عندما جاء سيدنا يوسف من فلسطين إلى مصر العظيمة المعروفة فى القرآن الكريم.

9 - ولعلم سيادتكم يا أفندم .. لو تم تصويره بهذا المعنى فسوف يحقق لإسرائيل حلمها الأزلى التاريخى من النيل إلى الفرات.. لكن بإذن الله عز وجل ومقاومة سيادتكم للفساد لن يتحقق ذلك أبداً.



10 - أفندم وأنا أسأل مدير الرقابة.. لماذا وافقتم على "يوسف وإخوته" وترفضون أفلاماً أخرى تشرح معنى الإسلام الحنيف وتقومون بإرسالها إلى الأزهر الشريف؟!

11 - وأسأل مدير الرقابة: لماذا لم ترسل "المهاجر" إلى الأزهر الشريف؟ ولماذا لم ترسل أيضاً سيناريو فيلم "كشف المستور" للمخابرات العامة؟ ولماذا لم يرسل قصة سيدنا يوسف للمخابرات العامة؟!

وأختتم الرسالة وأقول كلمة حق على لسانى شرحها لى الرقيب وجدى الجافى – موظف بالرقابة منذ عام 1968- وكذلك أختتم بالآية القرآنية، بسم الله الرحمن الرحيم "ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين" صدق الله العظيم.

جعلكم الله عوناً لنا فى ظل سيادة القائد الرئيس محمد حسنى مبارك.

ملحوظة: هذا الفيلم الشاذ سوف يُصور فى 30/9/1993.

أفندم: المعروف أن يوسف شاهين مسيحى يسارى.

التوقيع: المواطن جابر عبد السلام هلال، رقيب أول بالقوات المسلحة وبالمعاش ومشترك فى حرب أكتوبر 1973، وحاصل على بكالوريوس المعهد العالى للسينما قسم السيناريو أثناء الخدمة العسكرية.

انتهت الشكوى الكيدية بما تزخر به من مغالطات فادحة وتحريض صارخ.. وبدأت توابعها ، وكانت أبرز التوابع ذلك الخطاب الذى تلقاه رئيس الرقابة فى 17/10/1993 بتوقيع الشيخ فتح الله جزر مدير عام البحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية يطلب فيها نسخة من سيناريو الفيلم، بعد الإدعاءات التى رددها جابر عبد السلام بأن الفيلم يروى سيرة نبى الله يوسف، ولم يعدل السيناريو الأصلى الذى كان الأزهر قد رفضه بشكل حاسم.



وفى 3 نوفمبر 1993 أرسل حمدى سرور نسخة من السيناريو إلى مجمع البحوث ومعه رد يؤكد فيه أن الفيلم "عادى" وليس من النوع الذى يتطلب موافقة دينية، وأن الرقابة مارست صلاحيتها القانونية فى إجازته.. يقول الرد:

بالإشارة إلى كتاب فضيلتكم رقم 327 بشأن طلب نسخة من سيناريو فيلم "المهاجر" تأليف وإخراج يوسف شاهين نتشرف بأن نرفق نسخة من السيناريو المذكور، علماً بأن الإدارة قد وافقت على تصوير السيناريو المذكور وعلما بأن الإدارة قد وافقت على تصوير السيناريو بعد أن تأكدت بأن موضوع السيناريو هو مجرد فكرة سينمائية لم تُشر من قريب أو بعيد ، إلى أن المقصود هو قصة سيدنا يوسف.. وتأكيداً من الإدارة على ذلك فقد إشترطت على صاحب هذا الشأن عند التنفيذ مراعاة الآتى:

1 - التأكيد على أن أحداث الفيلم لا تمت إلى أى قصة أو حادثة فى التاريخ، وأنها مجرد رؤية سينمائية لفترة خصبة فى التاريخ المصرى القديم.

2 - تحاشى كل ما يُسيئ إلى التاريخ والحضارة المصرية أو إضفاء صبغة سياسية على أحداث السيناريو، أو الربط بين قصة أحد الأنبياء ومفاهيم سياسية لا تتفق مع المشاعر الوطنية.

3 - تعهد الشركة المنتجة بعدم عرض الفيلم فى أى مكان بالعالم قبل عرضه على الرقابة المصرية وموافقتها ، وإلا أعتبر الترخيص لاغياً.

4 - تفادى كل ما يفيد بأن رام قد جاء إلى مصر ليساعد المصريين فى بناء الهرم أو ليعلمهم فنون الزراعة وإنما جاء للاستفادة من نور العلم والعلماء المصريين.

5 - أوفدت الإدراة رقيباً لمصاحبة بعثة التصوير للتأكد من تنفيذ الملاحظات الرقابية.

هذا ويمكن لفضيلتكم إيفاد من ترونه لمشاهدة الفيلم بعد وروده للإدارة، كما نرجو التفضل بعد الإطلاع بالتنبيه إلى إعادة نسخة السيناريو إلى الإدارة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. تحريراً فى 2/11/1993 بتوقيع المدير العام للرقابة حمدى سرور"

اللغة المهذبة التى كتب بها رئيس الرقابة رده على الأزهر ما كانت لتخفى التوتر الشديد بين المؤسستين الرقابية والدينية فى

ذلك الوقت، بسبب التنازع على الاختصاصات. فقد كان من رأى حمدى سرور أن الرقابة وحدها هى المسئولة عن منح تراخيص المصنفات السمعية والبصرية، باستثناء الأعمال ذات الصبغة الدينية المباشرة وتراخيص شرائط القرآن الكريم، ولذلك رأى فى سيطرة الأزهر على منح تراخيص الألبومات الخاصة بالدعاة الدينيين التى إنتشرت فى ذلك الوقت تغولا على سلطات الرقابة القانونية، ومن ثم استغل حملة الهجوم الصحفية أنذاك على تلك الألبومات، والاتهامات الموجهة إليها بنشر التوتر والتطرف وتكدير الأمن والإساءة لهيبة النظام والدعوة للفتنة الطائفية، وحاول إستعادة اختصاصات الرقابة التى إنتزعها الأزهر، وسيرت الرقابة حملات مكثفة من مفتشيها لضبط تلك الألبومات، ومصادرتها.

وهو ما لم تقبله المؤسسة الدينية بسهولة، فلجأت إلى قسم الفتوى والتشريع بمجلس الدولة لتحديد إختصاصات الأزهر فيما يتعلق بالرقابة على المصنفات الفنية، وجاءت الفتوى التى أصدرها المستشار طارق البشرى فى 2 فبراير 1994 لصالح الأزهر، وانتهت إلى أنه وحدة "صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات السمعية والسمعية البصرية".

وبناء على هذه السلطات الجديدة للأزهر، فقد قام مجمع البحوث الإسلامية بإسناد مهمة فحص سيناريو "المهاجر" الذى أرسلته الرقابة. وتكفل بالمهمة أحد أعضاء المجمع وهو د. عبد العزيز غنيم، وكان هو نفسه الذى راجع سيناريو "يوسف وأخوته" وأشار برفضه لأن يجسد شخصية نبى من أنبياء الله، وطبقاً لما إتفق عليه علماء الإسلام فإن تجسيد شخصيات الأنبياء لا يجوز.



وانتهى د. غنيم فى تقريره الذى قدمه إلى مجمع البحوث فى 27 يناير 1994 إلى رفض سيناريو "المهاجر" أيضاً. نص التقرير الموجه إلى الشيخ فتح الله جزر مدير إدارة البحوث والتأليف والترجمة بالمجمع يقول:

فقد أحلتم فضيلتكم علىّ سيناريو فيلم "يوسف الصديق" وسيناريو فيلم "المهاجر" لفحص كل منهما وكتابة تقرير عنه، وقد طالعت السيناريو الأول وكتبت تقريراً ضافياً عنه. وهذا هو التقرير الثانى وهو فيلم "المهاجر تأليف وإخراج الأستاذ يوسف شاهين ومشاهده واحد وخمسون ومائة، وصفحاته مئتان وصفحة واحدة من القطع الكبير.. وحاصله أن رجلاً من البدو اسمه آدم قد كان له تسعة أبناء وكان يُفضل اثنين منهما على غيرهما من أخوتهما وهما "رام" و "سالم" وقد تضايق الأخوة من هذا التفضيل الذى لا مبرر له فى نظرهم ، وإتفقوا فيما بينهم على قتل أخيهم "رام" حتى يخلو لهم وجه أبيهم، واستطاعوا أن يحصلوا على إذن منه فى إصطحابه إلى مصر ليتعلم على أيدى

رجالها الكثير من المعارف، ولاسيما الزراعة التى كانت بلادهم فى أشد الحاجة إليها.

وما كادوا يبتعدون عن مضاربهم فى الصحراء حتى تغيرت معاملتهم لأخيهم فأوسعوه كتافاً وأشبعوه ضرباً وألقوه فى أسفل سفينة كانت متجهة إلى مصر حتى يموت تحت البضائع، لكن الله عز وجل قد شاء له النجاة، فأنقذه قائد السفينة وأعوانه وباعوه فى مصر إلى "أميهار" قائد الجيش بثور وأوز، وهو ثمن بخس لا يكافئ جمال الفتى وذكاءه، وفى قصر هذا القائد الكبير نشأت علاقة بين رام وسمهيت إمراة أميهار، وسرعان ما تطورت هذه العلاقة بينهما حتى أوشك كل منهما أن يفضى إلى صاحبه، لكن رام قد أبت عليه نفسه أن يخون مولاه وصاحب الفضل عليه فرفض التمادى، فى هذا الطريق. وقد اتهمت "سمهيت" "رام" بأنه قد راودها عن نفسها، وأراد خدش عفافها، وكذبها رام وأنكر التهمة التى وجهتها إليه.



ومال قلب أميهار إلى صدق رام، لكن نهايته كانت السجن وقد زارته فيه سمهيت، ودار بينهما حديث ينبئ على أنها لا تزال تحبه وتهيم فى هواه. وفى اجتماع دعا إليه الملك أعلنت سمهيت براءة رام وعفافه، وأنها هى التى راودته عن نفسه.

ثم أن أنصار "أتون" قد ثاروا على "أمون" وأحرقوا الخزائن والمحاصيل. وكان رام قد ترقى حتى صار وزيراً للملك، وشبت المجاعة فى بلاد الشام ومات الكثير من الحيوانات من شدة الجوع. وتدفق الناس إلى مصر من البلاد المجاورة لشراء القوت، ومنهم أبناء آدم وأخوة رام. وإنفتح الباب للتعارف بين رام وأخوته -كما حدث بالنسبة ليوسف تماماً- من سؤال رام عما إذا كان لهم إخوة آخرون، وعمله على إحضار أخيه سالم وكشفه له القناع عن شخصه، إلى التعارف التام الذى وقع بينه وبين سائر إخوته.

وأنهى الكاتب سيناريو المهاجر بخروج رام مع أخوته من مصر إلى مضارب أبيه آدم فى الشام ، وكيف أن آدم قد أحس بعودته وأخيه سالماً مع بقية إخوتهما فى قافلة واحدة. فقد رأى فى منامه ذلك قبل وصول أبنائه بزمن يسير. والذى يقارن بين هذه القصة وقصة يوسف لا يتردد فى أنها واحدة، وأن الإختلاف بينهما لا يعدو الأسماء.

فـ "آدم" ويعقوب شخص واحد. وكذلك رام ويوسف.. وسالم وبنيامين.. وسمهيت وزليخا.. والتمويه الذى عمد إليه الكاتب لجعل سيناريو المهاجر شئ وسيناريو يوسف الصديق شئ آخر لا ينطلى على الناقد السطحى فضلاً عن الناقد المتمكن والمتعمق.

وإذا كان ثمة فرق بين سيناريو المهاجر وسيناريو يوسف فهو فى صياغة الأحداث وتصويرها. ففى سيناريو يوسف كان الكاتب متحفظاً بعض الشئ لأنه كان يشعر أنه يتناول أحد أنبياء الله تعالى ورسله، وأنه يتعامل مع القرآن والأسفار المقدسة، ولهذا فإنه لم يخرج عن قيم المجتمع وآدابه. وفى سيناريو المهاجر لم

يكن يشعر هذا الشعور، لأنه كان يتناول شخصاً عادياً ليس له من القدر ما لنبى الله يوسف.. ولهذا فإنه أطلق لخياله العنان فاخترق الحواجز وتعدى الحدود ولم يراع قيم المجتمع وآدابه. وأنت إذا قرأت المشاهد إبتداءً من المشهد الأول إلى المشهد العشرين تبينت لك هذه الحقيقة واضحة لا لبس فيها ولا خفاء. وقد تقول أن الفرق واضح بين سيناريو المهاجر وسيناريو يوسف، مما يدل على أنهما قصتان لا قصة واحدة - فيوسف قد ألقاه أخوته فى البئر، ورام قد ألقاه أخوته فى قاع إحدى السفن، ويوسف قد اشتراه عزيز مصر، ورام قد إشتراه قائد جيشها. وقصة يوسف قد انتهت بقدوم يعقوب وأسرته إلى مصر، وقصة رام قد خُتمت بخروجه إلى أبيه فى الشام. والجواب أن هذا كله تمويه لا ينطلى حتى ولو على السذج البسطاء.

والدليل على أن القصتين قصة واحدة ما جاء فى المشاهد التالية:

المشهد العاشر والثالث عشر والخامس عشر والسادس عشر، والحوار الذى دار بين "حسبان" وبعض أخوته حول الحجاب الذى انتزعه آدم من حول رقبته وأعطاه لولده "رام" فليس بينه وبين العباءة التى أعطاها يعقوب لولده يوسف فرق كبير.

وكذلك إقتراح أخوة يوسف بقتله كبير فرق، ولو شئت أن استرسل فى هذا الكلام لطال التقرير وخرج عن الحدود التى ينبغى مراعاتها فى أمثاله. وعلى القارئ أن يلاحظ وجوه الإتفاق الكثيرة، مثل تهيئة إمراة العزيز المكان ليوسف ومراودتها له عن نفسه، ومصير يوسف الذى إنتهى إليه وهو زجه فى غياهب السجن، وإعتراف إمرأة أميهار أو إمرأة العزيز أمام المجلس الذى دعا إليه الملك ببراءة يوسف، وأنها هى التى راودته عن نفسه، والأمر كذلك بالنسبة لحضور أبناء آدم أو أبناء يعقوب إلى مصر وتعرفهم على أخيهم، وكيفية التعرف وحكايته إلى آخره.. فإن هذه الأحداث كلها مسجلة فى سيناريو المهاجر وسيناريو يوسف الأمر الذى يقطع بأن القصتين قصة واحدة.



صحيح أن ثورة أتباع أتون.. لا وجود لها فى سيناريو يوسف، و الحلم الذى رآه الملك وطلبه من الكهنة تفسيره لا وجود له فى سيناريو المهاجر، غير أن هذين الحدثين وأمثالهما لا يجعلان القصة قصتين، وقد أفلتت من الكاتب فى سيناريو المهاجر عبارات شائنة لا أظن أنه قد تعمدها مثل قوله فى الصفحة 149:

هورى: أى حمار ممكن يؤكد إن النسوان هما اللى ممشيين العالم.. الفرعون نفسه الملكة تى مجرجراه من مناخيره.

وقوله: وإنتى بقالك شهور مختفية من كل الجنازات والمواكب مشغولة بالحدود إنتى راخره؟ بلد تحكمها نسوان لابد إنها تروح فى داهية".. إلى غير ذلك من العبارات التى تسئ إلى الفيلم.

القرار :

حيث أن سيناريو المهاجر هو نفسه سيناريو يوسف عليه الصلاة والسلام ، فإننى أرى أن يرد إلى كاتبه حتى تحذف منه العبارات الهابطة والمشاهد الخارجة على تقاليد المجتمع وآدابه"

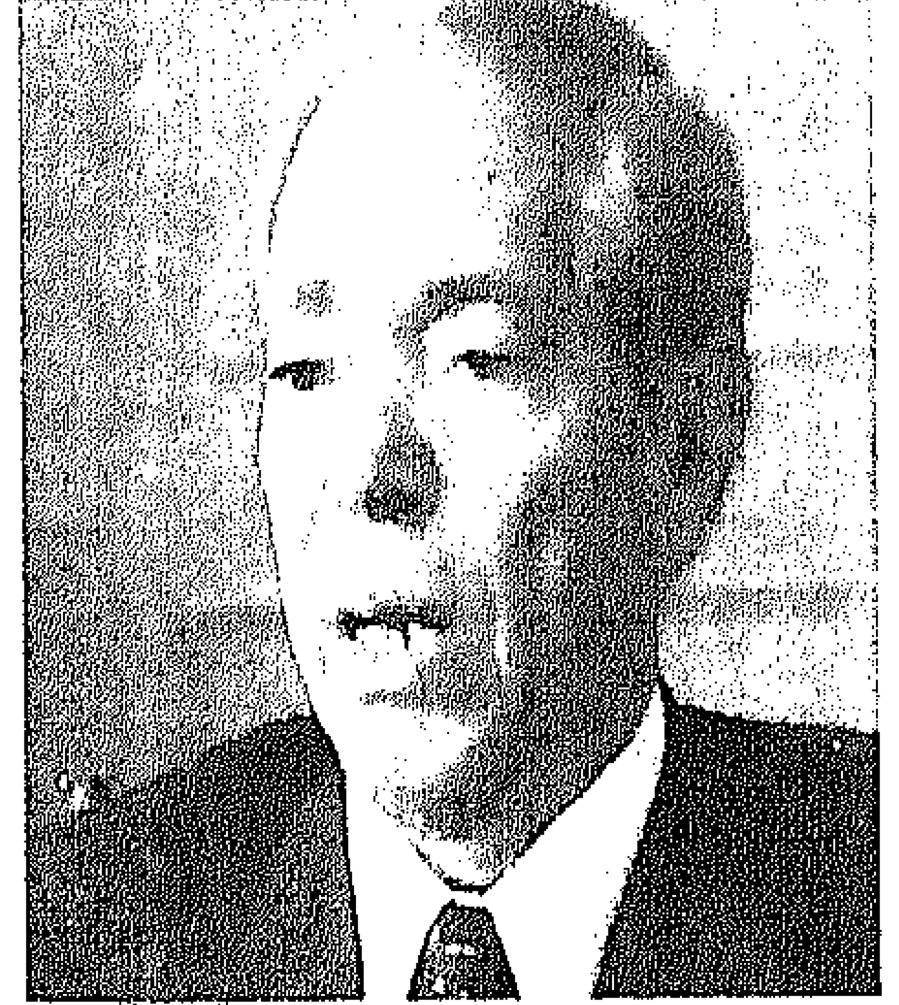
وفى 5 فبراير 1994 تلقت الرقابة خطاباً من الشيخ فتح الله جزر يعلن فيه صراحة رفض الأزهر تصوير سيناريو المهاجر "لمخالفته الشريعة" وإحتوائه على عبارات هابطة ومشاهد خارجة على تقاليد المجتمع.

واستقوى الأزهر بفتوى مجلس الدولة السابق الإشارة إليها والتى كانت قد صدرت فى تلك الأيام، فلم يكتف بخطابه إلى الرقابة بل أرسل نسخة منه إلى مباحث أمن الدولة طالباً تدخلها لوقف تصوير الفيلم.

وكان من حسن حظ يوسف شاهين هذه المرة أن المكاتبات والشد والجذب بين الرقابة والأزهر قد إستغرقت شهوراً، نجح خلالها فى الإنتهاء من تصوير مشاهده. ولم يكتف الحظ بذلك بل وقف إلى جواره فى وقت التصوير نفسه، وليس أدل على ذلك من الحيرة التى عاشها يوسف شاهين وطاقم عمل الفيلم فى صحراء الفيوم، بعد أن تعذر عليهم التوصل لطريقة مبتكرة لمشهد السيول العارمة، ولم تقنع الحلول المقترحة مخرج الفيلم، ولم تلبِ تطلعاته وطموحاته، فإذا بالحل القدرى غير المتوقع يكون هو المنقذ، وتهطل الأمطار بغزارة فى مكان التصوير، ليخرج المشهد طبيعياً بلا عناء.

ثم يقف إلى جواره مجدداً بعد أن إنتهت مدة خدمة الرقيب الذى قاتل بشراسة من أجل الفيلم حماساً له، ولم يكن الفيلم قد حصل على التصريح النهائى بالعرض، إذ كانت نسخة تحت الطبع فى أحد معامل باريس. وكان هناك تخوفاً شديداً من أن يأتى رقيب جديد لا يحمل نفس الحماس للفيلم، ويخضع لسطوة المؤسسة الدينية ويرضخ لطلباتها بوقف الفيلم.. وكان الحل أن يُسافر حمدى سرور إلى باريس ليشاهد نسخة الفيلم النهائية، ويكون توقيعه على تتراته هو آخر توقيع له فى فترة خدمته العاصفة بالرقابة.

وفى يوم الثلاثاء 1 سبتمبر 1994 أقام يوسف شاهين عرضاً خاصاً محدوداً للفيلم بسينما كريم ، حضره د. أسامة الباز مدير مكتب الرئيس وقتها للشئون السياسية، وبطلة الفيلم الفنانة يسرا والموسيقار محمد نوح واضع الموسيقى التصويرية للفيلم. كما حضره ثلاثة من الرقباء لإجازة مقدمة ونهاية الفيلم، والتأكد من وجود اللوحة التى طلبتها الرقابة فى تترات الفيلم، والتى تشير إلى أن أحداثه لا علاقة لها بالتاريخ أو أية وقائع حقيقية، وخرج يوسف شاهين ليحدد يوم 26 سبتمبر 1994 موعداً لبدء عرض "المهاجر" فى دور العرض بالقاهرة.


د. الباز


خالد النبوى

(2)

ولد "المهاجر" قيصرياً، وساهمت الضجة التى سبقت عرضه، والإشتباك الذى حدث بين مؤسستى الرقابة والأزهر فى توليد حالة من الترقب الشديد، فى إنتظار العرض. كان متوقعاً إذن أن يثير الفيلم ضجة، وجدلاً يليق بقيمته وموضوعه.

وانقسم الرأى حول الفيلم إلى فسطاطين على طرفى نقيض. كان الفسطاط الأول تتزعمه الصحف ذات التوجه الإسلامى وعلى رأسها جريدة الشعب، التى تبنت حملة هجوم ساحقة على الفيلم ومخرجه، وراحت تكيل له الإتهامات من كل شكل ولون، بداية من الدعوة إلى التطبيع وإنتهاء بالتخوين والتكفير والعمالة.

وربما يُعبر هذا المقال بامتياز عن حملة الهجوم التى تعرض لها الفيلم من أنصار التيار الإسلامى. المقال كتبه الناقد محمد القدوسى أحد المسئولين عن تحرير جريدة الشعب فى هذا التاريخ 18 أكتوبر 1994، ومن المهم هنا أن نقرأ نصه بما تحويه سطوره من إعتراضات صريحة وإتهامات قاطعة

دعوة صهيونية فى فيلم سينما

المهاجر المغامر ينجح فى تطبيع المصريين العجزة

أما نصه فيقول:



"الطعام والجنس.. هذه هى الحياة.. والبشر جميعاً يحتاجون لبعضهم فى سبيل تحقيق الكفاية من هاتين الحاجتين الحيويتين، أما الدين فأداة يستخدمها الساسة لإحكام سيطرتهم على الشعوب، ويستخدمها رجال الدين لتحقيق الثراء وإمتلاك السطوة، لكن الدين فى حقيقته مجرد علاقة هلامية (دروشة) باللّه الواحد.. علاقة تؤمن للإنسان الصفاء النفسى وتبعده عن العدوانية.

ومادامت الحياة هى الطعام والعناق فقط، ومادام الدين والوطن لا معنى لهما، فإن أهم أسباب الصراع بين البشر تنتهى.. ويمكن لنا أن نعيش فى هدوء ومحبة حتى مع العدو الصهيونى.

هذه هى الرؤية التى يطرحها يوسف شاهين فى "المهاجر" فاقتنع بها إن أردت وأضف عليها: إن التطبيع و"الاستسلام" للعدو الصهيونى أصبح هو الحل الوحيد أمام مصر (العاجزة فى الفيلم على طول الخط.. تلك التى تمتلك المعرفة ولا تمتلك القوة)..

الاستسلام هو الحل الوحيد لتجد مصر طعاماً يُشبع جوعها، ولتنقذ نفسها من ذلك الصراع بين دين السلطة ودين الشعب.. أو أمون وأتون كما قدمهما الفيلم.

هذا هو جوهر رؤية مهاجر يوسف شاهين، وهو جوهر يستحق القسط الأول فى مناقشة الفيلم، أما أنه يجسد قصة يوسف عليه السلام فحقيقة واقعة يمكن الجدال فيها من باب "الاستهبال" فقط أو لصرف الأنظار عن المضمون الحقيقى.. المزرى.

يحكى المهاجر قصة رام (يوسف عليه السلام) القادم من صحراء طناى (هل المقصود بها هو سيناى- اى سيناء فى نطقها الأجنبى؟- ربما!) إلى مصر ليتعلم الزراعة وينقذ أهلها من حياتهم الرعوية القاسية، ولينقذ نفسه أيضاً من كره أخوته له. وفى مصر يجد رام شبح المجاعة أمامه يهدد المصريين، فالأرض شحيحة منذ ثلاث سنوات وينجح فى إقناع القائد "أميهار" بأن يمنحه قطعة أرض يستصلحها.

يتعلم رام كيف يستصلح الأرض ويفلحها على يد "أوزير" الفلاح المصرى ذو الخبرة الكبيرة والذى عجز عن تطبيق علمه، كما عجز الوطن عن الاستفادة من خبراته لأن البلاد مشغولة بالصراع بين أتباع أمون وعلى رأسهم فرعون واتباع آتون وعلى رأسهم ولى العهد.

ويكتشف رام "ينبوعاً" متدفقاً من الماء العذب (يوجد مثله فى الفيوم، الإقليم الذى قام يوسف عليه السلام باستصلاح أرضه فى الحقيقة). لتنبت الأرض، ويقول رام لأوزير معترفاً بفضله: من غيرك ماكناش وصلنا لحاجة.

فيرد أوزير: كلنا محتاجين لبعض.

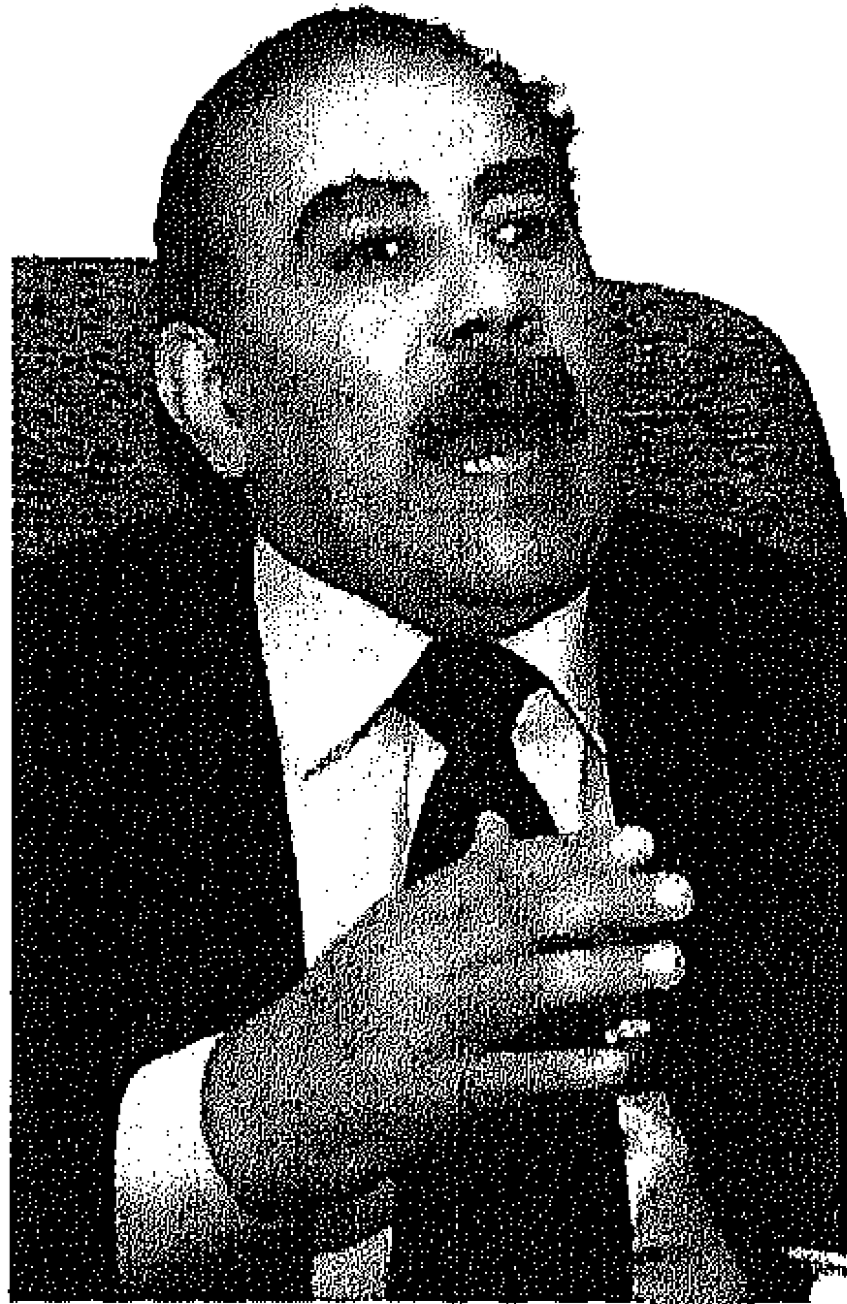
وأوزير بالاسم والصفة يشير إلى "أوزيريس" الذى تقول عنه أساطير قدماء المصريين إنه كان إلهاً طيباً علمّ المصريين الزراعة والكتابة وحياكة الثياب، وهو أيضاً يشير بالاسم فقط إلى "عزير" العبرانى، فكأن المصرى والعبرى يمتزجان إسماً، والحوار بين أوزير ورام يؤكد تكامل المصرى والعبرى .. واضح! (انتهى المقال)


صالح مرسى

ولم يعدم هذا الفسطاط أنصاراً من أقلام محسوبة على التيار الليبرالى ، ومن الداعين إلى حرية الإبداع. قلم بقيمة صاحبه الأديب الفنان صالح مرسى كتب يعبر عن غضبه من الفيلم ومخرجه، معتبراً أنه يسئ للتاريخ المصرى، ويقدم المصريين القدامى فى صورة مزرية لا تليق بحضارتهم، يوم كانوا أسياد العالم وقتها. وفى حين لايقدم صالح مرسى أدلته على التطابق بين شخصيتى يوسف الصديق ورام فالأخطر من وجهة نظره، ما يطرحه الفيلم من مفاهيم إعتبرها تهدد الأمن القومى وتسئ إلى الجيش المصرى، وتصف قائده بالديكتاتورية وتطالب بتسريح جنوده.

يتساءل صالح مرسى بنص كلماته :" هل كان جيش مصر فى الوقت الذى طالب يوسف شاهين فى الفيلم بتسريحه -إستجابة لطلب رام من أميهار -كى يمارس الزراعة؟! ألا يحق لنا القول أن الأمر هنا بالذات لا يحتمل تأويلاً أو تخريجاً، فالزارع الذى يزرع الأرض يحتاج إلى من يحمى له زراعته من جحافل البدو الجياع الذين جاءوا إلى مصر من الشرق والغرب! وفى سفر التكوين إشارة

واضحة إلى ذلك الزمن الذى وصل فيه آل يعقوب أو بنو إسرائيل إلى مصر بعد أن إلتقى يوسف بأخوته وأنبأ فرعون بأمر عائلته.. ففى الإصحاح السابع والأربعين جاء بالحرف الواحد "فأسكن يوسف -بعد استئذان فرعون- أباه وأخوته وأعطاهم ملكاً فى أرض مصر، فى أفضل الأرض، فى أرض رعمسيس ، كما أمر فرعون" فهل كان - والحساب هنا على الإستلهام- قائد جيوش رمسيس عنيفاً؟! مجرد سؤال أطرحه دون مناقشة أيضاً. ولكن إننا حتى إذا سلمنا بذلك التفسير الذى يقول أن يوسف شاهين أراد أن يُسقط المعنى على الجيش المصرى الذى مُنى بهزيمة شنعاء فى 1967، وبصرف النظر عن الظروف التاريخية وحقائق المؤامرات التى حكيت، ألا يحق لنا أن نقول: إن هذا الجيش نفسه برجاله وقواده وجنوده ، هو الذى عبر القناة بمعجزة أذهلت العالم فى عام 1973؟! إذن فالإسقاط هنا غير وارد، بل قد أصل إلى القول أنه لا يصح أصلاً.. وبذلك نجد أنفسنا أمام معلومة مغلوطة تماماً.. ذلك أن مصر يوم أن نزلها يوسف عليه السلام كانت إمبراطورية ليس فوق سطح الأرض من هى أقوى منها. كانت دولة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وإذا كنا مسلمين تماماً بأن من حق الفنان أن يختار من المواقف ما يساعده فى طرح وجهة نظره، فما هى وجهة نظر يوسف شاهين فى بناء القصة على هذا النحو الذى يشوه كل ما هو مصرى؟!


محمود ابو الفيض

وفى المقابل قاد يوسف شاهين بنفسه الفسطاط المضاد، وتولى بجهوده الشخصية حملة الدفاع عن الفيلم، وتفنيد الإتهامات الموجهة ضده، ورد السهام التى تحاول النيل منه، ووصل الأمر مع سخونة الحملة والإتهامات إلى حد الذهاب إلى "معسكر الأعداء" بقدميه طالباً المواجهة والمبارزة ، مثلما حدث بذهابه إلى معقل جريدة الشعب، طالباً حق الرد... راجياً أن يسمعوا صوته قبل أن يذبحوه. وقال لهم يوسف شاهين إنه أراد من خلال الفيلم أن يقدم قدوة طيبة للشباب، وأن يفتح أمامهم أبواب الأمل ونوافذ المعرفة. ونفى بشكل قاطع أن يكون بالفيلم أى دعوة إلى التطبيع لأنه نفسه ضد التطبيع.. ولم يكتفِ بالنفى بل دلل بوقائع وبراهين "أنا كنت فى لجنة تحكيم مهرجان "كان" ودعونى لمدة 8 شهور قبل المهرجان، وقبل إنعقاد اللجنة بأربعة أيام قالوا لى: عندنا مناحم جولان وهو مخرج إسرائيلى وصاحب شركة أفلام صهيونية سيدخل اللجنة. قلت لهم: من هو مناحم جولان؟ هاتوا لى الكلمة التى كتبها كتعريف بنفسه. فوجدت أنه يفتخر فى الكلمة بأنه ضرب مصر بالطائرة فى حرب 1956، فقلت لهم: أنا معتذر. قالوا: نحن نعتمد عليك منذ 8 شهور. فقلت لا حوار فى هذه المسألة خصوصاً إنه معندوش دم وبيفتخر بأنه ضرب مصر.. كان يقول أى حاجة تانية.. وطردوه فرفع عليهم قضية وكسبها وأصبح عضواً فى لجنة تحكيم الدورة التالية.. مئات المرات

يطاردنى الإسرائيليون فى المهرجانات يطلبون عرض أفلامى فى مهرجاناتهم.. وأقول لهم لا!

ويدعوننى فى أوروبا للمساهمة فى حوار الشمال والجنوب فأقول لهم: إرفعوا مسدسكم عن جنبى أولا.. كيف يكون هناك حوار وأنت تهددنى؟! ومؤخراً كنت فى الأردن لحضور إفتتاح فيلم المهاجر وقلت لهم: لن أذهب إلى إسرائيل ولو ذهب إليها العرب كلهم قبل أن تحل آخر مشكلة بيننا وبينهم".

وفى هذا الحوار المشار إليه نفى شاهين كذلك أى علاقة بين المهاجر ويوسف الصديق، بل فجر مفاجأة عندما أعلن أن الأحداث مستوحاة من سيرته هو الذاتية "مثلاً ينبوع الماء الذى تفجر لرام فى الصحراء له أصل فى حياتى، فعندما كنت فى أمريكا لدراسة السينما، وكان باقى شهر على عودتى، أرسل لى أبى خطاباً يعتذر فيه عن عدم قدرته على مواصلة إرسال النقود إلىّ، وبدأت أفكر فى العودة وفعلاً كدت أحزم أمرى وأرجع، وفى يوم شعرت أن صندوق البريد الخاص بى فيه شئ، فلما فتحته وجدت بداخله خطاباً فيه شيك بـ 180 دولارا وشيك آخر والإثنان باسمى.. قررت البقاء واستمر وصول النقود، وإعتقدت أن أبى يرسلها حتى عدت إلى مصر، وأخرجت فيلمين، كان أجرى فى الفيلم الأول 300 جنيه، وفى الثانى 700 جنيه، وفوجئت بوزارة التعليم تطالبنى بمبلغ 700 جنيه، وعرفت أن أبى كان قد توقف بالفعل عن إرسال النقود، وأن ما كان يصلنى هى شيكات خاصة بطالب آخر اسمه يوسف شاهين ومقيم فى كندا.. وهكذا شاءت إرادة الله أن يتفجر لى هذا الينبوع من المال لأواصل دراستى"



على الراعى

وعاد يوسف شاهين إلى هذا النفى بصيغة أخرى فى الندوة الموسعة التى دعته إليها مجلة "المصور" وشارك فيها ألمع نقاد وكتاب مصر مثل د. على الراعى، ورجاء النقاش، وصالح مرسى، وأنقل منها عن شاهين قوله "لو أننى كنت أقدم فيلماً دينياً، كان إنتاجه وإخراجه قد تم بنظام محدد.. فيه وضوح شديد.. وفى نطاق قواعد وحدود يعرفها رجال الدين.. وكان شيخ الأزهر ووكيل الأزهر والمفتى يعرفون الخطوات التى أقوم بها.. وعندما رفضوا ومنعوا تجسيد قصة سيدنا يوسف أنا إقتنعت.. قالوا بلاش ووافقت وقلت بلاش.. عملت فيلماً آخر بقصة أخرى.. لم تعد شخصية سيدنا يوسف موجودة.. والنبوءة غير موجودة إطلاقاً".

هذه البلاغة لم توقف حملة الهجوم ضد الفيلم وصاحبه، بل إن تلك الحملة قد أتت أكلها سريعاً، متمثلة فى الدعوى القضائية التى أقامها المحامى محمود أبو الفيض فى أكتوبر 1994، مطالباً فيها بمصادرة الفيلم والتحفظ عليه ومنع تصديره. وكان مما إستند إليه أبو الفيض فى دعواه الإتهامات التى ساقتها الصحف ضد الفيلم وصاحبه، من أول الإساءة إلى تاريخ مصر، مروراً بالدعوة إلى التطبيع، وصولاً إلى تشويه صورة نبى من أنبياء

الله.

إختصم المحامى فى دعواه يوسف شاهين ومعه أمبير بلزان وجابى خورى بوصفهما منتجى وموزعى الفيلم، وكل من شيخ الأزهر ومدير الرقابة ووزير الثقافة بوصفهم مسئولين عن الترخيص للفيلم. وفى حوار صحفى له أشار أبو الفيض إلى الأسباب التى دعته إلى إقامة الدعوى ضد "المهاجر": "بدأت الحكاية عندما أبلغنى صديق بعد رؤيته لفيلم المهاجر أنه يسئ إلى سيدنا يوسف، وعندما ذهبت لرؤية الفيلم أصبت بصدمة شديدة جعلتنى أجمع كل ما كُتب عن الفيلم فى الصحافة. حيث درست القصة جيداً ثم قمت برفع الدعوى.. وأحب أن أقول أننى قارئ نهم للأدب، وأؤلف حالياً كتاباً عن مقارنة الأديان.. كما أن لى قراءات فى الأدب والدراما والفن وخاصة فى السينما.. وكل ذلك أكد لى بما لا يدع مجالاً للشك أن شخصية رام فى فيلم "المهاجر" هى شخصية سيدنا يوسف عليه السلام، وهى الحقيقة التى ينكرها يوسف شاهين رغم وضوحها بجلاء، وأتحدى يوسف شاهين فى مناظرة عالمية .. فجميع تفاصيل الفيلم تؤكد بمقارنتها بقصة سيدنا يوسف كما جاءت فى القرآن الكريم، أنها هى والمشهد الوحيد الذى فشل فى تصويره فغيره هو حلم يوسف فى قوله تعالى "يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين" فهرب منها بالرمز والإسقاط.."


محفوظ

ورداً على الذين إتهموه بأنه غاوى شهرة ويسعى من وراء الدعوى إلى كسب الأضواء قال: "حسبى الله ونعم الوكيل.. فإن نشأتى الدينية وغيرتى على أنبياء الله وبنى وطنى هى التى دفعتنى لذلك.. وأريد أن أقول إن الدعاوى المستعجلة لا تزيد على 4 ورقات وليس 27 ورقة كما فعلت، إذ ضمنتها أدلة ومواقف مسجلة ومشاهد ومقارنات وردت فى القرآن والتوراة.. فأين كل هذا من الفرقعة الصحفية والبحث عن الشهرة".

وزاد الموقف تعقيداً وصول الأزمة إلى مجلس الشعب بطلب الإحاطة الذى قدمه النائب جلال غريب ضد وزير الثقافة، إعتراضاً على سماح الرقابة للفيلم بالعرض رغم كل التجاوزات التى يحملها. ثم جاءت الصفعة الأكبر لمعسكر يوسف شاهين عندما أصدر المستشار جبر إبراهيم جبر رئيس محكمة القاهرة للأمور المستعجلة حكماً فى جلسة الخميس 29 ديسمبر 1994 يقضى بوقف عرض "المهاجر" ومنع تصديره خارج البلاد، بناء على الدعوى التى قدمها المحامى أبو الفيض، وإستناداً إلى الشهادة التى حصل عليها من الأزهر وتثبت إعتراض مجمع البحوث الإسلامية على الفيلم ومطالبته بوقف تصويره.

والحق أن الدعوى القضائية أشاعت حالة من التعاطف مع يوسف شاهين، وتسببت فى إلتفاف الأوساط الثقافية حوله، خاصة مع المناخ المعادى للتطرف الذى أشاعه حادث الإعتداء الآثم على الروائى الشهير نجيب محفوظ، والذى تزامن مع تلك

الأزمة، الأمر الذى جعل من الدفاع عن يوسف شاهين ومناصرته معركة ضد الإرهاب والتطرف وإنتصاراً لحرية الرأى والتعبير، وليس مجرد أزمة تخص مخرج وفيلم.

أصبح معسكر يوسف شاهين هو الأعلى صوتاً، وتنادى المثقفون للوقوف فى خندق الإبداع، وغصت صفحات الصحف والمجلات بالمقالات المؤازرة لشاهين وفيلمه، وننتقى منها هذين النموذجين اللذين يعبران بإمتياز عن حملة المساندة لشاهين.

المقال الأول كتبه الناقد الكبير رجاء النقاش كإفتتاحية لمجلة الكواكب التى كان يترأس تحريرها فى ذلك الحين (1/11/1994) وحمل المقال هذا العنوان الدال " أنا مع يوسف شاهين"

أما نصه فيقول:

" لا أميل أبداً إلى إتهام أى فنان بأنه "سيئ النية" خاصة إذا كان فناناً كبيراً مثل يوسف شاهين، عرفت بلادنا فنه منذ نصف قرن من الزمان، وقدم أفلاماً رائعة ورائدة مثل "باب الحديد" و "صلاح الدين" و "الأرض" و "العصفور" وكلها أفلام تشهد له بأنه فنان مبدع يقف فى المقدمة من رواد السينما المعاصرين.



النقاش

لا أحب أن أتهم فناناً مثل يوسف شاهين فى "نواياه" و"إتجاهاته" ، وهو الأمر الذى كرره بعض الزملاء من النقاد والصحفيين، ولن أتردد لحظة فى أن أقول إننى سعدت كثيراً بفيلم "المهاجر" وأن هذا الفيلم الكبير أعجبنى، وأثار عندى كل معانى التقدير والإحترام لفن يوسف شاهين، وهذا الموقف لا ينفى أننى لم أسعد كثيراً مع العديد من أفلام يوسف شاهين الأخيرة باستثناء فيلم "المهاجر" وذلك الفيلم القصير الذى أثار ضجة كبيرة وهو "القاهرة منورة بأهلها"، فقد أعجبنى هذا الفيلم القصير أيضاً ووجدت فيه جمالاً وجرأة وشجاعة فى النقد والتحريض على تغيير الأخطاء فى المجتمع الذى نعيشه.

أفلاماً أخرى كثيرة ليوسف شاهين لم أستطع احتمالها أو الاستمتاع بها ولا فهمها مثل فيلمه عن نابليون الذى أحاول منذ سنوات أن أبلعه ولكنى عاجز عن "بلعه" أو "هضمه".

أما فيلم يوسف شاهين الجديد فهو عندى فيلم رائع وفيلم جبار. وجدت فيه المتعة ووجدت فيه يوسف شاهين "الأستاذ" وقد عاد إلى مواهبه الكبيرة وثقافته العالية وقلبه النابض بالحياة فاستخدم ذلك كله أحسن استخدام وأرقاه.

فيلم "المهاجر" فيه جرأة فكرية عالية جداً وهو محاولة كبرى للخروج بالسينما المصرية من الموضوعات المكررة والطرق المسدودة، ذلك لأنه يفتح باباً واسعاً للاستفادة من التاريخ وإختيار لحظات ساخنة منه لتقديمها فى السينما، وهى محاولة مبتكرة وأصيلة يخاف منها الكثيرون ويقفون أمامها مرتعدين، ولم أجد فى الفيلم مطلقاً ذلك المعنى الذى أشار إليه بعض الزملاء، فليس فى الفيلم تهوين من شأن المصريين ولا إعلاء من شأن اليهود، فالمصريون فى الفيلم يتألمون ويعانون، والذى ينكر أن

المصريين تعرضوا فى تلك العصور القديمة للألم والمعاناة هو إنسان واهم ومخدوع فتاريخ المصريين هو تاريخ الألم والمعاناة والصبر على العذاب والفقر والقهر. أما اليهود فى فيلم المهاجر، فصورتهم لا تسر عدواً ولا حبيباً، فهم يحاولون قتل أخيهم ويخونون أباهم، ويعاملون بعضهم البعض بطريقة لا مثيل لها فى تاريخ القسوة وإنعدام الرحمة.

والفيلم بعد ذلك جرئ جداً فى اختياره لأماكن التصوير فى الصحارى والجبال والمناطق الجرداء، بدلاً من ذلك الوضع الشائع للأفلام المصرية التى لا تخرج كثيراً عن "صالونات"البيوت، فإن خرجت فإلى الشارع التقليدى والمقاهى والفنادق.

الصورة السينمائية فى "المهاجر" رائعة وجبارة، ويوسف شاهين يقدم للسينمائيين درساًنادراً يلفت عيونهم إلى أن مصر ليست هى الوادى الضيق بل هى أيضاً سيناء والصحراء الغربية والجبال والسيول وأنحاء الصعيد المدهشة العجيبة فى آثارها وطبيعتها.

أما رسالة الفيلم فقد فهمتها ببساطة شديدةعلى أنها دعوة لشعبنا إلى العمل والجد والإجتهاد والاهتمام بالحياة قبل الإهتمام بالموت، والخروج من الكسل والخمول إلى أفكار جديدة وبيئات جديدة، والبحث عن الماء حتى فى الجبال ورمال الصحراء.



وفى الفيلم معنى آخر لا خطر منه ولا ضرر فيه وهو أن مصر كانت دائماً ملتقى الحضارات التى تتفاعل على أرضها بلا تعصب، لكى تكون حضارة مصر فى نهاية الأمر "عصيراً" مبدعاً من حضارة الدنيا كلها، فحضارتنا هى حضارة الحضارات ورحيق لكل الزهور الجميلة فى حدائق الدنيا.

أنا مع يوسف شاهين هذه المرة.. أقف فى صف المعجبين به والمصفقين له والمطالبين للسينمائيين من الأجيال الجيدة أن يتعلموا منه ويفتحوا أعينهم على فنه الرفيع، ولا أستطيع أن أقف فى صف المعارضين والمعترضين على فيلم المهاجر بسبب مجموعة من "الوساوس" الفكرية والنفسية، ليس لها فى نظرى مبرراً معقولاً، وأنا أخاف أن تكون "الوساوس" التى تحارب فيلم المهاجر هى من نفس طبيعة "الوساوس" التى دارت حول رواية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ ، وأدت بشاب صغير إلى محاولة قتل نجيب محفوظ.

فإحذروا أيها "الموسوسون".. قبل أن تتحول "وساوسكم" إلى سكاكين."

أما المقال الثانى فكتبه الناقد السينمائى المعروف سمير فريد، يدافع فيه بحماس عن يوسف شاهين، وكأنه مذكرة دفاع محكمة ضد الإتهامات التى تواجه موكله. المقال المنشور على صفحات جريدة الجمهورية فى 16 نوفمبر 1994 بعنوان "حرية الرأى ومحاكمة الفن"

أما نصه فيقول :

حرية الرأي .. ومحاكمة الفن



سمير فريد

تصبح علماء الدين يفتون في السينما. فهل يفتي علماء السينما في الدين ؟

وتصبح القضاة يحكمون على الأفلام بدلا من النقاد. فهل يحاكم النقاد القضاة ؟

حل علماء الدين محل نقاد الأدب، وأفتوا في رواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا»، وحلوا محل نقاد السينما، وأفتوا في فيلم يوسف شاهين «المهاجر».

وها هو أحد المحامين يرفع دعوى أمام المحاكم ليفتي القضاة في فيلم «المهاجر» بدعوى أن الفيلم يتناول قصة النبي يوسف عليه السلام تناولا يتعارض مع ما ورد في الكتب السماوية، ويحمل مضامين سياسية تخلط بين قدر مصر وشخصها وسلطة [illegible]

[illegible]

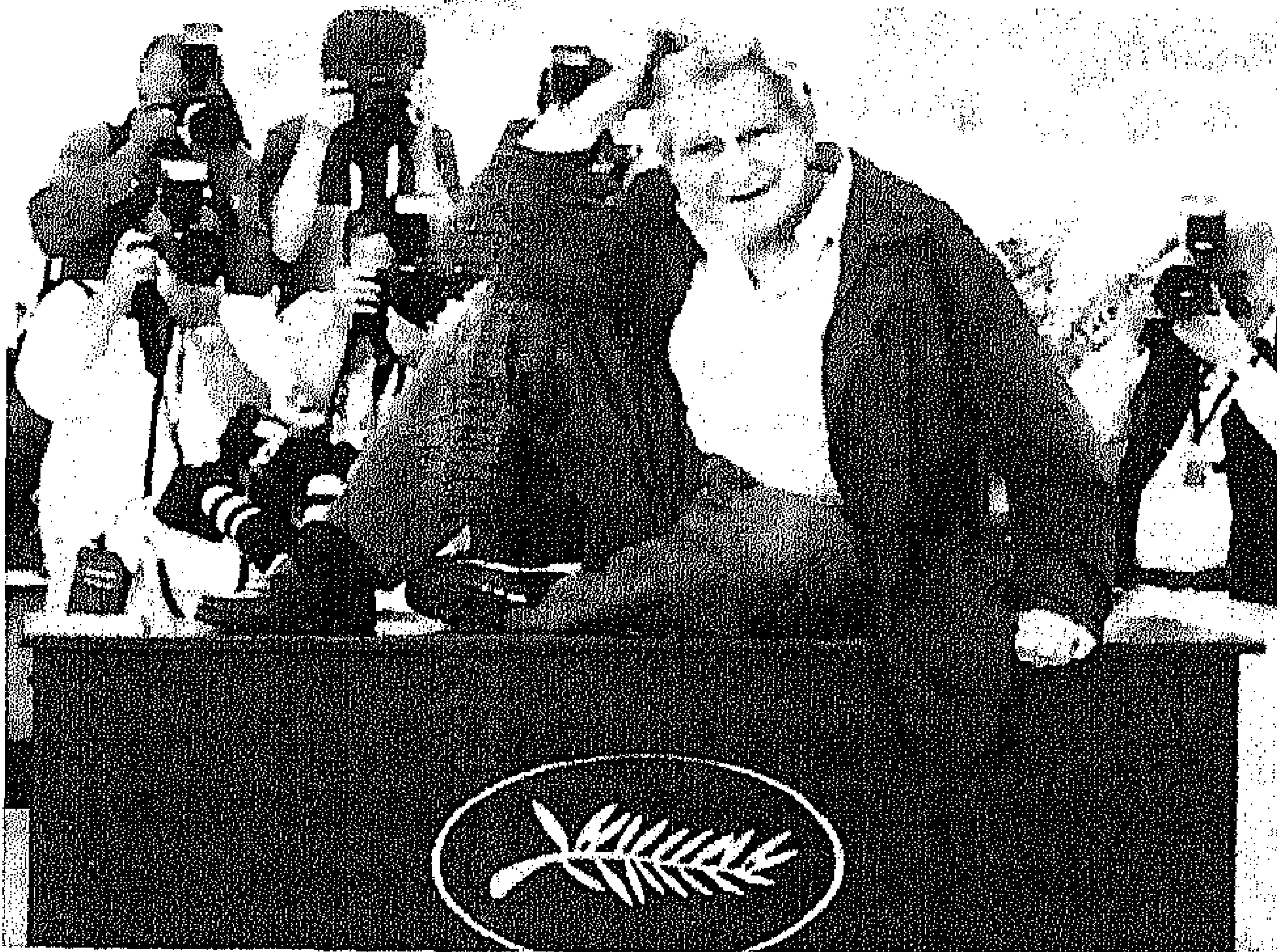
(3)

ظلت القضية منظورة أمام القضاء، وتعددت جلساتها، وتضخمت أوراقها وملفاتها، حتى حسمتها المحكمة فى 30 مايو 1996 بمنع عرض الفيلم، فى سابقة قضائية تحدث لأول مرة ليكون "المهاجر" أول فيلم مصرى يتم وقف عرضه ومصادرته ومنعه من السفر بحكم قضائى.

وبعد الحكم بعام جاء رد الاعتبار ليوسف شاهين عالمياً، بعد التكريم الذى حصل عليه فى مهرجان كان فى دورته 1997، ليكون أول مخرج عربى ينال هذا التكريم فى أهم مهرجان سينمائى على ظهر المعمورة.. وظن يوسف شاهين أن هذا التكريم غير المسبوق سيشفع له فى التليفزيون المصرى، وسيكون فرصة لعرض فيلمه "المهاجر" ليرى الجمهور العادى خلاصة إبداعه. وذهب بالفعل إلى مبنى ماسبيرو ليهدى رئيسة التليفزيون وقتها سهير الإتربى نسخة من الفيلم، مرفق به حكماً كان قد حصل عليه بعرض الفيلم، قبل أن يستأنف محمود أبو الفيض الحكم، ويحصل على حكم مضاد بالمنع.



وأعلن التليفزيون المصرى بالفعل عن عرض المهاجر فى سهرة 25 مايو 1997، ولكن أبو الفيض بمجرد علمه بالتنويه أجرى إتصالاً برئيس إتحاد الإذاعة والتليفزيون المهندس عبد الرحمن حافظ مهدداً بالحكم النهائى الذى يحمله وينص على منع عرض الفيلم بحكم قضائى، وأرسل نسخة منه إلى الشئون القانونية بالتليفزيون، ولم تملك رئيسته إزاءه سوى التراجع والاعتذار للمشاهدين، الذين فوجئوا بعرض "اليوم السادس" بدلاً من المهاجر الذى إنتظروه بلهفة.. ويبدو أن إنتظار مشاهدى الشاشة الصغيرة سيطول لأول فيلم يحرمون من مشاهدته بحكم المحكمة!



شهادات

الشيخ يوسف البدري:

التمثيل حرام.. حرام!



الشيخ البدرى



عادل

هل يحرم الإسلام الإبداع ويجرم المبدعين؟!

هل يكره الإسلام الفن ويحتقر الفنانين؟!

قد تبدو الأسئلة غريبة ومستفزة وصادمة لكثيرين، خاصة ممن باتوا يتعاملون مع الفن والإبداع علي أنه جزء أصيل من الحياة، لا يتصورون العالم بدونه.لكن عندما نضع الوقائع التالية متجاورة ستدرك أن الإجابة علي تلك الأسئلة أصبحت ملحة وضرورية، حتي وإن بدا أننا نعود إلي المربع صفر في مسيرة حرية الإبداع والفكر.

في الأسابيع الأخيرة حدثت تلك الوقائع دون أن يربط بينها أحد أو يقرأ معناها:

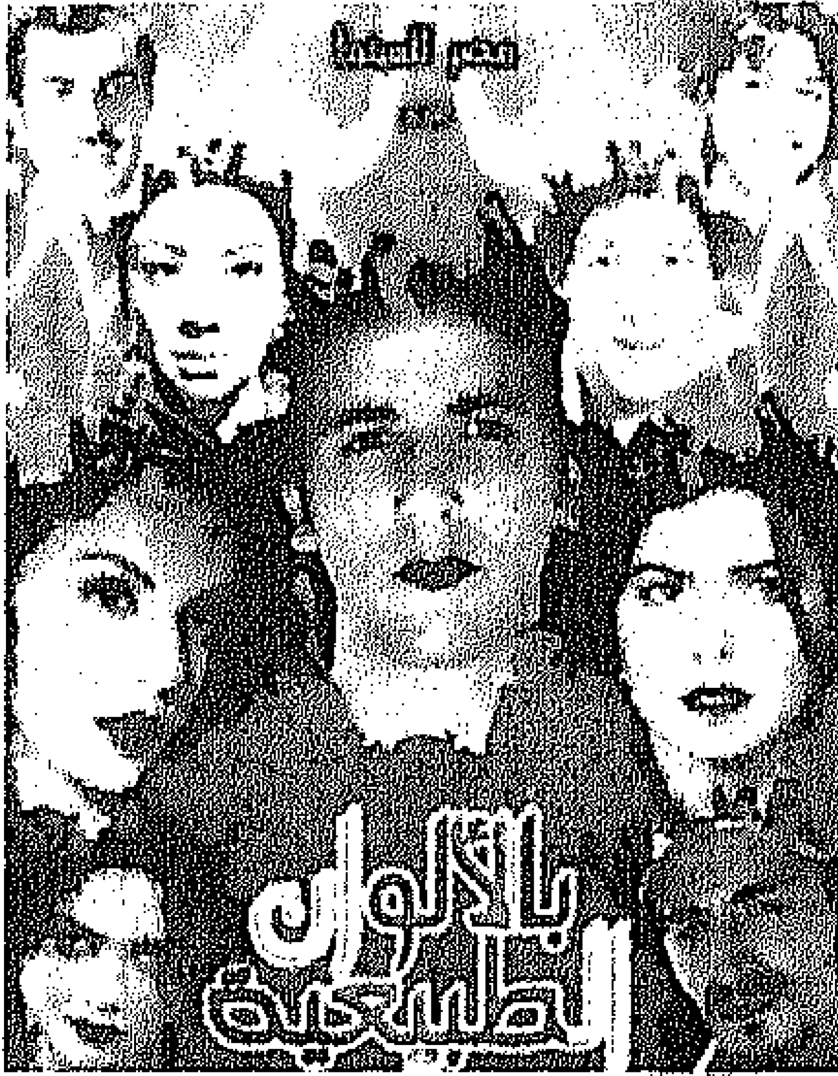
1 - في الاشتباك الإعلامي الذي حدث بين الشيخ خالد الجندي والفنان عادل إمام، كان واضحا نبرة السخرية والاستهزاء التي تعامل بها الشيخ مع الفن وأهله. حط من شأنه، وقلل من قدره، وأشار من طرف خفي إلي دخوله في دائرةالإثم.. وإذا تجاوزنا الأوصاف التي استخدمها الشيخ في النيل من كبير ممثلي مصر وأدواره، وكيف أنه لا يزيد علي حتة ممثل، علي اعتبار أنه رأي شخصي ووجهة نظر، فإننا لا يمكن أن نتجاوز إدانته الواضحة والعصبية لما اعتبره تطاولا من جانب الفن علي رجال الدين وصورتهم علي الشاشة.. كان احتقار أهل الدين لأهل الفن سادرا هادرا في تلك الواقعة.

2 - قبل أن يظهر فيلم «بالألوان الطبيعية» إلي النور، فوجئ صناعه بحملة عاتية ضده وضدهم، وصلت إلي حد التكفير، والمطالبة بوقف عرضه.. ووجهت اتهامات صريحة له ولهم بالإساءة إلي الدين، والتطاول علي الله، لمجرد جملة أو سؤال يوجهه بطل الفيلم - الشاب الحائر التائه - إلي السماء، مخاطبا الرب: فهمني؟!

"الله والابداع" حلقات نشرت بمجلة الاذاعة ابتداء من 15 يناير 2010

وخلال ساعات كانت هناك حملة شرسة ضد الفيلم علي الفيس بوك، وكانت هناك دعوي قضائية، وكانت هناك اتهامات بالتكفير تضع الفيلم في خانة الكبائر، وهو ما تكرر مع كل فيلم يحاول أن يطرح ويناقش قضية الحرية بشيء من الحرية.

3 - الذين يتابعون موقع الرابطة الرسمية لمحبي المطربة شيرين، وقد وصل عددهم لما يزيد علي العشرين ألفا، فوجئوا بمصمم الموقع والمشرف عليه يقوم بإغلاقه وتجميد نشاطه، بعد أن اكتشف أن الفن رجس من عمل الشيطان، ونشر رسالة للجميع يبرأ فيها إلي الله مما صنعت يداه، ومما نشره في الموقع من أغاني وصور، ويتوجه إلي الله بالدعاء: «اللهم إني استغفرك لكل ذنب يمحق الحسنات ويضاعف السيئات ويحمل النقمات ويغضبك يارب الأرض والسماوات»..!!



4 - فوجئ كثيرون في الأيام الأخيرة من السنة الفائتة «2009» ببيان ممهور بتوقيع شيخ الأزهر، اتضح فيما بعد أنه مدسوس علي المؤسسة الدينية الرسمية، كانت العبارات المتصلة فيه بالفن وأهله قاسية شديدة اللهجة، تكاد تكفرهم وترميهم في قاع الجحيم مع فرعون وهامان وقارون. وحتي قبل أن ينفي الأزهر صلته بالبيان فإن أحدا لم يقف ولم يدهش ولم يستنكر.. وكأن الطعن في إيمان أهل الفن وتكفير الفن أصبح أمرا عاديا لا يستوجب الوقوف والدهشة والاستنكار!!

عندما تضع الوقائع الأربعة متجاورات سوف تدرك فداحة الموقف وهول الصورة، وأن طرح الأسئلة عن موقف الإسلام من الفن والإبداع بات ملحا وضروريا ، خاصة إذا أضفنا إلي كل ذلك المعركة الشرسة التي يخوضها نفر من المبدعين والمثقفين للوقوف ضد تيار التطرف الذي كسب أرضا واسعة، وانتصر في جولات حاسمة، وتشهد علي ذلك الدعاوي القضائية التي كسبها الشيخ يوسف البدري ضد مؤسسات صحفية كبري، وضد مثقفين بارزين، آخرهم د. جابر عصفور، الذي حكمت المحكمة بتغريمه 50 ألف جنيه لصالح الشيخ، لينضم إلي قائمة المغرمين بأمر المحكمة، وأبرزهم الشاعر الكبير أحمد عبد المعطي حجازي، الذي حكمت المحكمة بالحجز علي شقته وفاء للغرامة المطلوبة منه لصالح الشيخ..



شيرين

وفي قائمة المبدعين المهزومين ستقف علي أسماء بحجم جمال الغيطاني وإبراهيم سعدة.. وسيزداد الموقف إثارة عندما نضيف الشاعر حلمي سالم والمفكرين نصر حامد أبو زيد وسيد القمني، ونكتشف أن شيخا واحدا هزمهم جميعا باسم الإسلام!

لنعود إلي السؤال الأصلي، الذي أصبح عاديا وملحا بعدما اتضحت الصورة: هل الإسلام ضد الفن ، الإبداع؟!.. سؤال سنطرحه علي رجال دين وعلي فنانين وعلي مبدعين وعلي مفكرين.. من كافة الاتجاهات والرؤي ، لنصل إلي إجابة توضح لنا الصورة التي تبدو معتمة غامضة.. خطرة.

ونري الأمر منطقيا عندما نبدأ بالشيخ المتهم بمحاربة الفن والإبداع وبجرجرة الفنانين والمبدعين إلي المحاكم، وتغريمهم مبالغ طائلة، وبث الرعب في نفوسهم باسم الشرع والدين. بلا مواربة سألته: ما كل هذه الكراهية التي تحملها للإبداع والمبدعين.. للفن والفنانين.. هل الإسلام يا مولانا ضد الفن والإبداع.. ما حكم الشرع من وجهة نظرك؟



وبلا تردد أجاب الشيخ يوسف البدري بطريقته الخطابية:

إذا كان الله هو الذي خلق الصوت الجميل، والوجه الجميل، والجسم الجميل ذكرا كان أم أنثي، وخلق الجمال في الطبيعة، وخلق ألوان الطيف والجبال والأشجار، وقال رسول الإسلام . إن الله جميل يحب الجمال، فكيف نقول بعد ذلك أن الإسلام يعادي الفن، وأنا أحب استخدام لفظ الجمال بديلا عن الفن، لأن الفنان والمفن والمفتن هو الحمار الوحشي، نسميه في اللغة فنانا لتفننه في مشيته.

والإسلام - يضيف الشيخ - يحب الجمال قصة وقصيدة وأغنية ومنظرا وأثاثا وبيتا. الإسلام يحلل الفن ويبيحه ويدعو إليه، ولكنه في المقابل ضد الخروج علي الشرائع. الإسلام لا يحب أن نوظف الحياة لخدمة النزاعات الدنيا من الإنسان ورغباته وشهواته.

يا أخي الرسول استمع إلي الغناء، بل وألف أغنية ، فقد روي أنه سأل عائشة: من أين جئت؟!.. قالت: كنت أزف أنصارية لزوجها، فقال: هل غنيت لها فإن الأنصار قوم فيهم غزل؟

قالت: «وماذا نغني يا رسول الله؟!قال:قولي أتيناكم أتيناكم.. فحيونا نحييكم».

ولكن الغناء بواقعه الحالي.. بما نشاهده من كليبات ومطربات وأغنيات.. ما حكمه الشرعي؟

- الغناء مباح في الإسلام إذا التزم بشروط خمسة:

1 - أن يكون كلامه طيبا، فالشعر كالكلام طيبه طيب وقبيحه قبيح.

2 - أن يكون بلا موسيقي أو نغم.

3 - ألا يكون من نساء لرجال والعكس جائز.

4 - ألا يكون باستمرار، لأن طول الاستماع للغناء ينبت النفاق في القلب.

5 - أن يكون في مناسبات معدودة ، كالأعراس وأيام الأعياد والحروب.

ولكن هذه شروط صعبة يا مولانا.. وبموجبها يكون الغناء الحالي حرام شرعا؟

- الكلام واضح. إذا استوي في الغناء الشروط الخمسة فأهلا به، ثم يا أخي الغناء ترف، وعاش الناس أزمانا بدونه ولم يموتوا. يا

أخي نحن أمة مهزومة مخزولة، ولكي تنهض فلابد من الجد..لا وقت نضيعه في الهزل والغناء.لقد أغلقنا مثلا مدرسة الباليه، ولم يشعر أحد.لقد كنت أمرعليها في طريقي بشارع الهرم وأبصق عليها.والحمد لله أنهم أغلقوها وأراحوا منها البلاد والعباد!!

والتمثيل يا مولانا..ما حكمه؟

- حرام حرام.. الإسلام يأبي الاختلاط ويرفضه.والتمثيل فيه اختلاط ومساخر نعرفها جميعا .ثم إنه يحتوي علي مخالفات شرعية جسيمة.. يعني ممثلة تتزوج من ممثل في فيلم، وهذا حرام، لأنه يعني أنها تتزوجه علي زوجها في الواقع.

ولكن هذا تمثيل.. مجرد خيال..إنها تؤدي شخصية أخري في العمل الدرامي؟

- يا سيدي النبي يقول: ثلاث جدهن هزل وهزلهن جد..ما هي يا رسول الله؟قال: العتق والنكاح والطلاق. فإذا اعتبرنا الزواج في التمثيل مجرد هزل، فالهزل هنا يقوم مقام الجد.أضف إلي ذلك ما يشتمل عليه التمثيل من مشاهد خارجة كالقبلات والأحضان..وقد هالني أن يهاجمني د.جابر عصفور في مقال له أخير ويسخر مني ومن أمثالي الذين يصل بهم التطرف إلي حد منع القبلات في الأفلام!!

ولا أعرف كيف واتت سيدنا جابر عصفور الجرأة لكي يفتي في الدين بغير علم..وبعيداعن الدين أسأله: هل ترضي لزوجتك أو ابنتك أن يقبلها رجل أجنبي عنها؟!.. عجيب والله أمر هؤلاءالذين يدعون الثقافة والاستنارة ويقولون مالا يفقهون!

هذا مع العلم يا مولانا أنك في فترة من حياتك أسست فرقة مسرحية تحمل اسمك... وظلت تعمل لسنوات؟

- هذا صحيح، ولا تزال مسجلة في الشهر العقاري باسمي،وقدمت من خلالها عدةأعمال،منها ماكنت أنا مؤلفه،ومنها ما أخذته من غيري. ولم يكن بها عنصر نسائي، وبعد أن خضت التجربة وتكشف لي خطرها أغلقت الفرقة بالضبة والمفتاح، وأثبتت الأيام أنني كنت علي حق، فبعد أربعين عاما أتيح لي أن التقي الممثل محمد نجم عند نقابة المهندسين، وقال لي بأسي: معك حق يا مولانا في موقفك، لأن اختلاط الرجال بالنساء في المسرح لهو الفجور بعينه. وكشف لي أنه عرض علي السعودية إنشاء فرقة مسرحية هناك خالية من النساء، وتلتزم بالشروط الشرعية، وما زال في انتظار الرد. والشهود كثيرون علي أن الفن بالصورة الحالية ليس من الأسلام ولا من الأخلاق في شيء.


د. عصفور

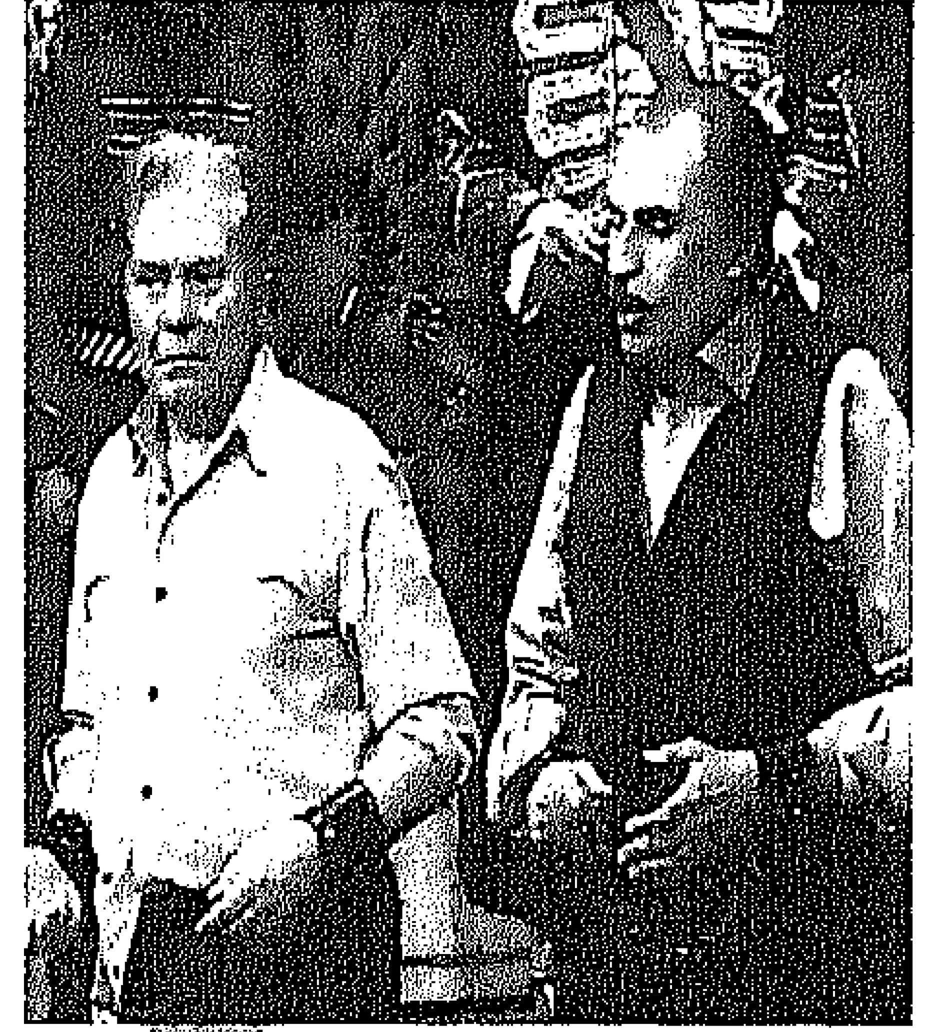
تعرف أن الإخوان المسلمين أنشاوا مسرحا في فترة من الفترات بقيادة شقيق مؤسس الجماعة عبد الرحمن البنا..وبعضهم مازال يذهب إلي المسرح ويرتاده؟

- الإخوان بشر يصيبون ويخطئون، وليس عندهم مرجعية دينية فقهية، وأغلب قادتهم أطباء ومهندسون ومحاسبون.. وليس بينهم علماء دين متخصصون ليفتوا في تلك الأمور.. وقلت

لك أنني في فترة جهل من حياتي أنشأت مثلهم فرقة مسرحية، وكنت وقتها متأثرا بأفكار ثورة يوليو، وسعيها لاستغلال تأثير الفن علي الناس للدعاية لأفكارها ومبادئها ، بأن يلحقوا بكل مسجد دار سينما ومسرحا. وقد تأثرت بهذا تأثرت بهذا الكلام، ولم نعدم فقهاء وقتها يقولون لنا إن هذا يجوز. ثم حدث لي موقفا مع الفنان توفيق الدقن جعلني أعيد التفكير وأتراجع وأغلق المسرح.

وما هو هذا الموقف؟

ـ حدث أن فرقتي المسرحية تعرضت لخسائر، وكنت أمولها من جيبي. وكان هو بطل العرض. واقترح علي أن أستعين بنجمة شباك كنوع من الترويج. قلت له: أريدها محجبة أو منقبة منعا للشبهات. فضحك ضحكته المعروفة وقال: تريد أن تخفي هذا الجمال خلف كفن من القماش؟!. فصعقت، وقررت إغلاق الفرقة، خاصة أنني كنت أحضر أحيانا بعض البروفات في مسرح الجمهورية، وكنت أري مهازل شديدة بين الفنانين والفنانات. فقررت أن أفر بديني.



معني ذلك أنك لم تدخل مسرحا من وقتها ولم تشاهد أي عرض مسرحي؟!

ـ أنا مقاطع للسينما والمسرح منذ 25 سنة، باستثناء مرة ذهبت فيها لحضور عرض «أهلا يا بكوات» بطولة حسين فهمي ومحمود ياسين، وكان العرض خاليا من عنصر النساء، وبعد العرض طالبتهما بالاتجاه نحو المسرح الإسلامي.. ومرة أخري ذهبت لحضور مسرحية «دماء علي أستار الكعبة» للشاعر فاروق جويدة، وبعد العرض كان حاضرا سعد الدين وهبة، وقلت له: أسوأ ما في العرض أن زوجتك السيدة سميحة أيوب ترتمي علي يد الممثل إبراهيم الشامي فهل يمكن أن تطلب منها ألا تفعل ذلك!.. فضحك ووعدني أن يخبرها.



جويدة

ألا تلاحظ يا مولانا أنك تقوم أحيانا ـ بل كثيرا ـ بدور الرقيب والمحتسب والوصي علي الإبداع؟

ـ معاذ الله.. كل ما أفعله أنني آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر. وعندما أجد خروجا علي شرع الله أتدخل بالنصح والقول أو ألجأ إلي القضاء.

لماذا يغضب مني المثقفون عندما ألجأ إلي القضاء لينصفني منهم ويرد إليّ حقوقي. إنني هنا أحترم الدولة المدنية أكثر منهم، ولم أفعل مثلما فعل د. جابر عصفور مؤخرا عندما كتب مقالا في الأهرام يستعدي علي القضاة ومصر كلها.

لست وصيا علي أحد. ولكني لا أسكت علي منكر. يعني لما نصر حامد أبو زيد يكتب ويقول إن إيماننا بإله له عرش ولوح وكرسي يدخل في باب الخرافة والأسطورة.. هل هذا إبداع؟!

ولما يتهكم علي آيات الله ويقول ، إن أصغر طبيب الآن يعرف ما في الأرحام، وليس الله وحده.. أقول له كذبت، الله يعلم ما في

الأرحام، والمقصود ليس جنس المولود، بل مصيره كله ، من غني وفقر، تعاسة وسعادة، موت وحياة.. وعندما يقول إن القرآن حتي وإن نزل من السماء فقد تأنس وأصبح منتجا ثقافيا.. هل تريدني أن أسكت علي هذا التحريف..؟

ولما نجيب محفوظ يحول رب العباد إلي زعيم عصابة، ويجعله يجلس فوق الجبل، ويرسل كل حين فتوة من فتواته.. مرة جبل ومرة رفاعة ومرة أبو القاسم.. في إشارة صريحة إلي أنبياء الله موسي وعيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم.. وفي كل حادثة من «أولاد حارتنا» تقفز آيات القرآن التي استوحي منها الرواية.. هل هذا إبداع؟

لماذا يتجرأ علي الله وأنبيائه، ولم يفعل ذلك مع عبد الناصر؟! أنه لم يجرؤ علي انتقاده علانية في «ثرثرة علي النيل» إلا بعد رحيله..

أي إبداع الذي يجعل شاعرا مثل حلمي سالم يقول في قصيدة: الرب فلاح يزغط البط ويحلب اللبن..!

ويقول: لم يبق سوي أن استدعي الله والأنبياء ليحرسوا الجنة؟!

لا تواخذني، هذا ليس إبداعا، بل يستحق وصفا آخر.. ويستحق أن أقف في وجه أصحابه وأعيدهم إلي الصواب.


حلمي سالم

ولكنك تعرف يامولانا أن الإبداع لا يمكن تفسيره تفسيرا أخلاقيا أو دينيا.. هنا يحتاج الأمر إلي نقاد وليس رجال دين؟

- لا.. أنا لم أمسك سكينا أو عصا.. ولم أكفر أحدا.. كل ما فعلته أنني أتخذت الطريق القانوني الشرعي ولجأت إلي القضاء.. والحمد لله أنه أنصفني. والكل يعلم أن معركتي مع هؤلاء المثقفين ليست معركة فكر وإبداع. وياليتها كانت كذلك، بل أزمتي معهم ، أنهم سبوني وقذفوني دون وجه حق. لم يسمحوا لي بمناقشتهم وتفنيد أفكارهم والرد عليها، بل شتموني بقسوة، وشهروا بي.

المشكلة بدأت عندما كسبت قضية نصر أبو زيد، وفضحته المحكمة وفرقت بينه وبين زوجته، واضطر للهروب من مصر.. فاستلمني الأستاذ عبد المعطي حجازي، واتهمني بالتطرف، وأنني أسكب ماء النار علي أجساد العاريات، وأنني أحرق أكشاك الصحف التي تبيع مجلات غير إسلامية، وانني أفعل فعل السكاري والحشاشين وشبهني بالمتطرف الصهيوني إيجال عامير وبحزب شاس الإسرائيلي المتطرف.. فأقمت دعوي قضائية وكسبتها.


حجازي

ثم تداعي علي المثقفون، وشتمني جمال الغيطاني وإبراهيم سعدة وجريدة صوت الأمة.. ثم د. جابر عصفور.. وقد حكمت المحكمة لصالحي في كل القضايا، وآخرها 50 ألف جنيه تعويضا من د. جابرعصفوروقبلها 30 ألفا من حجازي، و 60 ألفا من إبراهيم سعدة، و70 ألفا من صوت الأمة..

لقد أصبحت ثريا يا مولانا من فلوس التعويضات.. ماذا ستفعل

بهذه الأموال؟

. أمال لو كسبت المليون جنيه التي طلبتها تعويضا في قضية فيلم «طيور الظلام» والقضية محجوزة لحكم النقض، وقد أقمت الدعوي لأنهم شهروا بي في الفيلم، واستغلوا قصتي، وأساءوا إلي.. وناوي إذا منّ الله علي بالظفر بذلك التعويض أن أنفقه كاملا علي مكارم الأخلاق.

وقضية جائزة الدولة التي فاز بها د. سيد القمني؟

. لن أتركها له وأتركه لها.. هذه الجائزة ليست من جيب وزير الثقافة، وإنما من أموال دافعي الضرائب، يعني من فلوسي أنا والناس البسطاء.

هل ترضي له مصيرا كنجيب محفوظ عندما طعنه شاب مهووس دينيا.. أو أن يهرب بفكره كما هرب نصر أبو زيد؟!

. أولا لقد كنت ضد طعن نجيب محفوظ.. وهذا الشاب لا التمس له العذر ولا أرضي بهذا ولا أقبله وليس من الإسلام. هناك حاكم وولي أمر متروك له أمر معاقبة المخطئ، وإذا لم يفعل يبوء بوزره أمام الله..



أما نصر أبو زيد فإن أحدا لم يمسه، وقبل أن يهرب ظل في بيته في الحي المتميز بمدينة أكتوبر وأنا عارف عنوانه..

ولما تأكد أن حكم النقض لن يكون في صالحه قبل يومين من الجلسة هرب بجلده.

أما سيد القمني فإن ما يفعله ليس إلا محاولة لنيل الشهرة ولفت الأنظار والأضواء. ولكن ليس علي قفانا، وإذا أراد وزير الثقافة أن يجامله فليعطه من ماله الخاص، وليس من أموال دافعي الضرائب.


د. ابو زيد

والدور علي مين من المفكرين؟

. علي د. حسن حنفي. فقد أحضرت كل مؤلفاته، وقرأت حتي الآن أربعة منها، واستخرجت من فصولها ما يدينه، وسوف أتقدم بدعوي ضده إلي المحكمة.. وسأكسبها بإذن الله، كما كسبت قضاياي ضد المثقفين والمفكرين المسيئين للإسلام.

ألا تخشي أن يقال إنك أنت الذي تسيء للإسلام بتلك القضايا التي تعبر عن رجعية الإسلام وضيق صدره بالاجتهاد؟

. الحكم بيني وبينهم شرع الله .. تعالوا نحتكم إليه.. لست رجلا متطرفا ولا ضيق الصدر.. يعني لما حركة طالبان قررت هدم تماثيل بوذا، كنت من أشد المعارضين والمهاجمين لهذا القرار، وطالبتهم بالتراجع وقلت إنه قرار ضرره بالإسلام يفوق نفعه..

بالمناسبة.. ما موقفك من فن النحت.. ومن الفن التشكيلي بصفة عامة؟

. الإسلام نهي عن صنع ما فيه الروح.. سواء شكل إنسان أو حيوان.. ذلك لأنه يطرد الملائكة من المكان. أما إذا كانت الرسومات أو التجسيم لطبيعة صامتة فلا بأس.. أما حكاية الرسامين الذين يستعينون بموديلات عارية فهذا حرام قطعا.. وأنا رفضت في

شبابي دخول كلية الفنون الجميلة لأن الموديل العاري كان موجودا، ويجبرون الطلبة أولادا وبنات علي الاختلاط أثناء الرسم.. حكاية الفن للفن كلام فارغ وعبث سريالي لا ينفع ولا يفيد.

كيف تتابع الحركة الفنية والأدبية يا مولانا؟

ـ من خلال ما ينشر في الصحف والمجلات عنها. ودعني أعترف لك بأنني توقفت عن قراءة الروايات نهائيا منذ 15 عاما، رغم أنني أديب ولي روايات مؤلفة منها «مع السلامة» التي صدرت ضمن سلسلة الكتاب الماسي.. ولي مسرحية اسمها «الوردة الحمراء».. وأخري اسمها «مشاعر خرساء» تنتمي إلي النوع الأوبرالي، وكان الموسيقار الراحل عبد الحليم نويرة معجبا بها، ويريد تحويلها إلي عمل موسيقي أوبرالي، ولكن المنية عاجلته..وأحمدالله أنه لم يفعل..



هل تسمح لأولادك بالذهاب إلي السينما.. أو متابعتها في التليفزيون؟

ـ أولادي ربيتهم علي بغض التليفزيون والسينما منذ صغرهم.. وبناتي منتقبات كزوجتي، بما فيهن ابنتي المقيمة في أمريكا، والحاصلة علي بكالوريوس الهندسة ، وزوجها يعد لنيل الدكتوراه.. وأحمد الله أن بناتي جميعهن سيدات بيوت ولا يعملن!

هل تنكر أن فيلما مثل «الرسالة» للراحل المبدع مصطفي العقاد ساهم في نشر الإسلام، وأدي دورا مهما في تعريف الغرب بسماحة الإسلام.. ودخل بسببه عديدون في الإسلام؟

ـ أي دور وأي رسالة.. اسمع مني هذه الحكاية، ويشهد الله علي صحتها. لما عرض فيلم «الرسالة»: الذي يجسد فيه عبد الله غيث دور سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب «وهذا أسوأ ما في الفيلم» ، حكي لي صديق أن ابنه أشار إلي عبد الله غيث وهو يصيح ويشير للشاشة:

ـ بابا .. بابا.. الطبال أهه!

ـ وفهم الرجل أن طفله يشير إلي دور شهير كان عبد الله غيث يقوم به في مسلسل تليفزيوني آنذاك، يجسد فيه شخصية واحد طبال، فاختلط الأمر في ذهن الطفل..

ولذلك فإن القضاء كان يحرم الشهادة علي الممثل أو المشخصاتي..

ذلك أن دراسات علم النفس أثبتت أن الممثل ذو شخصية متفسخة ، وأنه قادر علي أن يفككها ويركبها كما يشاء، وبالتالي فإن شهادته باطلة، لأنه يمكنه أن يفتعل الشعور أمام القاضي.. يبكي وينفعل ويعيش في الدور، مع أن شعوره غير حقيقي. ولذلك يمكنك أن تقف علي تناقض مذهل في شخصية الفنان أو الممثل.. أحيانا تجده إنسانا ورعا في غاية التقوي.. وأحيانا ينقلب إلي النقيض ويرتكب كل الموبيقات.

هل حدث أن جاءك بعض منهم طلبا للنصح والمشورة؟

- كثيرا ما حدث .. ولكني أنسي الأسماء. يعني مثلا جاءتني مرة الممثلة غادة عبد الرازق، وجلست علي نفس الكرسي الذي تجلس أنت عليه. وسألتني كثيرا، وبان عليها التأثر والاقتناع. ثم ذهبت وضربت بنصائحي عرض الحائط..

وحدث مؤخرا أنني سمعت الممثل شريف منير يتحدث في برنامج تليفزيوني، وينفي القدر ولا يعترف به.. فخرجت في برنامج تليفزيوني وطالبته بالتوبة وبالرجوع عن هذا الرأي، وقلت إن الايمان بالقضاء والقدر ركن من الايمان، ولابد من التسليم به.. بعدها اتصل بي، وقال إنه كان يقصد الحظ وليس القدر، ولم يخطر هذا المعني الديني علي باله.. وأصبح يتصل بي ويسألني النصح والمشورة..!



فعلها قبله عبد الحليم حافظ عندما غني «قدر أحمق الخطي.. سحقت هامتي خطاه».. فلماذا لم تعترض وقتها؟

- هذا كلام كامل الشناوي، وهو المسئول عنه.. وأظن أن كثيرا من الإذاعات تحذف هذا المقطع من الأغنية عند إذاعتها.. ومرة سألوني عن عبد الحليم حافظ، هل هو في الجنة أم في النار؟ قلت إنه عاش حياة المنكر، ولكن الذي يحدد مصيره هو الله وحده..

لكن هذا التسامح لم تفعله مع يوسف شاهين.. فقد ذهبت به إلي المحكمة عندما قدم فيلم «المهاجر»؟

- لأن الفيلم تضمن إساءات بالغة لنبي من أنبياء الله، وتضمن تزويرا للتاريخ، وتمجيدا لليهود، ثم إنه لا يجوز أصلا تجسيد الأنبياء علي شاشة السينما.. وكذلك تجسيد الصحابة.. ولا تقل لي إن فيلم «الرسالة» ساهم في نشر الإسلام.



هذا ما حدث فعلا؟!

- لا تؤاخذني.. إذا كان الباطل يدعو للإسلام فالحق أولي.. سوف تستغرب عندما أذكر أن بعد أحداث 11 سبتمبر وهدم البرجين - وهو العمل الذي اعتبره كثيرون كارثة علي الإسلام في الغرب وانتشاره، دخل الإسلام في أمريكا أربعة أضعاف من دخوله من الغربيين خلال قرن كامل.. هذه إحصائية منشورة في الأهرام. الإسلام عنده قوة دفع ذاتي، وهو قوي بمبادئه وقيمه وشريعته، ونظيف في غاياته وفي وسائله، ولا يحتاج إلي فيلم يروج له، أو ممثل ينشره!

لماذا كل هذا الإزدراء لفن التمثيل في لهجة رجال الدين؟

- أولا: لا يوجد في الإسلام شئ اسمه رجال الدين.. لا كهنوت في الإسلام. فيه حاجة فقط اسمها علماء الدين..

وثانيا: كما قلت لك فإن التمثيل حرام شرعا!

وفلوسه؟

- مثله حرام..

ولكن الشيخ الشعراوي أجازها.. وطلب من الفنانات المعتزلات وقتها الاحتفاظ بها؟

- الشعراوي لم يأت ذكره في القرآن، وليس حجة علي الاسلام، ورأيه هو حر فيه.. إنما رأي الدين غير ذلك. يا أخي الحرام بين والحلال بين.. ولذلك أحمل تقديرا خاصا للسيدة شادية الفنانة المعتزلة، لأنها رفضت كل الاغراءات لعودتها إلي الفن والأضواء.. حاولوا إغراءها بالتكريم مرة، وبعمل حياتها في مسلسل مرة.. قالت أبدا.. لذلك أحسبها تابت توبة نصرحا..



وماذا تقول في الممثلات المحجبات.. أو اللاتي يمثلن بالحجاب؟

- أقول ربنا يهدي.. وأظن أن مثل هؤلاء لم يتمكن الإيمان من قلوبهن، كما تمكن من قلب شادية.. الله يكرمها ويثبتها.

العبد المؤمن يعرف أن رزقه بيد الله فلا يخاف ولا يجزع، وعليه أن يطلب من الله وحده وليس من عبد مثله.. يعني أنا مثلا كانت تستفزني بعض أغنيات عبد الحليم حافظ الوطنية، والتي كان يتوجه فيها بالسؤال وتحقيق الآمال من عبد الناصر.. ويقول له: عاوزين عاوزين يا أمل الملايين.. أو خضرها ياريس خضرها.. تطلب من عبد؟! طيب آدي ربنا أذل العبد ومات دون آماله.. حتي صلاح چاهين الذي كتب هذا الكلام أصيب باكتئاب مزمن.. كانت فيه نهايته!



ألم تزهق من كل هذه المعارك والقضايا التي دخلتها.. ومازلت تدخلها؟

- أنا رجل مهمتي في الحياة هموم الأمة والدفاع عنها.. ولعلمك أنا حزين أنني عشت في هذا العصر التعيس، الذي استبيحت فيه الحرمات ووصل فيه الإسلام إلي هذا الضعف.. ومع ذلك لن أسكت علي منكر..

ومع ذلك أيضا أدعو رموز الثقافة والإبداع في مصر.. أدعوهم إلي مؤتمر.. إلي مناظرة.. إلي حلقة حوار.. إلي أي شكل من اللقاء يريدون.. لنتحاور، ونضع ورقة عمل، ونحدد أرضية مشتركة بيننا.. وأنا واثق أنهم سيعدلون فكرهم، وحتي يعرفوا أنني رجل مسالم.. وأنني لا أكفر أحدا.. حتي سيد القمني قلت فيه إنه رجل مسلم، علي الرغم من اختلافي الجذري معه..

إنني أدعوهم إلي الحوار.. فهل من محاور؟!

د. نوال السعداوي:

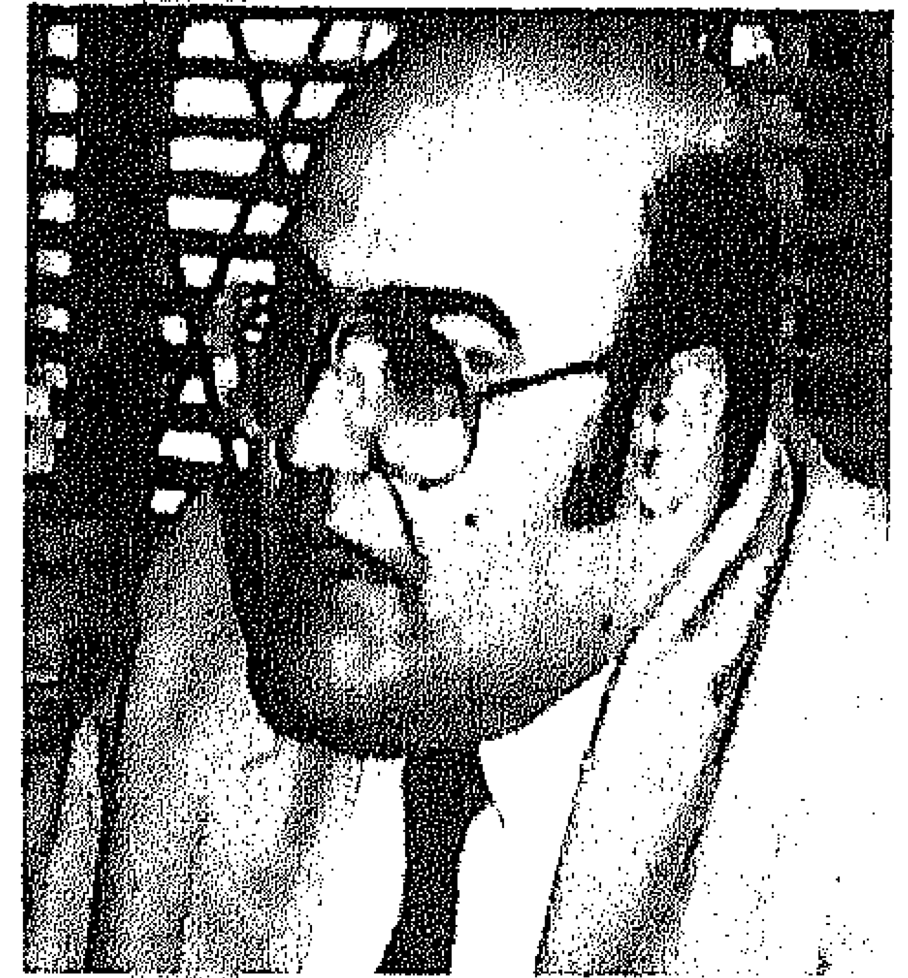
الابداع لايعترف بالمقدس!



بعد ساعات من اغتيال المفكر د. فرج فودة، ذهب ضباط من أمن الدولة إلي شقة د. نوال السعداوي في الجيزة.. فتح لهم زوجها الأديب شريف حتاتة، واستقبلهم في حذر، وتوقع أنهم كالعادة جاءوا يلقون القبض علي زوجته التي أدمنت الشغب والتمرد والاصطدام بالسلطة.. لكنهم هذه المرة فاجأوه بما لم يتوقع. لقد جاءوا ليحموا زوجته، ويفرضوا عليها حراسة حرصاً علي حياتها.

دخل ليوقظها من نومها، وليخبرها بالخبر. لم تصدق، وظنت أنها في حلم يقظة. خرجت إليهم مندهشة. قال لها الضابط بهدوء:

- قتلوا د. فرج فودة النهارده.. وانتِ الاسم اللي بعده علي طول في قوائم اغتيالات الجماعات الإسلامية.. ولازم نحميك. ونحط عليك. حراسة!!



د. فودة

استمعت د. نوال السعداوي لكلامه بهدوء، ولم يهزها الخبر، ربما لأنها رأت الموت وهي تمارس عملها كطبيبة، وأصبحت لها فلسفة خاصة لا تري في الموت رهبة، بل تحررت منها، واعتبرته والحياة وجهين لعملة واحدة.

وفي اليوم التالي ارتدت ملابسها الرياضية وخرجت لتسير علي شاطئ النيل كما اعتادت في برنامجها اليومي. وطلبت من أفراد الحراسة ألا يتبعوها، ولا يسيروا وراءها. ولما عادت إلي منزلها تلقت اتصالا من شخصية أمنية مهمة:

المسألة مش بمزاجك ولا بكيفك.. لازم تقبلي الحراسة، لأن حياتك دلوقتي ملك للدولة.. والدولة مش هتسمح تاني للجماعات الإسلامية إنهم يحرجوها ويقتلوك. زي ما عملوا مع فرج فودة.. وحتي لو رفضت. لازم نحط عليك. حراسة!

لم تقتنع د. نوال ولم ترهبها التهديدات المستترة، وتمردت

علي الحراسة، وشعرت بأن حريتها مهددة، والحرية عندها أغلي مما تملك، فحزمت حقائبها وانتقلت من الجيزة إلي شقتها الحالية بشارع معهد ناصر بشبرا، راضية بتواضع الشقة والمكان في سبيل حريتها.

متمردة دائما هذه السيدة، وأدخلها تمردها كثيراً في صدامات ومعارك، سواء مع السلطة السياسية، أو مع السلطة الدينية، ودفعت الثمن راضية: سنوات طويلة من السجن والنفي والحصار والجرجرة في المحاكم، وتشويه السمعة، والاتهام بالتكفير، والمطالبة بالتفريق بينها وبين زوجها، ورميها بالإلحاد والخروج من الملة. ولكنها وهي التي تقف علي أعتاب الثمانين من عمرها رفضت المهادنة، وظلت تجاهر، بل ربما تكون صاحبة الرقم القياسي في المعارك والصدامات والأزمات مع هذا التيار عدداً وزمناً!


محمود جامع

لم تنهكها المعارك ولم تضايقها، بقدر ما ضايقتها معركة تشويه السمعة. استقبلت مثلا أخبار مصادرة كتبها ببساطة. ولكنها لم تفعل ذلك عندما كتب د.محمود جامع في مذكراته أنها انضمت إلي الإخوان المسلمين أثناء دراستها في كلية الطب، وكانت «اختاً ملتزمة» تؤم المصليات من الأخوات، وتخطب فيهن، وتقضي وقتها في الدعوة والعبادة والمسجد.

بابتسامة تخفي انفعالها تقول د. نوال السعداوي:

أنا فوجئت بكلام محمود جامع وضحكت عليه ومنه. كل ما أذكره أنه كان زميلاً لنا في كلية الطب، وكان يرسل لي خطابات غرامية، ويدسها في كشكول المحاضرات، وكان منتمياً إلي تيار الإخوان، ويوزع المنشورات علي الطلبة والطالبات.. ويحمل معه شنطة كبيرة لا تتناسب مع قصر قامته، ولكنه لم يلفت نظري بشخصيته الباهتة. ونسيته تماما بعد تخرجي في الكلية، حتي فوجئت به يدّعي في مذكراته أنه جندني في الإخوان، وأنني بنيت مسجدا، وكنت أؤم المصليات وأخطب فيهن. هذا كلام مضحك، ويدل علي عقدة نفسية، شبيهة بتلك التي تحملها الأخت صافيناز كاظم تجاهي.. أنا دارسة علم نفس، وعندي قدرة علي تحليل الشخصيات. هي مثل جامع تحبني في قرارة نفسها، ومعجبة بي وبشخصيتي، وتريد أن تستقطبني وتضمني إلي طريقها.. فلما رفضت تحول الحب إلي عداوة.. والإعجاب إلي انتقام.. تماما مثلما تعشق فتاة، ولما ترفضك يتحول عشقك لها إلي كراهية مستحكمة. ما أذكره أنني كنت طالبة متميزة، بل كنت الطالبة الوحيدة التي تخرج في المظاهرات مع الأولاد، وكان لي نشاط ظاهر ولافت، وقدرة علي الخطابة والتأثير، ولذلك حاول الإخوان استقطابي، وحاول الشيوعيون أن يجندوني.. ولكن الطرفين فشلا بجدارة.

وأسألها: علي ذكر الكاتبة الإسلامية صافيناز كاظم.. كيف كانت علاقتك بها في فترة اعتقالكما، وأعرف أنه جمعتكما زنزانة واحدة؟

وترد: الأول كنا في زنزانة واحدة. وصافي كانت فظيعة، وعاملة مشاكل مع الناس كلها، لدرجة أن عواطف عبدالرحمن بكت منها ومن أسلوبها. أما أنا فقررت أن أحدد علاقتي بها، أو بمعني أصح أجمد تلك العلاقة، فقاطعتها وخاصمتها ولم أكن أرد عليها، حتي تحية الصباح كانت تلقيها علي وأتجاهلها.. وكن يستغربن من حالتي المعنوية المرتفعة، في حين كان الهلع يسيطر عليهن، مع هاجس قوي بأن السادات يدبر مؤامرة للتخلص منهن في السجن. أما أنا فكنت أغني وأرقص وأمارس الرياضة وآكل بشهية مفتوحة، وأقول في حسم:

- أنا متأكدة إننا هنخرج وهنعيش، والسادات هو اللي هيموت قبلنا!

وتحققت نبوءتي.. وخرجنا وقُتل السادات!



أنور السادات

وأسألها: وما سبب كل هذا الغضب الذي تحملينه للرئيس السادات؟

وترد: السادات في البداية حاول احتوائي واستقطابي. وكنت وقتها سكرتير عام نقابة الأطباء، وفيه مشكلة بين النقابة والدولة.. فأرسل لي موسي صبري، وعرض عليّ صراحة كرسي وزارة الصحة، ودعاني لأن أذهب معه للقاء الرئيس. سألت موسي في سذاجة:

- السادات عايز يقابلني لوحدي ليه؟

- علشان مشكلة النقابة!

وبنفس السذاجة قلت له:

- خلاص.. مجلس النقابة كله يروح يقابل الرئيس.. قم بدعوة المجلس وأنا جاية معاكم!



صبري موسى

والسادات كان شاطر في سياسة الاحتواء مع المفكرين والمثقفين. أحمد عبدالمعطي حجازي راح له بعدما رجع من باريس فعينه في الأهرام.. مصطفي محمود كان يذهب إليه كثيرا، وفي مذكراته اعترف بأن السادات كان يرسل له سيارة سوداء بزجاج معتم لتحضره إليه. وأنا أعتبر مصطفي محمود أسهم في تضليل الناس بحكاية حلقات العلم والإيمان.

لكن خلافي الرئيسي مع السادات كان بسبب توقيعه لمعاهدة كامب ديفيد، وكنت من أشد المعارضين لها.. ثم إن الخطأ الذي لا أغفره للسادات، هو تبنيه للجماعات الإسلامية، وإخراجها من القمقم، فسيطرت علي الشارع والعقول، ونشرت أفكارها الرجعية المتطرفة، التي أعادت المجتمع المصري عقودا إلي الوراء، ونحصد الآن الثمار المرة، مثلما حدث مؤخرا في نجع حمادي،

ووصول الفتنة الطائفية إلي وضع خطر بات يهدد المجتمع كله وينذر بكارثة.

وكنت من أوائل الذين تصدوا لهذا التيار، وقاومته واشتبكت معه، ولم أمسك العصا من المنتصف، كما فعل أغلب المثقفين، وبعضهم دخل معهم في صفقات واسترضاهم وهادنهم علي حساب الكرامة والعقل والوطن.

أول معركة

وأسأل: متي كان أول اشتباك بينك وبين هذا التيار؟

وتجيب: لما أصدرت كتابي «المرأة والجنس»، الذي هاجمت فيه الختان، وقلت إنه مفهوم متخلف للعذرية، ورفضت أن يكون مقياس الشرف الوحيد هو النصف الأسفل من جسد المرأة.. وأحدث الكتاب ضجة، وأثار جدلا، وصادروا الكتاب، وفصلوني من عملي في وزارة الصحة، ولعنني المشايخ، واعتبروا كلامي خروجا علي صحيح الدين، وقدموا أدلة شرعية مزيفة عن مشروعية الختان وأنه من تعاليم الإسلام.. ثم تدور الأيام وتتغير الظروف، وتتبني الدولة بنفسها أفكاري، وتصك القوانين التي تجرم الختان، ويتسابق المشايخ إلي إيجاد مبررات شرعية لتحريمه.. وتنتصر أفكاري دون أن يتذكر أحد أنها كانت معركتي، وإنني وحدي الذي دفعت الثمن.



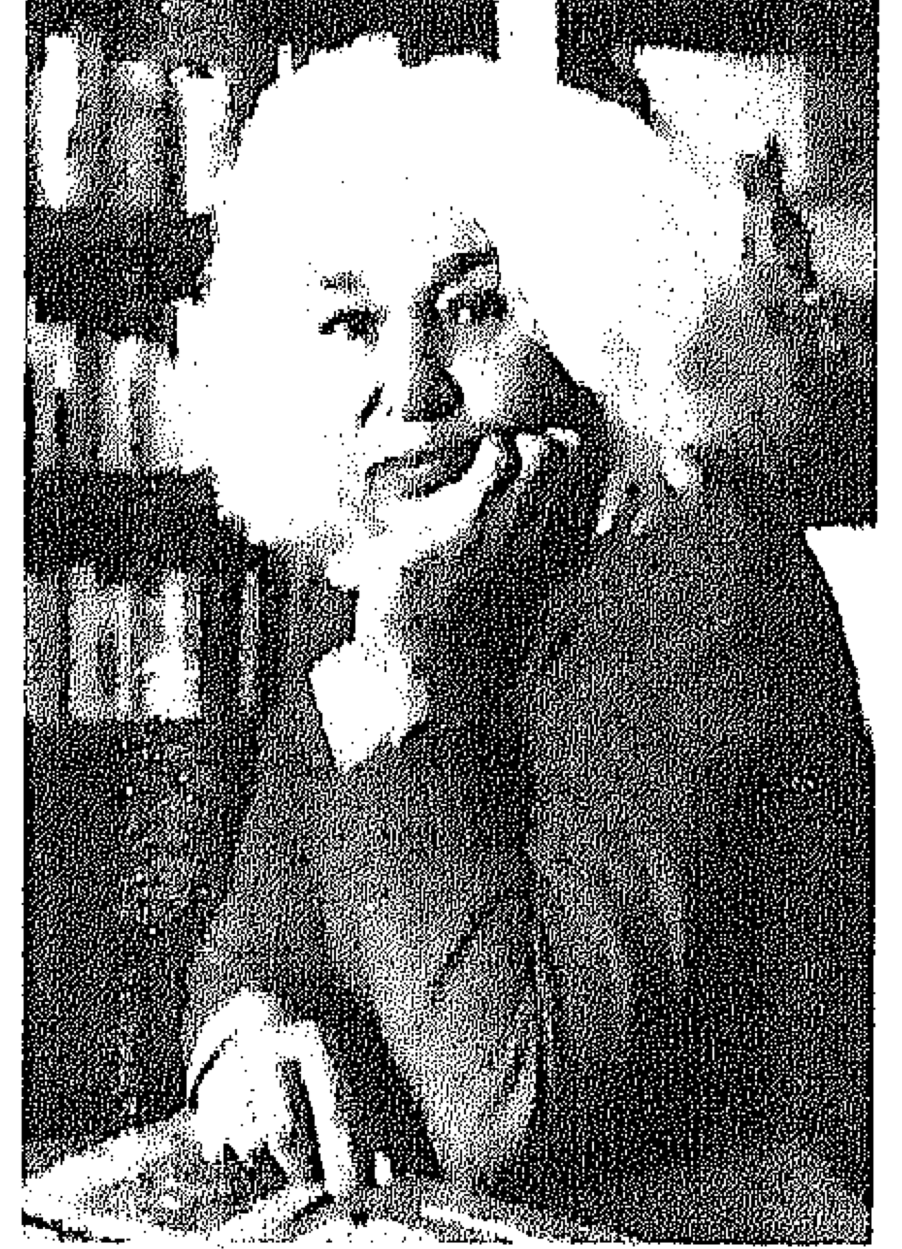
د. مصطفى محمود

وطوال عهد السادات، حيث تألق التيار الديني المتشدد وساد، كنت مضطهدة وممنوعة وكتبي مصادرة، ودفعت من عمري سنوات في المعتقل والعزلة.. لكنني لم أفقد إيماني بمواقفي.. وظل الصراع بيني وبينهم مشتعلا محتدما، وكانت آخر فصوله عندما أصدرت مسرحية «الإله يقدم استقالته» في العام 2007، فأقام الأزهر الدنيا ضدي، وصادر المسرحية، وضغط علي ناشرها، المرحوم الحاج مدبولي لإحراق كل نسخها، وطالب التيار المتشدد بسحب الجنسية المصرية مني.. وسافرت وقتها لتدريس مادة الإبداع والتمرد في جامعة أطلانطا، حيث كنت قد وقعت معها عقداً قبل الأزمة وكان عليّ الالتزام به.. وظللت في المنفي لمدة ثلاثة أعوام، حتي حكمت المحكمة لصالحي، ورفضت إسقاط الجنسية عني، ورفعت عني الاتهامات.. وأظن أن الدولة مالت إلي العقلانية في تلك القضية، لأن إسقاط الجنسية عني كان سيحرج الدولة، وسيكون فضيحة في الخارج، علي اعتبار أنني كاتبة معروفة عالميا، ومؤلفاتي الـ46 تمت ترجمتها إلي 35 لغة، وأقوم بالتدريس في أشهر الجامعات العالمية..!

وأقول لها: تقومين بتدريس مادة التمرد والإبداع.. فهل المبدع لابد أن يكون متمردا.. وما هو سقف التمرد في رأيك؟

وتقول: نعم.. المبدع لابد أن يكون متمرداً. لازم. خاصة عندما يكون المجتمع ظالما والقانون غير منصف. سأعطيك مثلاً

بقانون الزواج عندنا، الذي يبيح للرجل التعدد، ويمنحه الحق في أن يطلقني بقرار منفرد، ويتزوج عليّ واحدة واثنتين وثلاثاً دون موافقتي، وفي المقابل إذا رآني أشرب فنجان قهوة مع رجل آخر يدينني ويعاقبني.. لما المجتمع يبقي ظالم لهذا الحد لازم أتمرد! ولذلك أنا ضد قانون الزواج، لأنه يحمل ازدواجية خطيرة. وأي إنسان يعترض يجرجروه علي النيابة، زي ما عملوا معي أنا وابنتي د.مني حلمي، عندما اتهمونا بالزندقة لمجرد أننا طالبنا بنسب المولود إلي أمه وأن يحمل اسمها، خاصة الأطفال غير الشرعيين، وقلنا إنه يحق للأم في تلك الحالة أن تمنح المولود اسمها، حتي تستخرج له شهادة ميلاد، ويبقي كائناً معترفاً به، حتي نحل مشكلة آلاف الأطفال غير الشرعيين، الذين لا يعترف بهم المجتمع ولا القانون.. ويمثلوا قنبلة موقوتة في وجه الجميع.. هاجموني واتهموني، وبعدين اكتشفون أن كلامي منطقي، فعدلوا القانون مؤخرا ووافقوا علي نسب الأبناء غير الشرعيين لأمهاتهم.. دون أن يعتذر لي أحد، أو يذكرني أحد بكلمة تقدير.



وأقول: التمرد مطلوب إذن في الإبداع.. فماذا عن سقفه؟

وترد: الإبداع ليس له سقف.. للمبدع الحق في نقد كل شيء، بما في ذلك ما يعتبره الناس مقدساً. الإبداع لا يعترف بالقداسة. لا يوجد شيء مقدس أمام العقل.. المقدس الوحيد هو عقل الإنسان.. هذا الجهاز الإلكتروني الذي نستخدمه في تسجيل حوارنا، مثلاً، ما كان يمكن أن يظهر لولا أنهم في أوروبا ثاروا علي المقدس، وانتقدوا الكنيسة، وفصلوا الدين عن الدولة. العلم هناك انتصر علي الكنيسة ونحن لن نتقدم إلا إذا ساد العلم وانتصر. نحن في أزمة لأننا أدخلنا الدين في كل شيء، علشان كده إحنا في ذيل الأمم. لم يهتز أحد ولم يهتم عندما أعلن أن الجامعات المصرية كلها خرجت من التصنيف العالمي، ولا توجد جامعة مصرية واحدة لائقة وعلي المستوي.. وإسرائيل لها 6 جامعات مصنفة.. لم نهتز، في حين اهتزت مصر كلها وثارت علي مسرحية كتبتها ولم تهدأ إلا بعد أن صادروها وأحرقوها.. أي منطق وأي ضمير يحكم هذا البلد؟! منذ فترة نشرت إعلاناً في الصحف أطلب فيه «شغال» يساعدني في الأعمال المنزلية. وطرق بابي شاب، يقدم نفسه للوظيفة، وفوجئت بأنه خريج كلية الطب. يعني زميلي. جاء ليعمل «خدام»، ورفضت رغم أنه شرح لي ظروفه، وأن دخله من الطب لا يكفي لمعيشته. إيه الخيبة اللي إحنا فيها دي؟!.. هذا وضع مقلوب ومعكوس، والمستفيد الأول منه هم رجال الدين، الذين يرون أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان.. للأسف هناك من يتاجرون بالدين ويضللون الناس، ويحاولون إقناعهم بأن الحياة الحقيقية تبدأ بعد الموت.

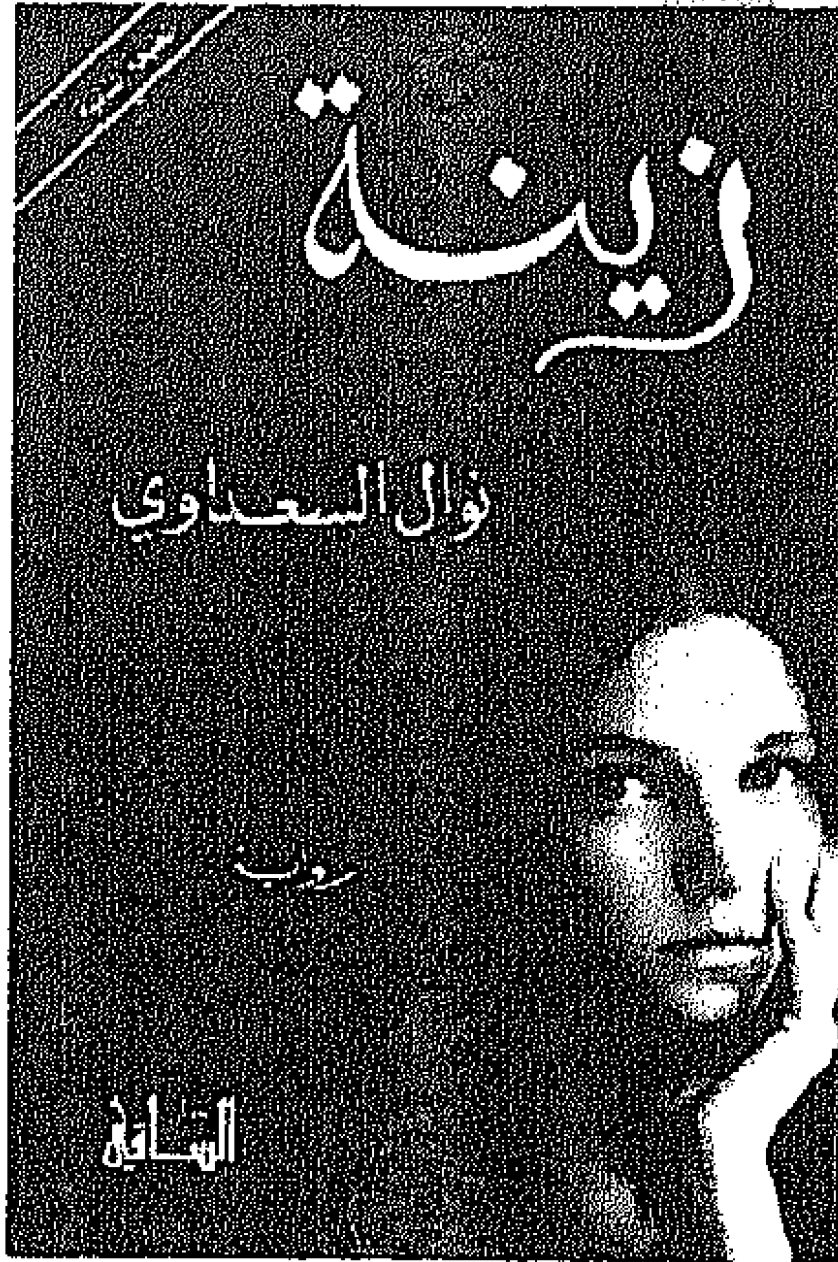
ثم تضيف د. نوال: المضحك والمبكي أيضا أنه في ظل هذا

الانتشار العارم للتدين، تجد أن هناك انحطاطا أخلاقيا وسلوكيا عارما أيضا. هذا معناه أن الدين لا علاقة له بالأخلاق، وأن الأمانة والإخلاص والاستقامة والوفاء والالتزام صفات يمكن أن يكتسبها الإنسان من خلال التربية، ولو عملت دراسة نزيهة ستكتشف أن أقل الناس أخلاقا هم الذين يزعمون التدين. هناك مهازل أخلاقية يرتكبها رجال الدين ويتسترون فيها بالدين.. يعني أنا لسه راجعة من دبلن بأيرلندا، حيث كنت أشارك في محكمة شعبية عالمية، وكنت القاضية العربية الوحيدة بين 11 قاضيا من أنحاء العالم، وكانت مهمتها محاكمة جرائم الحرب ، في العراق وفلسطين وسريلانكا ، وغيرها من الدول المنكوبة بالاحتلال والاستبداد.. ولم يكن للصحف من شاغل هناك إلا الفضائح الجنسية للقساوسة.

عقدة جنسية

وأسألها: قال لي د. جابر عصفور إن رجال الدين عندهم عقد جنسية من المرأة.. ولذلك يحاولون عزلها وإلباسها النقاب والتعامل معها علي أنها عورة!..

وترد: هذه العقدة الجنسية يعاني منها كل الرجال.. أنا عرفت شيوعيين عندهم نفس العقدة تجاه المرأة.. حتي في الغرب هناك عقدة جنسية رغم كل التحرر والحرية. الفرق أننا هنا نغطيها.. أما الغرب فيعريها!



وقد تدهش أنني رغم كل هذا التمرد الفكري الذي أحمله وأدافع عنه وأطالب به، فإنني ضد العري. الناس فاكرة أنني ما دمت ضد النقاب والحجاب أبقي في الخندق الآخر مع التعري.. أنا شايفة ان التعرية والتغطية وجهان لعملة واحدة. كلاهما تطرف. كلاهما يشير ويعني أن المرأة لا تزيد علي جسد وأداة للجنس والإغراء. إما أن تغطي باسم التدين والأخلاق، أو تتعري باسم السوق الحرة. لذلك أنا ضد الموديل العاري. ليه دايما يكون امرأة. لماذا لا يرسمون جسد الرجل العاري.. النموذجان - التغطية والتعرية - نتاج نظام طبقي أبوي عبودي.

لما سافرت إلي نيويورك لاحظت أن صدور النساء عارية بطريقة لافتة ومستفزة، في حين أن الرجال في ملابس كاملة ومقفولة. أنا ضد التفرقة. يا نتغطي كلنا، يا نتعري كلنا. لازم القانون يمشي علي الكل.

وأسأل: هذا التمرد ضد سلطان الدين والقوانين.. متي بدأ في رحلتك؟

وترد: من أول ما وعيت علي الدنيا. ويرجع الفضل في هذا الوعي المبكر لتأثري بشخصية والدي ووالدتي.. أبي هذا الرجل الأزهري المثقف كان يقول: ناقشني حتي ربنا. ويقول: ربنا هو العدل وعرفوه بالعقل. ويقول: صاحب القلم أقوي من صاحب

المنصب.. ممكن يرفدوك من منصبك لكن لا يمكن أن يحرموك من قلمك.. علمني إزاي أكون حرة في تفكيري، وازاي أحافظ علي استقلاليتي..

كان رجلا متفتحا وعصريا، رغم أنه درس وتخرج في الأزهر.. لا أنسي هذا الموقف الذي شاهدته بعيني عندما كان مراقبا للتعليم، وجاءه موظفون عنده يحملون إليه الهدايا وأقفاص البط والوز، وشعر بأنها رشوة، فحاولوا إقناعه باسم الدين: النبي قبل الهدية.. فثار وطردهم وصرخ فيهم: امشوا اطلعوا بره يا ضلالية.. هتفسروا الدين علي مزاجكم؟!

وللأسف طول عمرنا واقعون تحت سيطرة هذه التفسيرات الجاهلة للدين. وللأسف فإن رجال الدين طول عمرهم يسخرون الدين لمصالح وأهداف السياسة.. عاملين «كوبري» زي ما كان بينصحني يوسف إدريس الله يرحمه!.


يوسف ادريس

وأستفسر: إيه حكاية «الكوبري» دي؟

وتوضح: كلما كنت أقابل يوسف إدريس يوجه لي نصيحته الثمينة:

- يا نوال لازم تعملي «كوبري» مع السلطة.. إذا ما عملتيش «كوبري» هتتعبي قوي!

وكان يقصد أن أمد جسور المودة مع السلطة، وأنافق، وأبحث عن مصالح شخصية، ومناصب ومكاسب.. وللأسف كثير من كبار مثقفينا عملوا «كباري»، واستفادوا وغيروا مبادئهم وخانوا ضمائرهم سعياً وراء مجد زائف.

واحد زي الأديب العظيم نجيب محفوظ، ما الذي يجبره علي نفاق السلطة ليقول إن معاهدة كامب ديفيد هي أعظم قرار للسادات في القرن العشرين؟! إيه النفاق ده؟! والغريب والمدهش أن المثقفين بلعوا هذا الكلام وغفروا هذه السقطة لنجيب محفوظ، ولو كان أحد غيره قالها لخونوه واتهموه بالتطبيع.. ملعون أبو «نوبل» أو أي منصب يجعل المثقف يخون ضميره وينافق إلي هذا الحد. أنا نفسي كنت مرشحة لنوبل في الثمانينيات والتسعينيات، واستبعدوني بسبب آرائي السياسية الناقدة لأمريكا وإسرائيل.

القداسة امتدت حتي للأدب. ممنوع نقد نجيب محفوظ مهما كانت أخطاؤه. يعني مثلاً احتفوا بسيرته الذاتية وأصدائها، مع أن سيرتي الذاتية تتجاوزه وتتفوق عليه أدبياً وجمالياً وفكرياً وفلسفياً. لكن من يقارن، والكل حوّل نجيب محفوظ إلي إله يسعي الجميع لنفاقه واسترضائه؟!

لكني لست نادمة علي مواقفي واختياراتي. حطوني في السجن، نفوني، استبعدوني من جنة الإعلام الرسمي والمؤسسة الثقافية الرسمية، وضعوني علي قوائم الاغتيالات.. لكني لم أغير مواقفي من هذا المجتمع الظالم وهذا التدين الزائف. وأعتبر

نفسي أقوي من الجميع. أنا في عز مجد وسطوة الشيخ الشعراوي طلبت عقد مناظرة بيننا. كنت شايفة أنه يقوم بدور خطير في تضليل الناس، وطلبت إني أرد علي أفكاره، ولكنهم تجاهلوا طلبي، ولم يمنحوني هذا الشرف!

أسأل: معني ذلك أنك لم تصادفي رجل دين مستنيراً أبداً؟!

تجيب: لا.. عندك جمال البنا، رجل محترم وعقلاني، وفاهم الإسلام صح، ووقف بجانبي في معركة اسم الأم، وأيدني، وقال إن الإسلام احتفي بالأم أكثر من الأب، وإنه لا مانع أن يحمل المولود اسم أمه، خاصة الأبناء غير الشرعيين.. وأتابع اجتهاداته، ومحاولته تنقية كتب التراث ومراجعتها.. لن نتقدم إلا بتلك المراجعات.. الشريعة الإسلامية قابلة للتطور، لأنها نتاج بشري في النهاية.. وأنا هنا أفرق بين الشريعة والعقيدة. يعني مثلا أنا أطالب بتطويع بعض آيات القرآن لتناسب العصر، مثلا أغلب المشايخ أبطلوا العمل بآيات ملك اليمين والعبودية. لم تعد توجد المرأة ملك اليمين، لأن العصر تجاوزها. فلماذا لا ينسحب الأم نفسه علي آيات أخري مثل آيات الميراث، إذا رأينا المساواة في توزيعه بين الرجل والمرأة، بدليل أن النبي قال أنتم أعلم بشئون دنياكم»؟!

الإسلام الحقيقي ليس في النصوص والطقوس. لما يبقي فيه عدل وصدق وأمانة سيكون الناس أكثر سعادة وأمانا. والإسلام جاء لسعادة الناس ولضمان حياة إنسانية كريمة.

وتضيف د. نوال السعداوي: المدهش أن الزمان يثبت دائما أنني علي حق. لقد عارضت الختان 60 سنة، حتي اقتنعت الدولة برأيي، وطالبت بنسب الأبناء إلي أمهاتهم، فأخذوا برأيي، ولكن بعد أن شوهوا سمعتي، وجرجروني علي النيابة، واتهموني بأبشع التهم. طول عمري وأنا بأدفع ثمن مواقفي. شعراوي جمعة وزير داخلية عبدالناصر هددني بالاعتقال لأنني جعلت نقابة الأطباء ضد الاتحاد الاشتراكي. السادات اضطهدني وأدخلني السجن وصادر كتبي، وأصبحت ممنوعة من الظهور في الإعلام الرسمي صورة وكلمة.. وما زال هذا المنع ساريا. ولم يكتفوا بذلك، بل شوهوا سمعتي، وقالوا إنني أكتب للغرب وأقبض منه.



وأسأل: وما ردك علي التهمة الأخيرة؟

وترد: شبعوا كلاما واتهاماً. وقالوا إني باكتب للغرب. وأنه هو اللي بيدفع لي. هذا مع العلم أنني ممنوعة من الكتابة والظهور في الإعلام الغربي المسيطر والمؤثر. ممنوعة من الكتابة في النيويورك تايمز، ومن الظهور في الـ C.N.N .. فقط يسمحون لي أحيانا بالظهور في الإعلام اليساري المعارض. أنا أول واحدة كتبت ضد أوباما، وقلت إنه يخدع الجميع، ولا تصدقوا وعوده البراقة، ولكنهم سخروا مني وصفقوا له، ثم اكتشفوا الخدعة، وإنني كنت أول من تنبه لها.. واعترف بذلك كاتب كبير مثل مكرم محمد أحمد، وقال فعلا أوباما خدعنا.. للأسف النخبة عندنا ساهمت

كثيرا في تغييب وعي الناس وتحالفت مع السلطة.

وأقول: هذا اتهام خطير؟

وتقول: هذه حقيقة.. فيه مثقفون كبار دخلوا معنا السجون وامتهنوا النضال، لا لوجه الوطن والمبادئ، ولكن طمعا في منصب، وعلشان يبقوا وزراء. أو علي الأقل ياخدوا جوائز كبيرة زي جوائز الدولة.

وأسأل: هل تلمحين إلي د. سيد القمني؟

وترد: ليكن. القمني أخذ جائزة الدولة لأنه عمل «كوبري» مع السلطة.. وهناك غيره ممن تاجروا بقضايا المرأة وبالدين، واتفقت مواقفهم مع السلطة، وساندتهم ومنحتهم جوائزها.. لكن أنا نوع تاني ومختلف من المفكرين. غير قابل للبيع أو الشراء.. ده حتي استكتروا عليّ أن يضعوا اسمي علي المكتبة التي بنيتها في قريتي «كفر طحلة».. وفي التفاصيل أنني وأنا طفلة في القرية كنت لا أجد كتابا أقرؤه ولا مكتبة أذهب إليها. فكنت أبحث عن قراطيس اللب، وأفردها وأقرأ المكتوب عليها.. فلما كبرت، لم أرتض لأطفال قريتي ما عانيته، فقررت أن أسعي لإقامة مكتبة، وذهبت إلي صندوق التنمية الثقافية، وقابلت مديره آنذاك سمير غريب، وقلت له:


د. القمنى

- مش عايزة بنات «كفر طحلة» يقرأوا القراطيس!

قال ضاحكا:

- سأحقق لك حلمك، فقط عليك أن توفري لنا قطعة أرض نقيم عليها المكتبة!

وذهبت إلي القرية، وأقنعت الفلاحين بالفكرة وبتوفير الأرض اللازمة للمشروع.. فلما انتهي العمل بالمكتبة، فوجئت بأنهم لم يضعوا اسمي عليها، وكان هذا أقل تكريم لي.

وأسأل: هل تشعرين بأنك لم تحصلي علي التكريم اللائق؟

وترد: عمري ما سعيت إلي إن يكرمني أحد.. يكفيني بأن أشعر أن أفكاري وصلت للبسطاء واقتنعوا بها وطبقوها. مرة واحد زبال قابلني في الشارع، ولقيته عارفني ومتابعني وسألني:

- ليه يا دكتورة ما بتطلعيش في التليفزيون؟!

ومرة زارني شاب ومعه خطيبته وقال لي:

- أنا جاي أشكرك كتبك هي اللي فتّحت مخي!

ومرة سألوا المخرج السينمائي أسامة فوزي في برنامج تليفزيوني:

- مين أكتر واحد أثر فيك وفي تفكيرك؟

أجاب بلا تردد:

- كُتب نوال السعداوي.

وتكمل د. نوال: مشكلة العقل المصري أنه سجين للنظريات الدينية، ومقيد بالنظرة والتفسير الديني للأمور. مع العلم بأن العقل المصري في المطلق لا يقل إبداعا وألقا عن العقول الغربية إن لم يكن يزيد. وأنا قمت بالتدريس في أكبر جامعات العالم، وأشهد

أن العقل المصري ممتاز، لأنه نتاج أعظم حضارة إنسانية. لكن خيبته القوية أنه ألغي التفكير العقلاني، ووضع سقفا لتفكيره. يخشي المغامرة والطموح والتمرد والدخول في المناطق الملغمة، ويعمل حسابا لكل ما هو مقدس ولا يجرؤ علي مناقشته. يقول لك في استسلام: ما أقدرش أفكر أكتر من كده. في حين أنا عملت 46 كتابا وخضت عشرات المعارك، لأني بافكر أكتر من كده، ورفضت أن أستسلم للفكر المتخلف، والتفكير الرجعي. الإسلام نفسه يأمر بإعمال العقل، ويجعل من التفكير فريضة. ولا حل لمشاكلنا إلا بسيادة التفكير العقلي واحترام العقل.

كيف لا أتوقف وأراجع وأنقد شيخا خرج علينا ليقول، إن الكوارث الطبيعية كالزلازل المدمرة التي حدثت في هايتي، هي عقاب إلهي من الله، ونقمة يصبها علي الأرض بسبب ذنوب البشر. لا سبيل لتقدمنا إلا بإفساح الطريق أمام العقل.. إلا بحرية التفكير.. إلا بحرية المرأة.. وبالمناسبة أريد أن أقول: لقد أزعجتني كثيرا مظاهر الانسحاب الغريب من جانب المرأة.. هذا الاستسلام المريب. أسمع الآن عن تاكسي خاص بالمرأة، وعن كافيهات خاصة بالمرأة، ومحال وأماكن خاصة بالمرأة، ولم يعد ينقص - علي رأي د. مني حلمي - إلا أن نخصص قارئات للنساء وأخريات للرجال!

وأسمع كذلك عن محاولات لعمل فن إسلامي يخلو من النساء. ما هذا العبث؟! شوف: إذا دخل الدين في السياسة والثقافة خرج العقل وانتهي الإبداع. ميزة العقل الأوروبي أنه فصل الدين عن الدولة وأعطي نفسه مساحة غير محدودة من التفكير، جعلته يقف عند ميلاد المسيح، ويبحث عن نظريات جديدة، تتفق مع العقل.. في حين أننا مازلنا غارقين في الغيبيات، وننتظر تجلي العذراء لتمنحنا العدل وتحل لنا أزماتنا.. لا نريد أن نعمل ونجتهد ونفكر. حتي عندما يخرج واحداً مثل د. نصر حامد أبو زيد وهو يحاول الاجتهاد، فإن المجتمع يواجهه ويجعله يهرب أو يتراجع. مشكلة المفكرين عندنا أنهم لا يريدون الصدام مع المجتمع، فيمسكون العصا من المنتصف. لازم المفكر يبقي جريء ويحارب من أجل أفكاره ولا يتراجع عنها مهما كانت التضحيات.


د. منى حلمى

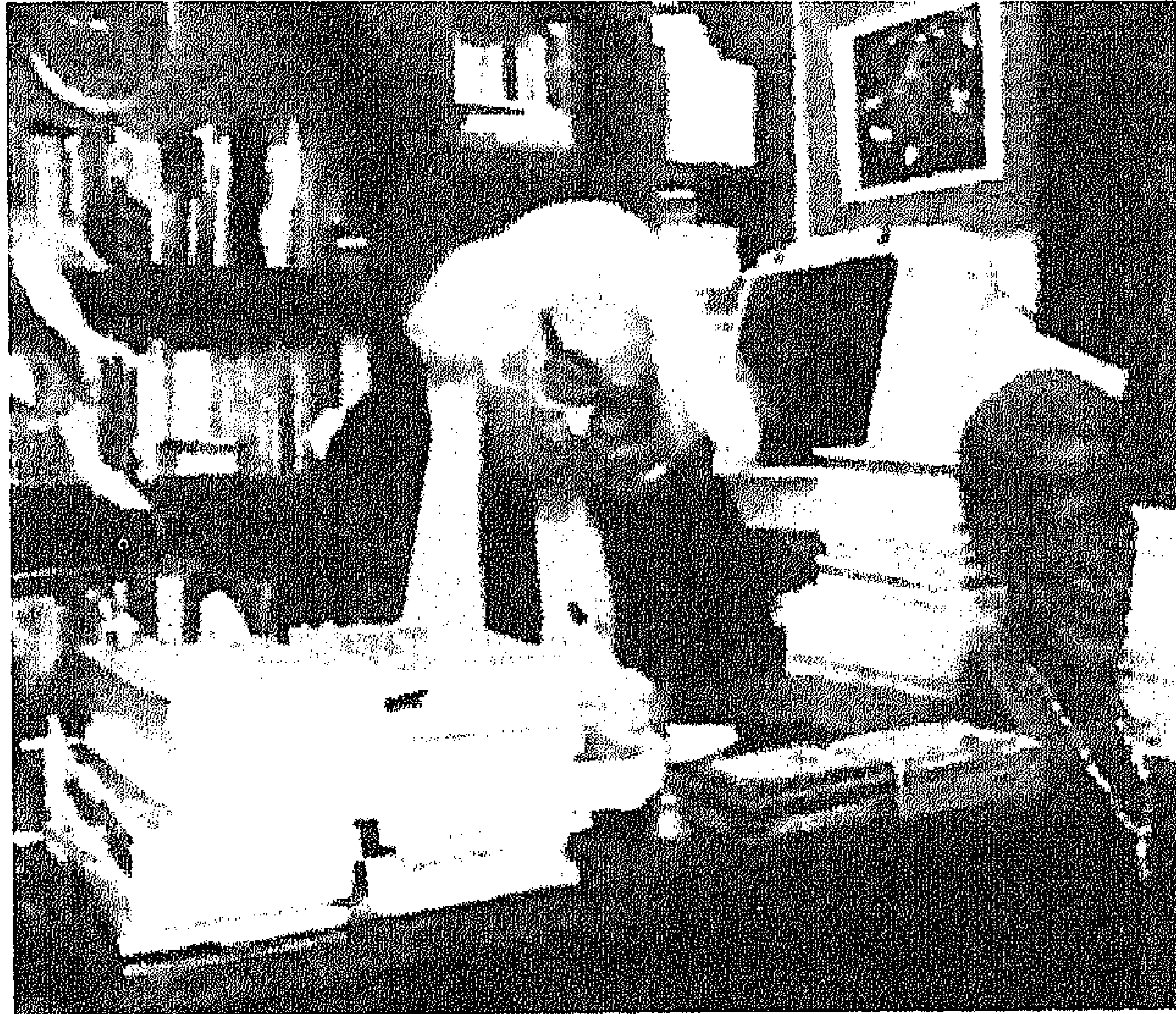
معركتي القادمة

وأسألها أخيرا: ما مشروعاتك أو - بالأدق - أزماتك القادمة؟

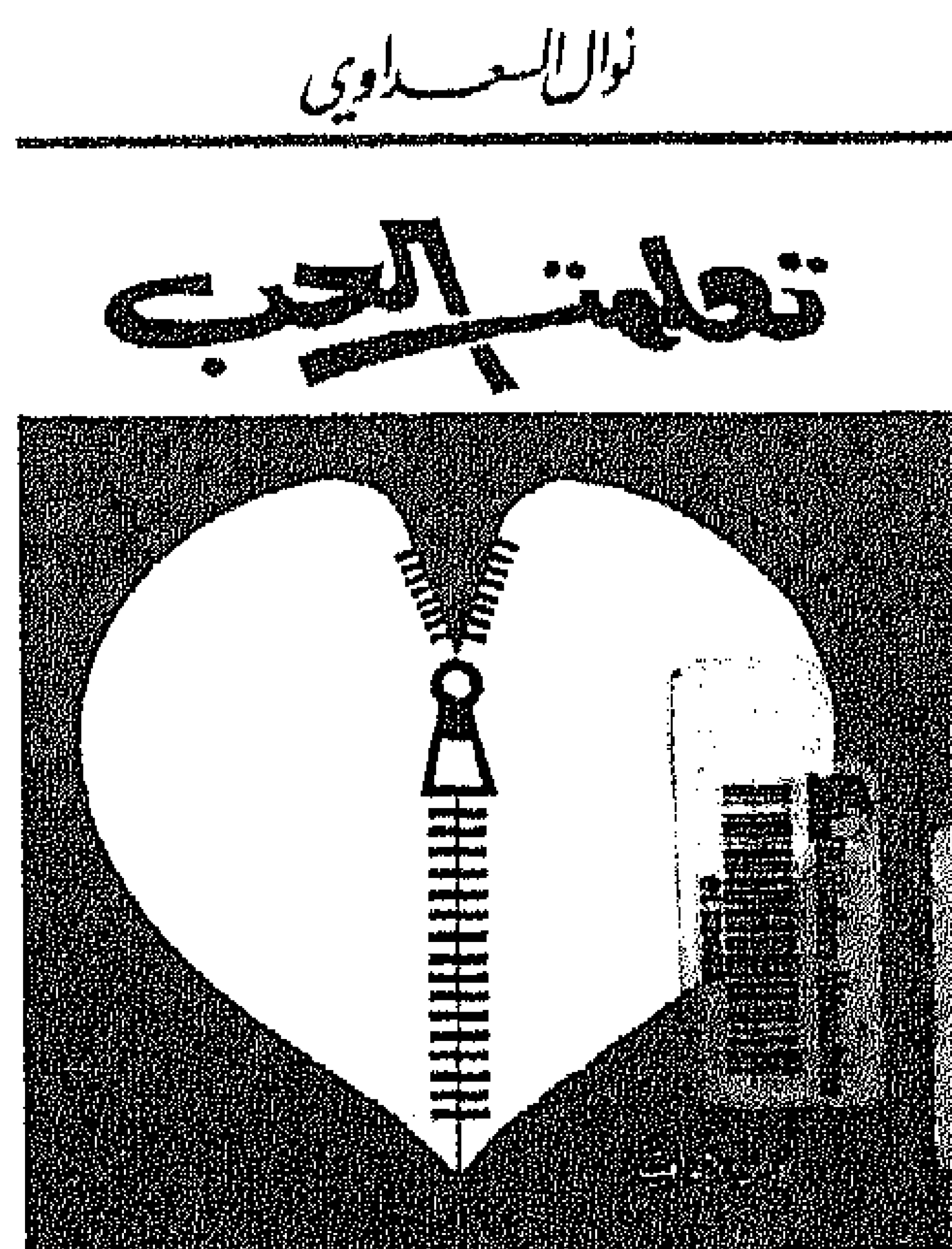
وتجيب: أخيرا: عندي حلقات عنوانها «حياتي وراء المحيط» سأنشرها مسلسلة في مجلة «المصور»، بدار الهلال وأحكي فيها عن تجربة سفري الأخيرة إلي أمريكا وأوروبا، والمعركة التي خضتها بسبب مسرحيتي «الإله يقدم استقالته» ورجعت من سفري فيها منتصرة.

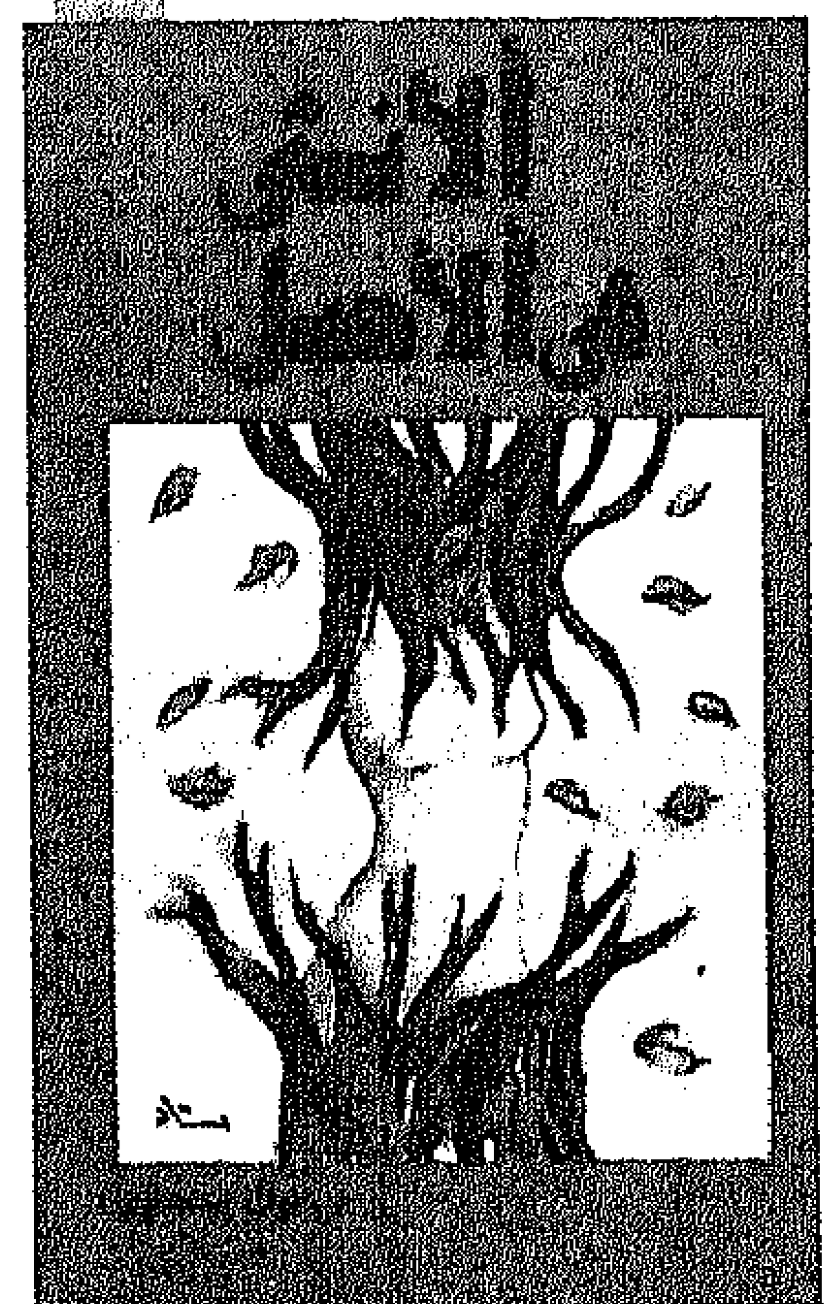
عندي مشروع رواية ما زالت تختمر في قاع عقلي.. وحتي

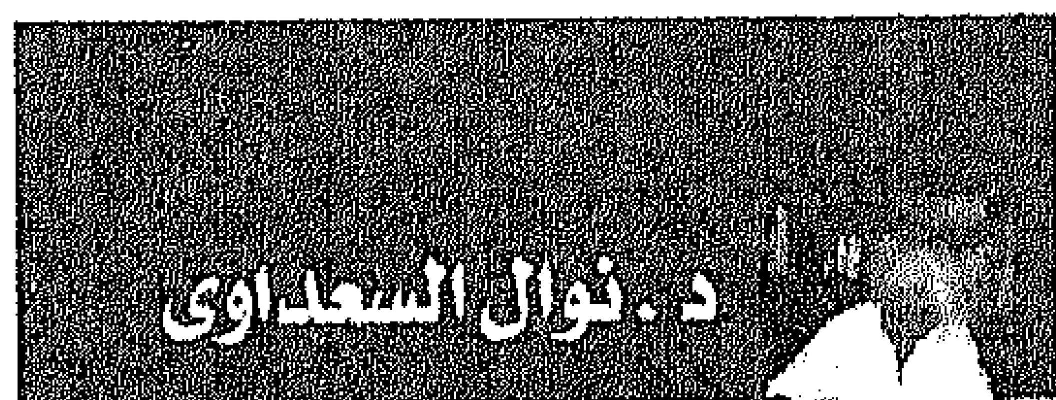
تستوي وربما يطول ذلك لعام أو عامين سأستغل الوقت في أكثر من رحلة سفر.. عندي أكثر من دعوة في شهري مارس وأبريل.. بينها دعوة لإلقاء محاضرات في الإبداع والتمرد في جامعة إنجليزية.. ودعوة من نادي القلم الدولي.











الإله
يقدم أستقالته
فى اجتماع القمة





صافيناز كاظم:

"عزازيل" رواية رديئة..

وغصبت نفسي حتى قرأتها!

بمجرد أن تخطيت عتبة شقتها، وقبل أن أستقر مكانى على مقعد فى صالون بيتها المنمق المرتب بعناية، قالت لى: "سوف أسمعك وثيقة صوتية عمرها 40 عاماً".. وأدارت جهاز الريكوردر، لينطلق صوت نسائى ناعم، محترف الأداء، واع بالنغمات والمقامات، ويردد أغنية معروفة لنجمة الغناء فى ذلك الزمان: عفاف راضى. سألتنى بلهفة: صوت مين ده؟!.. احترت لثوان، قبل أن توفر علىّ عناء التفكير والحيرة وترد: ده أنا؟!

وحكت لى حكاية هذا التسجيل النادر، الذى سجلته الكاتبة والناقدة العتيدة صافى ناز كاظم لنفسها، وتشدو فيه بأغنية عاطفية، وبصوت عذب، حتى إننى داعبتها:

- مش كان الفنا أكسب لك من الكتابة ووجع القلب؟!

أجابت بحدة مع أن ابتسامتها لم تفارقها:

فشر!

عندئذ دخلنا فى موضوع الحوار مباشرة:

- معنى ذلك أنك تخجلين من الفن.. فهل ترين أن الفن ضد الأخلاق والدين؟

أجابت: بص. فيما مضى كان الناس حين يتشككون من عمل أو قانون يتساءلون: هل يتعارض مع الشرع أم لا؟!.. الآن انقلب الحال والمال، فإذا قلت لا إله إلا الله يسألون: هل هذا يتعارض مع الفن؟!.. للأسف الساحة الآن يسودها ويتسيدها مجموعة من الناس ، أنا أسميهم "التبويريين"، وهو وصف مشتق من الآية الكريمة "وأحلوا قومهم دار البوار".. فهم إذن تبويريون على وزن "تنويريون" هؤلاء الناس عداؤهم للدين واضح، ويرون أن الإسلام هو سبب شقاء الناس.. ويقحمونه فى كل شىء، وطول

النهار شغالين عليه، وأنه ضد.. وضد.
يعنى مرة زارنى صحفى من أستراليا، وسألنى بتحد واستفزاز:
- هل الإسلام ضد الشذوذ الجنسى؟
قلت له بنفس التحدى والاستفزاز:
ولله الحمد.. الإسلام ضد الشذوذ ويحرمه ، كما حرمته المسيحية وكما حرمته اليهودية.

ولذلك أنا أستغرب من تلك المعركة الدائرة التى يوضع فيها الإسلام فى مقابل الفن والابداع.. الحضارة الإسلامية هى التى أنتجت أرقى وأجمل الفنون. النبى(ص) سمح بإلقاء الشعر فى المسجد. وكانت به أبيات عاطفية "بانت سعاد فقلبى اليوم متبول.."... فهو لم يرفض الشعر فى المجمل، لكنه لا يوافق على التجاوز والتطاول، مثل قول أمل دنقل: "خصومة قلبى مع الله". هذا التوجه مرفوض.


دنقل

- لا أتكلم عن الفنون القديمة كالشعر والخطابة والعمارة.. ولكن أقصد الفنون الجديدة كالتمثيل والباليه والرسم العارى؟

- قصدك الموديل العارى؟ .. زمان كان فيه فيلم سينماشى من بطولة تحية كاريوكا وكارم محمود الذى غنى فيه أغنية «عينى بترف»، وكان يقوم فيه بدور رسام، ويأتى بحميدة بائعة الخضار، ويستغل فقرها وحاجتها ليحولها إلى موديل يرسمها فى لوحاته ، وهذا كان معروفاً فى الخمسينيات، وأنا طول عمرى عندى حالة استبشاع لعملية الاستغلال غير الإنسانى التى كان يقدم عليها طلبة كلية الفنون الجميلة ، حيث كانوا يأتون بفتاة فقيرة مسكينة و"يقلعوها ملط" بغرض رسمها فى لوحاتهم كموديل، وبغرض استغلال حاجتها للمال. وبعيداً عن الحلال والحرام فأنا أرى أن هذا الفعل به قدر كبير من الانحطاط الأخلاقى والإهانة للإنسان رجلاً كان أو امرأة.. وبالنسبة لفن النحت خاصة للتماثيل فالإسلام كانت له فلسفة فى تحريمه من البداية، حيث لم تكن العقيدة الجديدة رسخت فى النفوس.. الآن يقولون لك: طيب.. خلاص.. عهد الوثنية انتهى.. أنا أقول لا لم ينته، ومازالت ظلاله فى النفوس.. يعنى أنا شاهدت بعينى سيدة مسلمة فى فيلم وثائقى تقف أمام صورة السيدة مريم عليها السلام وتتحسسها فى تقديس وتمسح على وجهها لتنال منها البركة. وأنا نفسى كنت أرى مشاهد أفظع فى أضرحة آل البيت

ويتبرك الناس بأخشاب وأعمدة حجرية ويقبلونها فى ضراعة - إذن هناك ميول وثنية متخفية فى النفوس، وهو ما يطلق عليه العلماء الشرك الخفى - ودرءاً للشبهات فأنا مع الفن التجريدى.. شوف جمال النقوش والزركشة الإسلامية.

هوّه إحنا لازم نخرج على الشرع علشان نثبت أن الإسلام دين متسامح ومستنير.. بلاها فن.. بذمتك لما تشوف «فيلم لعادل إمام» جايب فيه عشر بنات روسيات عاريات "ونازل فيهم بوس"..

فى شرع مين ده يبقى حلال؟!

أنا مذهولة من أفلام هذه الأيام لا يوجد فيلم لا "يخلو" من مشهد فى السرير بين رجل وامرأة. هذا امتهان لقدسية العلاقة بين الرجل والمرأة قبل أن يدخل فى خانة التحريم.. دعك من الحلال والحرام، ودعنى أقل إنها مبتذلة وسقيمة.

الفن ليس حراماً فى المطلق، ولكن أيضاً لا تحاول أن تقنعنى بأن الكفر من مقتضيات الإبداع والفن، وإذا كانت مقتضيات الفن ستؤدى إلى ضرب قاعدة إسلامية، عندئذ إن شالله ما كان فيه إبداع.. وليذهب هذا الفن إلى الجحيم.



توفيق الحكيم

- قالت لى د.نوال السعداوى إن المبدع الحقيقى يمتلك تمرداً بلا حدود حتى لو اصطدم بالمقدس.. بل إنه لا شىء مقدساً أمام الإبداع.. وأمام العقل..

- وأنا أقول لا إبداع مقدساً أما الشريعة الإسلامية، وزى ما الدكتورة نوال عندها تمرد وجنوح للخروج على الأديان، أنا أيضاً عندى تمرد على اللاتينية والفسوق والعصيان.

- قصيدة شرفة ليلى مراد للشاعر حلمى سالم.. هل يمكن أن نضعها تحت بند التمرد الإبداعى؟

- قصدك القصيدة التى يتطاول فيها على إلله، والتى منحته وزارة الثقافة عنها جائزة الدولة؟! أولا أنا لم أقرأ القصيدة، ورفضت قراءتها عندما سمعت بتطاولها وتجاوزها. بل أنا من الأصل لا أقرأ شعر حلمى سالم وأرى أنه شاعر سيئ ومتواضع.. ساعات ممكن تبلع لشاعر تجاوزه افتتانا بفنه، يعنى أحمد شوقى أمير الشعراء لما كتب: "ويقول تكاد تجن به / فأقول وأوشك أعبده".. البيت فيه تجاوز دينى، لكنك تتناساه أمام روعة الشعر.. فيه شعراء عظام من فرط جمال أشعارهم تكاد تفتن من انحرافهم وضلالهم.. إنما فيه شعراء بائسون مثل حلمى سالم يكرهك فى الشعر حتى لو كتب فيه يصلى على النبى!



عادل امام

- هل تعتقدين أن بعض المبدعين يقدم على التجاوز والشطط والنزق والصدام مع الدين.. لمجرد لفت الأنظار وجلب الشهرة؟

- آه طبعاً.. واحد زى حلمى سالم ده شعره وحش، ولم يكن أحد ليسمع به إلا لو عمل قصيدة من هذا النوع. وأنه يطلب الشهرة بأى ثمن. لكن شاعراً مثل أمل دنقل كان فناناً حقيقياً، ولم يكن يجرى وراء الشهرة، وبحكم معرفتى به عن قرب فإن حالات نزقه الدينى كانت عن عقيدة. لا أفترى عليه عندما أقول أمل دنقل كان لا دينياً ولا يؤمن بوجود الله!

لكن فيه ناس مخها طاقق، زى توفيق الحكيم عندما عمل حواراً مع الله، "وقعد ينشره على الناس: الله قال لى.. وأنا قلت لله.. إيه التخريف ده؟!.. أنت مين علشان تتكلم مع ربنا؟!

ليه تؤذى الشعور الدينى للآخرين؟!.. يعنى لما حصلت على رواية "عزازيل" قلت أقرأها، وبالفعل حاولت، ولم أستطع أن أتم قراءتها مع أنى قطعت هدومى علشان أخلصها ولم أستطع..

الرواية وحشة وفوق ذلك لا تحترم "عقائد" الآخرين.. لا أسمح لك باسم الإبداع أن تهين عقيدة أو مذهباً.

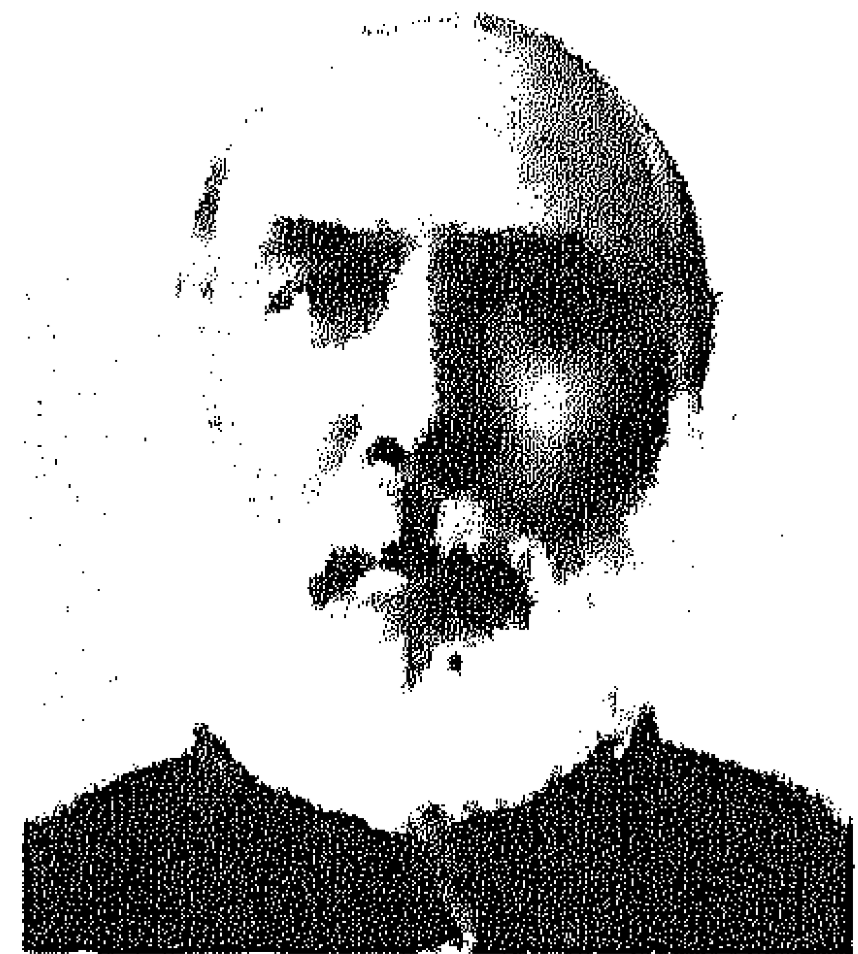
- هذا حكم ظالم.. ربما يغير الناس موقفهم من عمل أو إبداع صادم بمرور الزمن.. مثلما حدث مع "أولاد حارتنا".. رواية نجيب محفوظ؟!

- نجيب نفسه متشكك فى الرواية، وشايف إن فيها تجاوزاً، ولذلك طلب ألا تنشر فى مصر إلا بموافقة الأزهر.. لكنها نشرت بموافقة يوسف القعيد!!

- لا.. بموافقة وتقديم مفكر إسلامى، بحجم أحمد كمال أبوالمجد.. قال فى مقدمته لها إنها لا تتعارض مع الشرع وإننا يجب أن نقرأها قراءة أدبية دينية..

- مين اللى حسب أحمد كمال أبوالمجد على التيار الإسلامى؟! إذا كان شايف أنها حلال عليه أن يبوء بإثمه. أنا قرأت هذه الرواية عندما نشرت مسلسلة فى الأهرام، وكنت حينها أدرس فى نيويورك، ومع أننى وقتها كنت "مبحبحة" فكرياً إلا أننى رأيت فيها تشابهاً صريحاً مع قصص القرآن وسير الأنبياء، وما هالنى أكتر أنه أعلن فيها موت الإله، وكانت هذه النتيجة من حيثيات استحقاق نجيب محفوظ لجائزة نوبل فيما بعد. هذه رؤية ومنهج اللادينيين من المبدعين. دائماً فى صدام مع الأديان، ودائماً عندهم رغبة فى التطاول. يعنى هو الإبداع أنى أكتب مسرحية اسمها "الإله يقدم استقالته"؟! وليه واحد زى أحمد عبدالمعطى حجازى يهاجم زبيبة الصلاة وانتشارها فى وجوه المصريين ويعتبرها خطراً على الأمن القومى؟!

وما يدهشنى أن عتاة اللادينيين لهم خلفية دينية، ودرسوا اللغة والدين أو نشأوا فى أسر دينية محافظة.. وكنت أظن أنهم سيكونون أكتر فهماً للدين ودفاعاً عنه.. ولكنهم انساقوا وراء المنطلقات الغربية.


الشيخ محمد عبده


الفريد فرج

تقصدين نوال السعداوى مثلاً.. حيث كان والدها شيخاً أزهرياً ونشأت فى أسرة محافظة؟

ما ليش دعوة بأبوها الله يرحمه.. قاعدة تقول أنه كان بيحرضها على الحرية والانطلاق والتحرر.. وأظن أنها تفترى على هذا الرجل الطيب، لأنك لو رجعت إلى مذكراتها الأولى ستجد أنها كانت تشتكى مر الشكوى من سطوة الأب وقهره لها.. وأتمنى أن يأتى لها أبوها فى المنام ويضربها بالقلم علشان تفوق وتبطل تفترى عليه.

ومازال عندى أمل، ربنا يهدى هؤلاء الناس، وأن ينتصروا على شياطينهم.. أنا مثلاً قابلت د.منصور فهمى فى أخريات أيامه، وشتان الفرق بين البدايات والخاتمة. من يعرف د.منصور فهمى يذكر أنه ذهب لدراسة الفلسفة فى فرنسا وعاد ملحداً، ولما قابلته فى أخريات أيامه وجدته متديناً شديد الإيمان، ولما كان رئيساً لدار الكتب، تبنى إصدار المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، وكتب له

مقدمة تنبئ بإيمان راسخ.. وربنا قادر على أن يهدى نوال السعداوى وكل إخوتها من اللادينيين مثلما هدى د. منصور فهمى الملحد.

لكن فى المقابل فإن هؤلاء الذين تتهمينهم باللادينيين يترحمون على أيام الإسلام العقلانى الذى كان يمثله الإمام محمد عبده.. الإسلام المستنير الذى لا يقصى الآخر ولا يكفره.. الإسلام القابل للحوار الهادئ بلا تشدد ولا إرهاب؟!

أنا لم أر رجلاً ظلم فى قبره هذا الظلم كالإمام محمد عبده. يعنى إيه إسلام مستنير؟!.. هو فيه إسلام مستنير وإسلام ظلامى؟!.. الإسلام كله نور. ثم إن الإمام محمد عبده لم يكن تاريخه ناصعاً كله. الأفغانى وصفه بأنه رجل مثبط. والمجاهد الكبير محمد فريد قال عنه إنه كان يرتاد كثيراً مجلس الأميرة نازلى فاضل، وهى امرأة لم تكن فوق الشبهات، وكان معروفاً عنها غرامها بالضباط الإنجليز وعشقها للشمبانيا.

ومع ذلك فإن الإمام محمد عبده لو كان حياً ما كان ليوافق على المخالفات التى يرتكبها "اللادينيون" فى حق الإسلام. حتى د. طه حسين الذى يعتبره د.جابر عصفور أستاذه ومعلمه كان ينتصر للإسلام ويدافع عنه عندما يشعر بأن هناك من يتربص به.. ومع ذلك فإننى رغم إعجابى بطه حسين إلا أننى آخذ عليه "حتة شر" لا أستطيع أن أسامحه عليها!



طه حسين

- يعنى إيه عنده حتة شر؟!

- طه حسين رغم عبقريته لم يتبن الإضعاف الموهبة.. كل التلاميذ اللى تبناهم كانوا خايبين وليسوا على المستوى. محمد مندور ناقد متواضع. سهير القلماوى أشد تواضعاً، ولم تكن على مستوى بنت الشاطئ مثلاً.

فيه ناس أخذوا شهرة وصيتاً لا يستحقونهما..

- نعود إلى الإسلام والفن.. هل توافقين على مقولة الفن الإسلامى.. وأنه يجب - كما يقول بعض الإسلاميين - إيجاد بديل شرعى للفن الموجود حاليا.. فن يتفق مع الشريعة ويلتزم بها..؟!

- مافيش حاجة اسمها فن إسلامى.. أى فن إنسانى هو فن إسلامى.. سأقول لك شيئاً يدهشك ، مسرحية عبدالرحمن الشرقاوى عن الإمام الحسين بجزءيها: الحسين ثائراً والحسين شهيداً.. أنا شايفة أنها مسرح سيئ رغم أن صاحبها تمسح فى الإسلام وعمل نفسه كاتباً إسلامياً. هو أصلاً كاتب مسرحى متوسط القيمة. حتى كتاباته الإسلامية كلها مليئة بالأخطاء.. أنا عندى ألفريد فرج وميخائيل رومان برقبته الفريد مثلا عمل مسرحية "سليمان الحلبى". أنا أعتبرها مسرحية إسلامية، رغم أن مؤلفها مسيحى، بل يمكن أن أذهب أبعد من ذلك وأقرر أن مسرحية "هاملت" مسرحية إسلامية.. ومسرحية "أنتيجون" اليونانية القديمة مسرحية إسلامية.. ذلك أنها تدور حول صراع أنتيجون والملك الذى أصدر قراراً بعدم دفن شخص، وأن تترك

جثته فى العراء. اعترضت أنتيجون ومالت إلى قرار الآلهة بدفن الميت. أى أنها مسرحية تنتصر للقانون الإلهى، فلماذا لا أعتبرها إسلامية، أليس الإسلام يأمرنا بطاعة القانون الإلهى؟!.. وهكذا فإن أى عمل لصالح الإنسان وخيره هو عمل إسلامى لا يهمنى ديانة كاتبه وملته.

من الفن الإسلامى أنتقلك إلى الفن الجنسى.. وأسألك: إلى أى حد تقبلين استخدام الجنس فى الأدب والإبداع؟!.. وهل تنظرين إلى هذا الأمر نظرة نقدية أم شرعية؟



أنا مع التوظيف الأدبى للجنس.. زى ما عمل، صنع الله إبراهيم فى رواية "تلك الرائحة".. تحس أن الجنس له ضرورة وليس مقحماً. هنا ممارسة العادة السرية لها مدلول، ومعنى. أنا أول رواية جنسية أقرأها فى حياتى هى "زقاق المدق"، كنت تلميذة وذهبت مع أختى وصديقتى إلى دار الكتب، وقرأت الرواية هناك حوالى عام 1952، وكنت أشهق من صراحة العبارات بحكم السن والظروف، ورجعت البيت وكأنى عاملة عاملة. ومع تجارب السنين أدركت أن الرواية تعتبر عادية جداً ومحترمة جداً إلى جانب روايات أخرى وصل استخدامها للجنس إلى حد التفحش.

واحد اسمه يوسف أبورية كتب رواية اسمها "العرس"، وكان من سوء حظى عندما كنت فى لجنة القراءة الخاصة بروايات الهلال أن أعطاها لى مصطفى نبيل لأقرأ مخطوطها قبل نشره، وكتبت فيها تقريراً قلت فيه إن صاحبها يعمد ويتعمد الفحش فى القول والوصف ويخترع مشاهد جنسية بدون أى داع أو لزوم..


أبورية

أضف إلى ذلك أنه قليل الموهبة، وفنه سيئ، وعندما يكون الفن رديئاً ومتواضعاً يصبح استخدامه للجنس قبيحاً.. على عكس مؤلف رواية "تغريدة البجعة" (مكاوى سعيد) تشعر بأنه فنان حقيقي، حتى فى استخدامه للجنس..

- من هو أكثر روائى فى رأيك أساء استخدام الجنس فى رواياته؟

بدون شك الطيب صالح فى "موسم الهجرة إلى الشمال".. التى صفقوا لها واعتبروها تحفة أدبية. أنا اعتبرتها "واحد صوته حلو وبيغنى كلام أبيح"!! بل اعتبرتها دعاية سيئة لأهل السودان، الذين تصورهم الرواية على أنهم قوم لا يفهمون إلا فى الجنس والبوظة.. وقلت مرة فى مقال إن تلك الرواية هى أسوأ ما قرأت، وغضب منى السودانيون، واتهمونى بأننى لا أحبهم، مع أننى والله من أكثر الناس حباً للسودانيين.. أنا عندى مثلاً رواية "الشمندورة" لخليل قاسم برقبة موسم الهجرة وتفوقها إبداعا.. وكذلك «جبال الكحل» ليحيى مختار.

والجنس فى أدب إحسان عبدالقدوس؟

مال إحسان ومال الأدب؟!.. لا أريد أن أغضب محمد عبدالقدوس بهذا الرأى، ولكن الحقيقة عندى أهم وأبقى. إحسان فى ميزان النقد الحقيقى بلا قيمة أدبية.. أنا عمرى ما

تمزجت برواية لإحسان. باستثناء قصة واحدة اسمها المؤتمر يصفق لزوزو. ونشرها بالأهرام ما عدا ذلك لم يكن أدب إحسان ولا مقالاته تنزل لى من زور!

وفتحى غانم؟

كان عنده فن لكنه خان فنه!

يبدو أن هناك كثيرين لا ينزلون لك من "زور".. أولهم أحمد عبدالمعطى حجازى؟

- حجازى ده ماله. لن أسامحه حتى يعتذر عما ارتكبه فى حقى.. يعنى أنا محبوسة فى السجن، وفى عز المحنة كتب قصيدة فاحشة يهاجمنى، فيها عنوانها "إلى السيدة ص .ك"، وحكت لى صديقتى منى أنيس أن جلسة جمعتها بحجازى ولويس عوض وآخرين فى تلك الظروف، وأن لويس عوض ناقشه فى تلك القصيدة وعتب عليه بشدة أن يهاجم سيدة وهى فى الأغلال، على حد وصف لويس.. وأنا طلبت من منى أنيس أن تأتينى بتلك القصيدة. فلما قرأتها أفزعنى ما فيها من حقد وغل وتصورات مغلوطة وأوهام تعشش فى دماغه .. وللأسف حجازى ده فلاح. والفلاح لما يتحدث يجيب لأهله الكافية.. هكذا يقول الفلاحون أنفسهم. وحجازى فلاح وجد نفسه فجأة يتحول من مدرس الزامى إلى خواجة فى كوليج دى فرانس. ومع أنه كان يدرس للتلامذة الفرنسيين زرع حصد، وليس أدب فيكتور هوجو، ظن نفسه المعلم الأول. وعاد من فرنسا كارها لكل ما هو إسلامى، ولن أسامحه على ما اقترفه فى حقى حتى يتوب ويعتذر!

ومش فاهمة ليه الأستاذ حجازى فاهم أنه عمره ما يبقى مثقف إلا إذا كان على خصومة مع الإسلام.. ليه المثقف يقدم حضارته وعقيدته قرباناً حتى يرضى عنه الغرب؟!.. والموضة الآن أن يكون مؤيداً للتطبيع وللسلام بمعناه الأمريكى الإسرائيلى!



لويس عوض

شايفة إن فيه مثقفين بدأوا يقدمون تنازلات خاصة فى مجال التطبيع من أجل المجد والجوائز العالمية؟!

- بدأوا؟! البداية قديمة. والإرهاصات قديمة.. ولم تكن البداية على سالم كما يظن كثيرون.. توفيق الحكيم كانت عنده الميول التطبيعية دى، حتى من قبل أن يذهب السادات إلى إسرائيل ويوقع كامب ديفيد.. كانت الإرهاصات من أيام عبدالناصر. حمروش راح وقابل إسرائيليين. عبدالرحمن الشرقاوى كتب "وطنى عكا" التى كانت تبشر بالسلام والتطبيع قبل أن يقعا. وفيها يقول: جندى إسرائيلى حر / سئم الحرب ففر..



احسان عبد القدوس

ولما حضرنا العرض المسرحى ، فتحنا أفواهنا من شدة الدهشة ، فقد كانت الرسالة واضحة صريحة: التطبيع قادم.

وفاكرة أنى قابلت توفيق الحكيم فى تلك الأثناء، فقال لى وهو يحاول إقناعى بأفكاره الجديدة:



- يجرى إية لما نعمل زى إيزابيلا وفيليب ما عملوا فى الأندلس ونتصالح مع ملوك الأندلس حبة حبة!

نجيب محفوظ كذلك.. كان مؤيداً لخط التطبيع من يدرى.. لكن نجيب مراوغ، ولا يكشف عن رأيه الحقيقى صراحة.. يفضل يلف ويدور.. حتى فى أدبه. يعنى رأى نجيب الحقيقى فى المرأة سيئ جداً، ولما تقرأ رواياته بعناية ستدرك أنه يحتقر المرأة.. وستدرك أيضاً أن أخطر رواياته هى "ثرثرة فوق النيل" التى قال فيها آراءه بصراحة وجرأة.. أنا أعتبرها هى المفتاح الحقيقى لفهم فلسفة وعقل نجيب محفوظ!

كيف تعاملت مع محاولة اغتياله بسبب رواية.. وبسبب فهم جاهل وتفسير دينى خاطئ لأولاد حارتنا؟!

أنا ضد الاغتيال بسبب رأى مهما كان.. بل ضد تكفير المبدع أياً كان شططه..

أنا مثلاً كنت ضد قتل فرج فودة، مع أننى كنت ضد آرائه على طول الخط، وحدثت بيننا مناوشات ومشاحنات وتطاول علىّ فى كتاباته وندواته.. كنت أتمنى ألا يعطوا فرصة لتحويله إلى شهيد.. الرجل كان فى عز شبابه، وكان أمامه فرصة للمراجعة والتوبة.. ليه .. ليه نحجر عليه؟!.. وكنت ضد إقامة دعوى قضائية ضد نصر حامد أبوزيد والمطالبة بالتفريق بينه وبين زوجته..



لماذا نقفل عليه باب الرجوع؟!

إن كثيرين من عتاة الماركسيين والعلمانيين تاب الله عليهم، وربنا قادر على كل شىء، وربنا قادر يهدى الجميع.

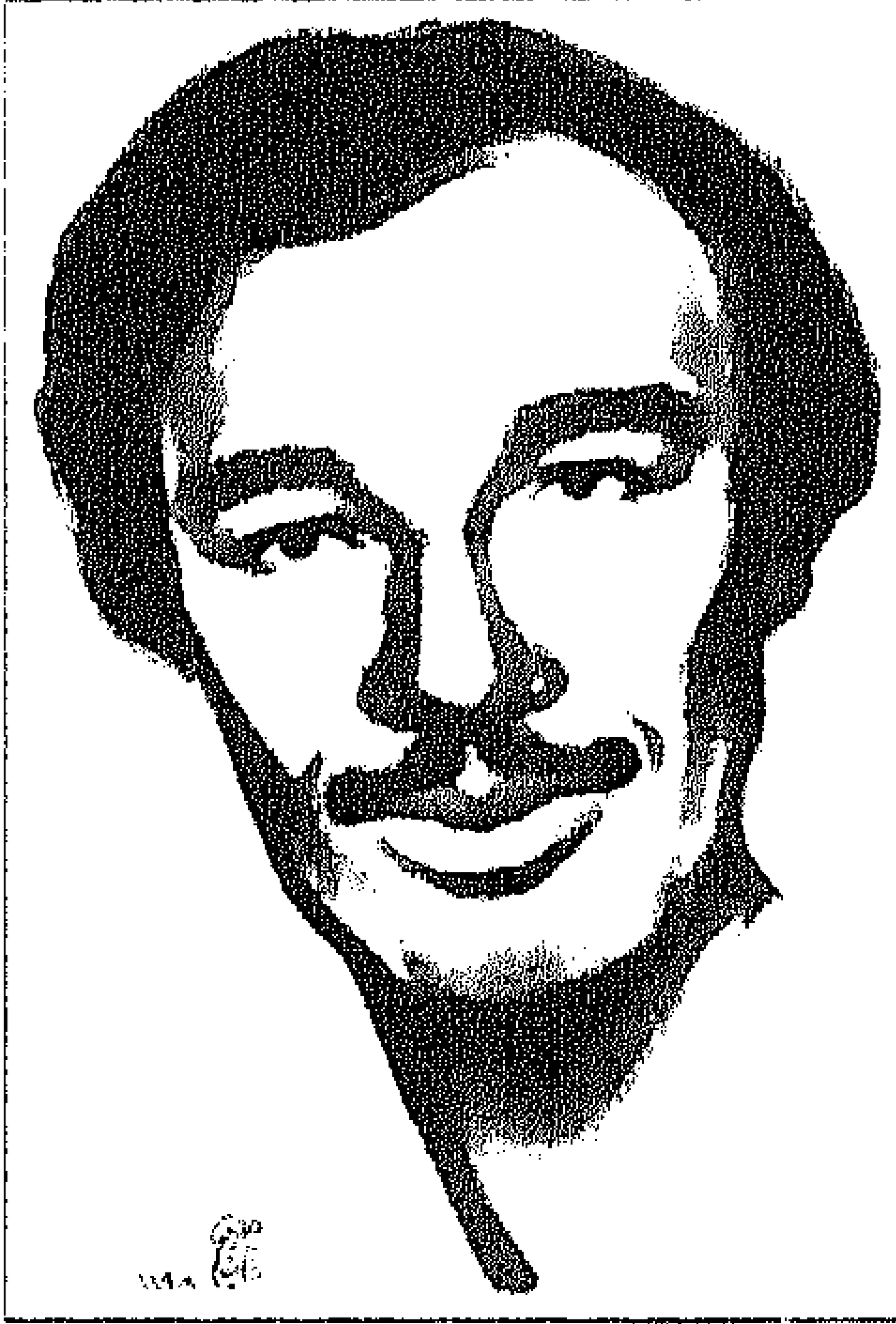
آخر سؤال.. لماذا تركت الكتابة فى مجلة "المصور" فجأة مؤخراً؟

لأن رئيس تحريرها كتب مقالاً استخدم فيه نصاً قرآنياً فى غير محله.. وشبه إسلاميين بأبى لهب وامرأته حمالة الحطب.

وأنا سألت فضيلة المفتى فقال، إن التناص حرام وغير جائز، وضرب لى مثلاً ببيرم التونسى الذى أقدم على هذا التناص فى سبع قصائد له، فلما عرف الحق تبرأ من تلك القصائد، وأوصى أسرته بألا يضعوها فى ديوانه الشعرى، ولكنهم خالفوا وصيته ونشروها.



غضبت لقرآن الله.. فانسحبت من الكتابة فى المصور.. التى دخلتها عام 1965 وقت أن كان رئيس تحريرها الآن رضيعاً.. وسأظل أغضب فى الله ولله مهما كان الثمن والعواقب.



هل كان أمل دنقل ملحداً ؟!

يرفض أمل دنقل أن يموت..

تتأبى سيرته على النسيان.. تتمرد أشعاره على الفناء.. يزداد حضوراً بتعاقب سنين الغياب.. يظل الأمير المتوج لكل شعراء الرفض والتمرد.

فى حياته ملأ الدنيا وشغل الناس..

وفى غيابه مازال يشغلهم، ويدهشهم، ويثير الإعجاب.. والغضب. عاد أمل دنقل فى ذكراه ليفرض اسمه وذكره وحضوره. مرت ذكرى الرحيل السادسة والعشرون فى 21 مايو الماضى، وأطلت ذكرى الميلاد برأسها (23 يونيو) ليطل معهما صاحبهما عاصفاً ساطعاً، وكأنه لا يزال فى عنفوانه منشداً متحدياً:

سيدى.. نحن انزلقنا من ظهور الأمهات بيد تضغط ثقب الجُرح والأخرى على حرف الزناد

إنه موسم الهجوم على أمل دنقل..

أما الهجوم فقد اعتاد عليه وألفه وسخر منه واستهان به ، لذلك لم يتوقف أحد كثيراً عند حملة الهجوم الساحقة الماحقة التى قادها مؤخراً شاعر من جيله، كتب سلسلة مقالات فى جريدة يومية، يحط فيها من قيمة أمل وقيمته، ويغمز ويلمز، ويعرض ويلمح، ويكيل له أوصافاً قاسية من قبيل الشمس السوداء والرجل الأسفلت، والصعيدى اللاجئ ، واتهامات أبشع من قبيل ضآلة الثقافة وضحالتها، بدليل هروبه من كتابة النثر حتى لا تنفضح سطحيته وكأن الشعر لا يفضح الثقافة ويعريها «راجع مقالات عبدالمنعم رمضان فى روزاليوسف اليومية مؤخراً»

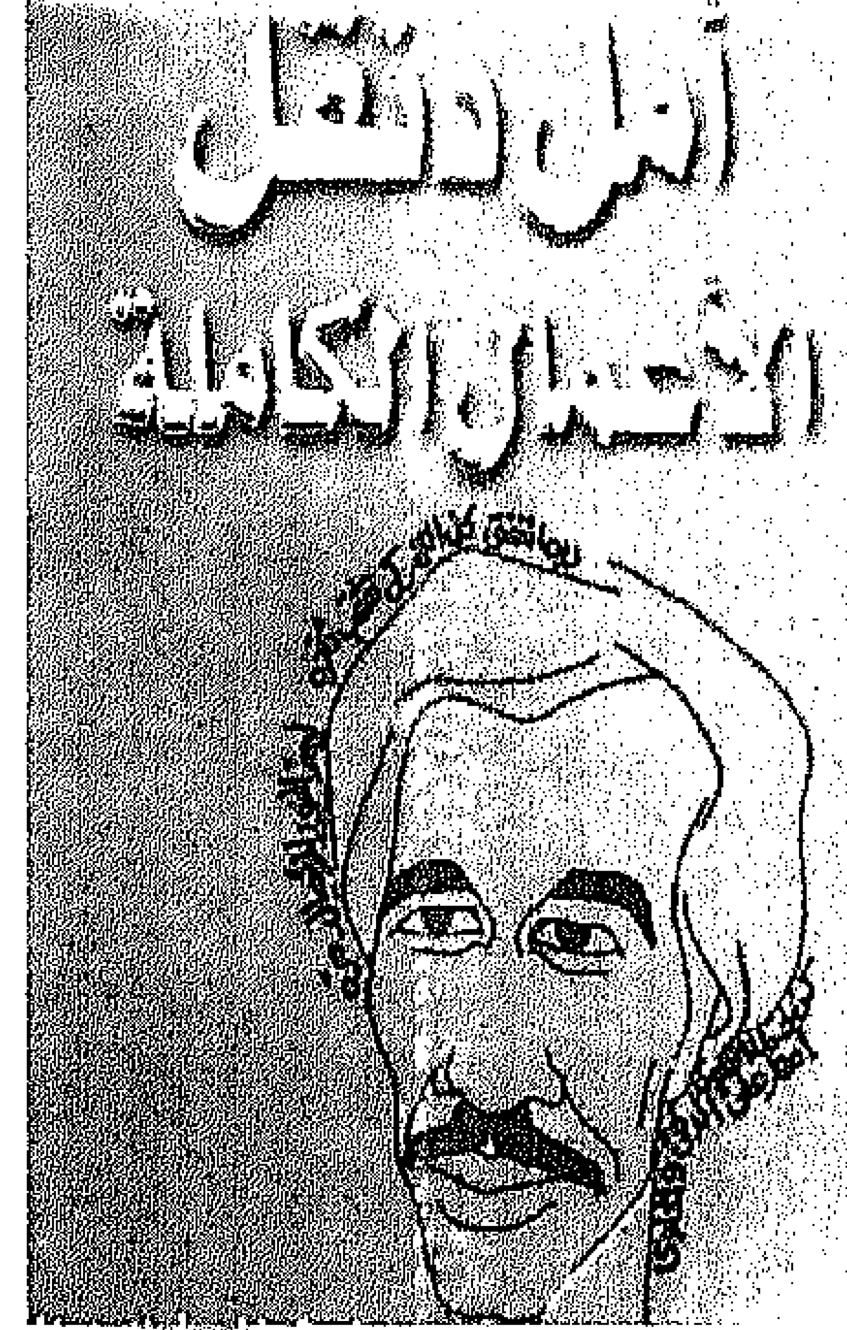
كناطح صخرة يوماً ليوهنها..

لا تختلف النتيجة كثيراً فى حالة الهجوم على أمل دنقل ، بل إن هذا الهجوم يزيده ألقاً وحضوراً، يكاد يصل به إلى حد

نشر بمجلة الاذاعة والتليفزيون فى 19 يونيو 2010

الأسطورة.

لكن الذى ليس عاديا ولا طبيعيا أن تجد من يطعن أمل فى عقيدته وليس موهبته.. فى دينه وليس ثقافته، لأكثر من مرة فى حوارات معى تردد الناقدة الشهيرة والكاتبة الكبيرة، صافى ناز كاظم موقفها من عقيدة أمل، وفى آخر تلك الحوارات قالت بصريح العبارة، إن الشاعر الكبير كان «لا دينيا» قالتها بحكم القرب الشخصى منه، ومعرفتها الوثيقة به، وبحكم دراستها العميقة لشعره وكلها أمور تؤكد وتدل على وجهة نظرها، وهى باختصار أن الشاعر المتوهج كان ملحداً.. أليس هو القائل فى شعره على رؤوس الأشهاد: خصومة قلبى مع الله.. وليس سواه؟! تهمة شنيعة أطلقتها كاتبة معروفة، تعرف أن شهادتها عن أمل ستثير عاصفة وجدلاً وغضباً وصدمة، خاصة للذين عرفوه وأحبوه وقدروه وأنزلوه فى القلوب أميراً من أمراء الشعر المتوجين.



من بين هؤلاء المحبين الكبار لأمل، العارفين بفضله المرتبطين معه بصداقة عمر، ناقدنا الكبير د.جابر عصفور الذى حاول أن يدافع عن أمل بطريقته العقلانية المنطقية المرتبة:

«شوف.. ده كلام فارغ واتهام باطل.. الذين يشككون فى إيمان أمل وإسلامه ويطعنون فى عقيدته يستندون إلى قصيدتين له ويتصيدون أبياتاً منها، يرون فيها إلحاداً وتطاولاً بسبب قراءتهم الجاهلة للشعر، وتفسيرهم للأدب بمنطق الدين لا الإبداع

أما الموضع الأول الذى يقصده د.جابر عصفور فهو تلك الأبيات الشهيرة من مفتتح قصيدة «كلمات سبارتاكوس الأخيرة» والتى يقول فيها أمل دنقل:



المجد للشيطان معبود الرياح
من قال «لا» فى وجه من قالوا نعم
من علم الإنسان تمزيق العدم
من قال لا فلم يمت
وظل روحاً عبقرية الألم

ويعلق د.جابر عصفور: هذا كلام لايدل على إلحاد أو عدم إيمان بل يدل على ثورة نفسية هائلة وأسئلة حائرة، أو قل حيرة كبرى كتلك التى اعتملت فى نفس آدم أبو البشر عندما واجه خالقه بتلك الحيرة التى استبدت به: لماذا خلقه الله من مادة وضيعة كالطين وخلق إبليس من مادة متوهجة كالنار؟

فهل كان آدم فى ذلك الوقت ملحداً «ولا دينيا»؟ معاذ الله.

وأذكر د.جابر عصفور مازال يتكلم. عندما أصدرنا مختارات من شعر أمل ضمن سلسلة كتب للجميع، والتى تصدر مجاناً برعاية عدد من كبريات الصحف على امتداد العالم العربى، فإن أغلب الصحف الخليجية المشاركة فى السلسلة حذفت هذا المقطع

من شعر أمل خوفا من التيارات السلفية. وانسياقا وراء هذا التفسير الجاهل لشعر أمل.. أنا نفسى عندما كتب هذه القصيدة راجعته فى هذا المقطع لإدراكى أنه سيثير عليه غضب الجهلة والمتعصبين وقلت له مداعباً:

يا أخى بلاش المجد للشيطان دى.. ما تقول المجد للإنسان!

فرفض بحسم وحزم وصمم على موقفه مؤكداً أن المعانى التى يقصدها تنتفى تماماً بهذا التغيير.. لقد كان رحمه الله عنيداً كالصخر متمرداً بطبعه وكان هذا التمرد يجنح به ويجمح ويدخله فى صدامات ومعارك وخصومات لا تنتهى.

أما المقطع الثانى من شعر أمل ، والذى يقدمه الطاعنون فى إيمانه دليلاً وبرهاناً فهو الواقع فى متن قصيدته «مراثى اليمامة» وفيه يقول:

خصومة قلبى مع الله.. ليس سواه
كليب يموت
ككلب فى الفلاه
ويعود فى القصيدة نفسها ليكرر المعنى والصدمة:
خصومة قلبى مع الله ليس سواه
أبى أخذ الملك سيفاً لسيف
فهل يؤخذ الملك منه اغتيالا
وقد كللته يد الله بالتاج


د. عصفور

ويعلق د.جابر عصفور: الكلام فى القصيدة يأتى على لسان «اليمامة» ابنة كليب قتيل ملحمة داحس والغبراء.. ابنة مكلومة وثائرة على مقتل أبيها غدراً ، وفى تلك الثورة وذلك الغضب ، لا تجد إلا الله توجه إليه هذه الثورة وتعاتب القدر الذى قضى على أبيها بتلك النهاية الفاجعة ولكن أن تأخذ هذا المقطع من شعر أمل وتفسره بذلك المنطق الدينى الجاهل فهذا سخف ما بعده سخف.

وبحدة يواصل د.جابر:

لا أحد يستطيع أن يدخل فى قلبك ويفتش فيه ويحكم عليك بالإيمان أو الكفر. الإسلام نفسه يرفض هذا الحكم القاطع على عقائد الناس. لا يعلم ما فى القلوب إلا ربها. فقهاء الإسلام الكبار أجمعوا على ذلك ومن أقوالهم المأثورة: إذا ورد قول عن قائل يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها ويحتمل الإيمان من وجه واحد فإنه يحمل على وجه الإيمان ولا يحمل على الكفر.

هذه هى سماحة الإسلام وعدله ومنطقه الذى لا يعرفه أصحاب العقول المريضة.

ليس أمل دنقل وحده الذى تعرض للأذى وللطعن فى عقيدته.. أصحاب العقول المريضة موجودون فى كل زمان يطاردون المبدعين بجهلهم ورؤيتهم الضيقة المحدودة.

أبو العلاء المعرى فى زمانه تعرض لهذه المحنة فكفروه وطعنوه

فى دينه فرد عليهم بعنف وعرى جهلهم وفضح زيفهم فى كتاب له سماه «زجر النابح» معتبرا أن ما يقولونه عنه مجرد «هوهوة» كلاب.

يواصل د.جابر: يا أخى القرآن نفسه حمال أوجه ويمكن أن تقع فى الشرك إذا فسرته بذلك المنطق الدينى المباشر القاصر.. مثلا قوله تعالى فى سورة الضحى «ما ودعك ربك وما قلى» فهل معنى الآية أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يشكك فى تخلى ربه عنه؟ معاذ الله أن نقول أن محمدا تسرب إلى نفسه عدم يقين وعدم ثقة فى مولاه عز وجل.. أصحاب العقول الضيقة هم وحدهم الذين يسيئون للإسلام وهم يظنون أنهم يدافعون عنه.

ويتذكر د.جابر هذه الواقعة:

فى محنة المرض كنت دائم التردد على أمل دنقل فى غرفته بالمستشفى، وأشهد أننى لم أصادف فى حياتى واحداً من الناس فى قوة هذا الرجل ويقينه وشجاعته فى مواجهة الموت.. وقبل رحيله بيومين دخلت عليه فى غرفته فوجدت عنده شقيقه وزوجته عبلة فى حالة انهيار.. دموع صامتة كانت تسيل على وجهيهما، فى حين كان أمل متماسكا صلبا لما رآنى نظر إلى عبلة وإلى شقيقه وقال بحسم:



الابنودي

اطلعوا بره.. عايز جابر لوحده

ولما انفرد بى قال بنفس الحسم:

اسمعنى كويس.. أولاً بطل الرومانتيكيت اللى أنت عايش فيها دى.. ثانياً: ارفع طرف المرتبة اللى أنا نايم عليها هتلاقى رزمة فلوس.. هاتها!

وفعلاً عثرت على رزمة فلوس فحملتها بين يدى وقلت له:

ـ خير.. عايز تعمل إيه بالفلوس دى؟

ـ اسمع.. أنا هموت بعد بكرة.. و

ـ «قاطعته»: إنت بتقول إيه؟

ـ إسمع اللى بقوله لك وبطل الرومانتيكيات بتاعتك دى.. الفلوس دى خليها معاك لما أموت بعد بكرة تاخد كل أصحابى وتحجز لهم تذاكر طيران، وتسافروا على قنا وتدفنونى فى مقبرة أبويا.. وأوعى تخلى حد يدفع مليم من جيبه.. الرحلة كلها على حسابى!

وبالفعل توفى أمل بعد يومين كما حدد.. شىء مذهل.

وأخذت الفلوس وذهبت لأحجز تذاكر طيران لكل الرفاق الذين قرروا أن يصاحبوه إلى مسقط رأس أمل فى قرية «القلعة» ليدفنوه كما أوصى، وقابلت الشاعر الكبير عبدالرحمن الأبنودى صديق أمل ورفيقه وعشرة عمره وبلدياته وأصر الأبنودى على أن يتحمل نفقات السفر ويدفع ثمن التذاكر من جيبه، ولكنى رفضت فغضب الأبنودى بشدة، وكادت تحدث أزمة

لولا تدخل صديقنا الناقد د.عبدالمحسن طه بدر الذى أقنع الأبنودى بأن ما أفعله هو وصية أمل. ووصية المتوفى واجبة النفاذ.

أعود فأقول إن أمل دنقل كان مسلماً لا سبيل إلى التشكيك فى عقيدته وما ذكرته صافى ناز كاظم . كلام لا يصح أن يخرج من ناقدة إسلامية . كان ينبغى أن تحسب كلامها وتتدبره وهى ترمى إنساناً بالكفر بغير دليل ولا برهان . ما أذكره أن أمل كان أحياناً يناوشها ويستفذها ويوجه إليها أسئلة فى الدين بأسلوبه الذى لا يعرف التزويق.. ولكن هذا كله لا يمنحها الحق فى أن ترميه بالإلحاد.. وهو أمر لو تعلمون عظيم.



القرآن مرجعه

لم تكن عبلة الروينى الكاتبة والأديبة وزوجة أمل ورفيقته وأقرب البشر إليه أقل غضباً من د.جابر وهى ترد عن زوجها الغائب تلك التهمة المرعبة .. قالت:

1 - الإيمان أمر خاص جداً بين الإنسان وربه، يستحيل أن يكون هناك طرف آخر فيه.. وبحكم انتمائى لأمل وقربى اللصيق منه لم يحدث أن ضبطته متلبساً بكلمة إلحاد ، بل أشهد أنه قبل أن يدخل غرفة العمليات أمامى نطق بالشهادتين بصوت واضح وقاطع وعميق.

2 - كيف يلحد من كانت له تربية أمل وثقافته الإسلامية العميقة والتى تجلت فى شعره ومفرداته.. كان يحكى لى عن التربية الملتزمة التى عاشها طفلا.. وعن صعوده للمنبر صبياً ليلقى خطبة الجمعة.. وعن الأثر العميق الذى تركه القرآن فى نفسه.. القرآن الذى قال لى مراراً إنه الكتاب الأساسى والجوهرى الذى شكل نفسه فكرياً وجمالياً.. تأمله وهو يقول:


عبلة

اركضى أو قفى الان.. أيتها الخيل
لست المغيرات صبحاً
ولا العاديات - كما قيل - ضبحا
أو وهو يقول:
تفردت وحدك بالسير
إن اليمين لفى الخسر
أما اليسار ففى العسر
إلا الذين يماشون

أو قصائده المرتكزة على التراث الإسلامى التى أعاد فيها قراءة الموروث الدينى بطريقته ورؤيته مقابلة خاصة مع ابن نوح ..، مثلاً إنه يقدم فيها رؤية جديدة ومبتكرة ومتعاطفة مع هذا الابن الذى تحدى الطوفان وتشبث بالوطن. رؤية لا ينبغى أن

نحاسبه عليها دينيا . إنما إبداعيا وجماليا حتى قصيدته الصدمة . المجد للشيطان معبود الرياح.. من قال إنه يقصد الشيطان بمعناه الحرفى المباشر ، من قال إنه إبليس ، من الوارد جدا أن يكون شخصية فنية أخرى مختلفة يوظفها إبداعيا لينقل لنا حالة التمرد التى يقصدها .. تمرد عاشه أمل نفسه واقعيا بكل عنفوانه وصدقه.

3- فى حواراته كان أمل يفتخر بخلفيته الثقافية العربية الإسلامية . ولكن كان ضد الرجعية الدينية منذ صغره ، فى واحد من أحاديثه الصحفية النادرة يقول: قبل حضورى للقاهرة كنت أكتب الشعر فى قريتى ضد خطباء المساجد، و السبب أننى كنت منضما للطريقة البرهامية الصوفية طريقة إبراهيم الدسوقى، كنت متدينا جدا وأصلى الفجر حاضرا لكن كنت ألاقى الخطيب يقول نفس الكلام كان يقرأ الخطبة من ورقة . وعرفت أن عنده كتابا اسمه الجواهر النترية فى الخطب المنبرية يعيده كل سنة . وعندما قرر أحد شباب القرية أن يحل محله كتب خطبة طويلة عن تحريم لبس الحرير والتزين بخواتم الذهب والتنديد بسير النساء كاسيات عاريات.. فكتبت قصيدة فى نقد ما سميته بانقسام الوعظ الدينى عن حياة الناس «كتاب أحاديث أمل دنقل إعداد شقيقه أنس دنقل».



ومع ذلك ظلت علاقة أمل بالقرآن قوية ، صحيح أنه لم يكن يمارس الشعائر الدينية وطقوسها وهناك آلاف من المسلمين غيره كذلك، لكن لا يستطيع أحد أن يحكم عليهم بالإلحاد.. هذه مسألة يحاسبهم عليها الله وحده وليس عبدا من عباده.



4- طوال فترة زواجى من أمل لم أشاهد صافى ناز كاظم معه.. كانت قد سافرت إلى العراق واستقرت بها، ظلت علاقتهما مقطوعة سنوات طويلة حتى فترة علاجه الطويلة فى المستشفى ، وكنت بجانبه يوميا لم تزره صافى ناز فيها ولا مرة.. رغم أنها كانت قد عادت من العراق فى آخر عامين من حياة أمل.. ولا أعرف لماذا تطلق عليه تلك التهمة المرعبة الآن؟!.



د. محمد سليم العوا:

فرضت على بناتى قراءة روايات إحسان عبدالقدوس!





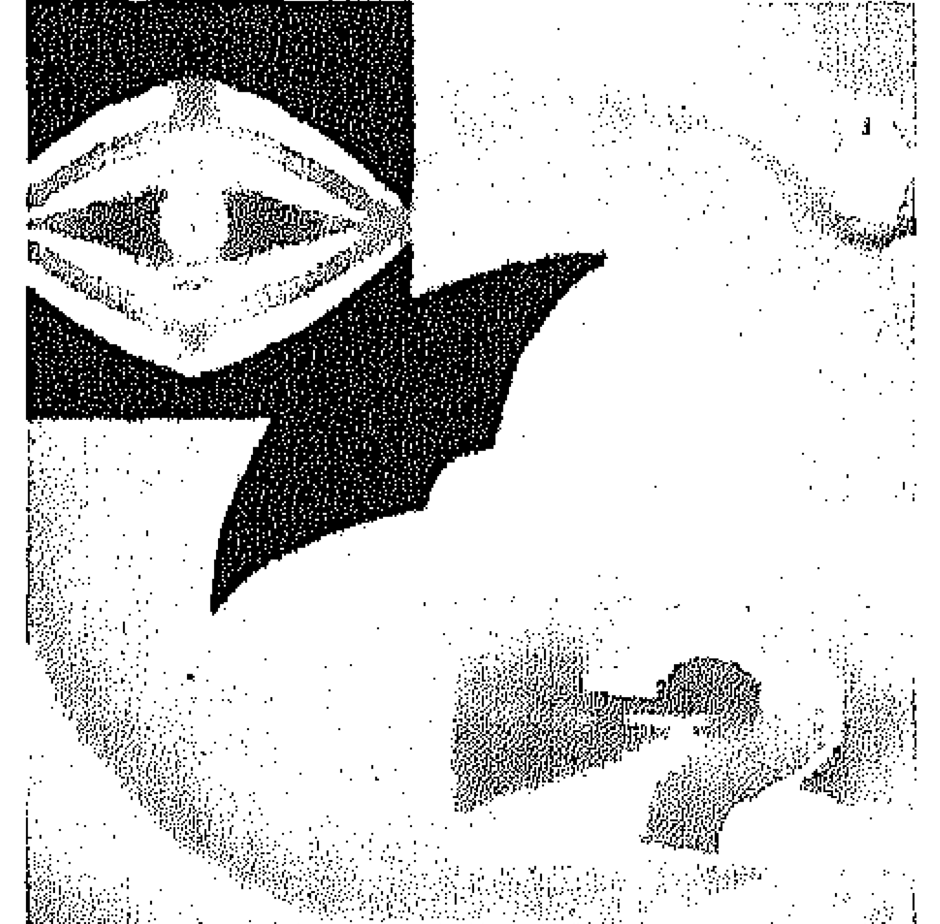
انتصر القضاء لحرية الإبداع، وحكم بحفظ البلاغ الذى قدمه نفر من تيار التشدد، يطالبون فيه بمصادرة «ألف ليلة وليلة» على اعتبار أنها عمل يدعو إلى الفسق والفجور، ويمتلئ بألفاظ وعبارات جارحة خادشة لأخلاق المجتمع وعفته. حسم القضاء القضية ولكنه لم يحسم الجدل الذى ثار حولها وبسببها. كثيرون من الجماعة الثقافية شعروا بفزع حقيقى، لم يستوعبوا ما حدث. لم يتصوروا أن المجتمع المصرى الذى سمح بنشر كتاب «لماذا أنا ملحد» لإسماعيل أدهم، دون أن يكفره أو يسجنه، وسمح بنشر «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ على حلقات فى جريدة الدولة الرسمية والأوسع انتشاراً وتأثيراً، وسمح لطلبة كلية الفنون الجميلة فى الستينيات باستخدام الموديل العارى، ولم يندهش من خروج بنات كبار المشايخ سافرات مسدلات الشعور، وراجت حالة من التسامح الدينى والإبداعى نتج عنها نهضة فكرية وإبداعية واجتماعية هائلة.. هذا المجتمع نفسه هو الآن الذى يصرخ بمصادرة «ألف ليلة وليلة» ويطالب برأس شاعر بسبب قصيدة، ويطعن فى دين نجيب محفوظ ويغمز ويلمز بأنه نال نوبل ليس لموهبة جبارة، وإنما لأنه أراد هدم الدين وتقويض أركانه والإساءة إلى أنبيائه وإماتة «الإله»!

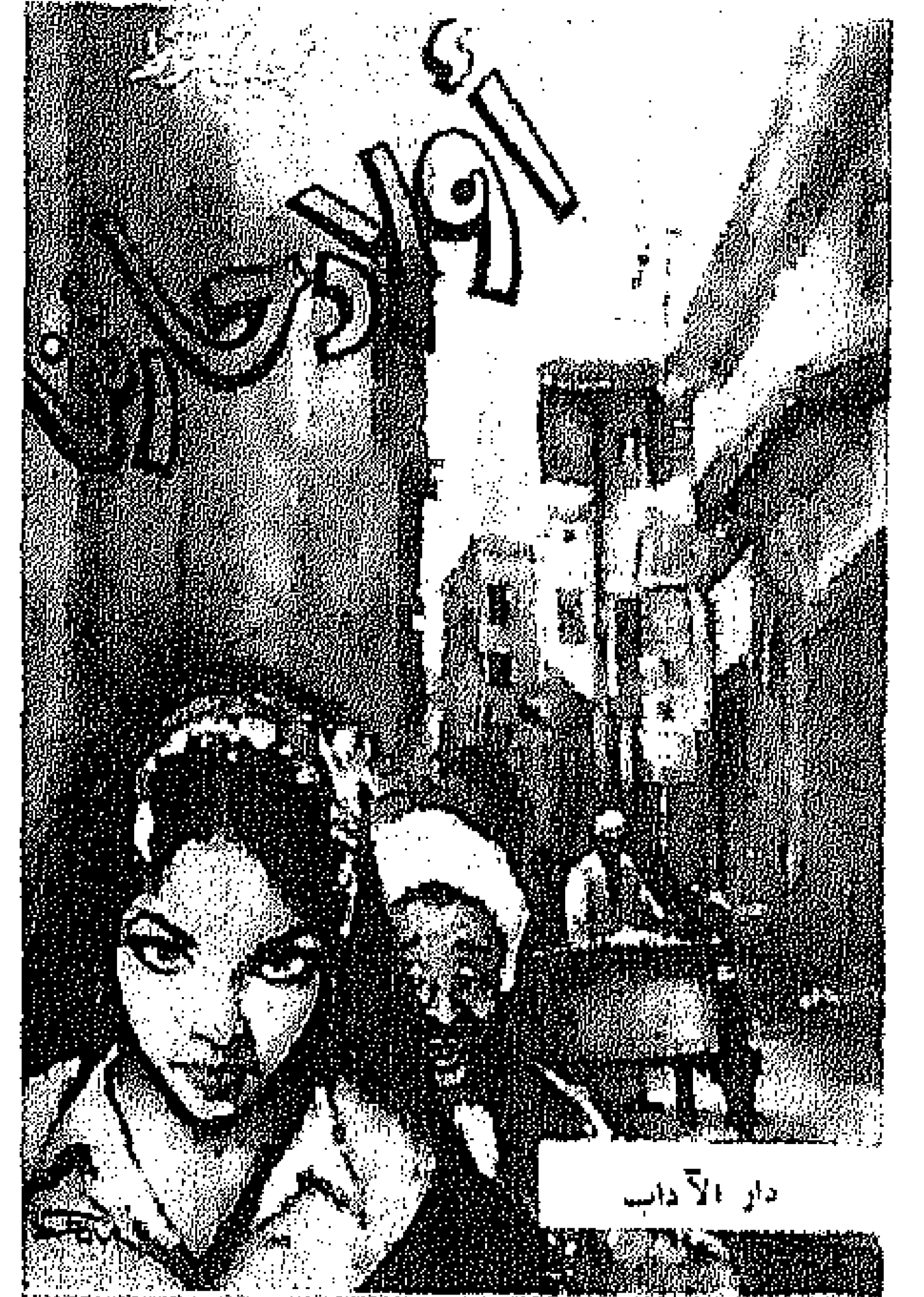
كل هذه الشواهد بدت قاطعة الدلالة على تراجع مذهل فى الفكر المصرى، وتشى بردة حضارية مزعجة، لا تتفق مع الشوط الطويل الذى قطعه المجتمع فى طريق الاستنارة، وتحتاج بالتأكيد لمن يقف عندها ويحللها ويفسرها ويتتبع جذورها، وعلقت المهمة فى رقبة عالم جليل مشهود له بالعلم والفضل والاستنارة، وفوق ذلك فإن اسمه يسبقه هذا اللقب المهيب: الأمين

نشر بمجلة الاذاعة والتليفزيون فى 3 يوليو 2010

العام للاتحاد العالمى لعلماء المسلمين وهو منصب يجعل كل كلمة تخرج منه محسوبة مدققة موزونة بميزان الذهب.

فى الإسكندرية، وفى إطار فعاليات مؤتمر «التواصل التراثى» الذى استضافته مكتبة الإسكندرية مؤخراً ونظمه مركز المخطوطات برئاسة الأديب د.يوسف زيدان أتيح لى أن ألتقى د.محمد سليم العوا على امتداد أيام المؤتمر الخمسة، وكان من أبرز حضوره حيوية ومشاركة وفاعلية.. بدا د.العوا مستفزا على قسماته علامات الغضب وهو يعلق على الدعوى التى أقامها بعض المحسوبين على التيار الإسلامى لمصادرة ألف ليلة وليلة وارتفع صوته: «هذا جهل.. إنها دعوى تسىء إلى الإسلام ولا تخدمه.. وأنا أرفضها ولا أتفق مع أصحابها أبداً».





• قلت له: هذه ليست الدعوى الأولى التى يظهر منها أن الإسلام يقف فى خندق معاد للفن والإبداع.. كثرت هذه الدعاوى وزادت فى السنوات الأخيرة لدرجة..

قاطعنى: هذه الدعاوى تدل على أن أصحابها هم الذين ضد الفن والإبداع وليس الإسلام، هؤلاء ليسوا حجة على الإسلام ولا يمثلونه. حتى ولو ادعوا ذلك، كل يدعى وصلا بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا.

• اشرح لى إذن مفهوم الإسلام للفن والإبداع..

ـ أولاً السؤال فى غير موضعه، لا يصح أن يقال ما هو مفهوم الإسلام للإبداع والفن، لأن الفن والإبداع إنتاج بشرى.. ومن حق كل إنسان أن يقرر الفن والإبداع كما يراه، وبعد ذلك يحكم الإسلام ما إذا كان هذا الإنتاج البشرى من أدب وموسيقى ورسم وفنى ونحت يتفق مع قواعد الإسلام أو لا يتفق.

• معنى ذلك أن هناك إبداعا لا يتفق مع قواعد الإسلام؟

ـ شوف.. الأصل فى التشريع الإسلامى هو الإباحة.. الممنوعات قليلة جداً.. وعندما تسألنى عن الممنوعات فى الإبداع، أستطيع أن أحددها لك فى الآتى:

1 ـ محاولة مضاهاة خلق الله.. يعنى واحد مثال يقول لى سأصنع تمثالاً لإنسان لا يختلف عما خلق الله.. والمبدع الموهوب يركبه الغرور والكبر أحياناً، وفى كتب التراث أن الإمام القرافى صنع ديكا ملون العينين، كانت حدقته تتغير وتأخذ لونا معينا مع كل صلاة، وكان يعجب أحياناً من صنعته ويقول: قدرت على تغيير عيون الديك وإنزالها وإصعادها، ولكن عجزت عن صنعة الكلام، ثم يستغفر الله ويقول لايقدر على صنعة الكلام إلا الله.. المضاهاة لخلق الله إذن ممنوعة لأنها تؤدى إلى الشرك.

2 ـ الاستهزاء بالله وبالأديان وبالإنسان.. فكل فن وإبداع ينطوى على استهزاء بالخالق عز وجل وأنبيائه وبديع صنعه وهو الإنسان فهو إبداع باطل ومرفوض ومحرم.

3 ـ الإبداع الذى يثير الفتن.. يعنى لما أعمل مسرحية اسمها «كنت أعمى والآن أبصر» تحكى عن شاب مسلم تنصر وتطعن فى

الإسلام وفى القرآن.. فهذا ليس فناً.

• لم تضع بين الممنوعات الإبداعية والفنية تجسيد شخصيات الأنبياء والصحابة على الشاشة.. فهل لا تعدها من الممنوعات؟

- لاتوجد دولة إسلامية تبيح تجسيد الصحابة فى الدراما والرسم غير إيران.. نحن نمنع هذا الأمر من باب التوقير والتبجيل لأصحاب النبى ولأنبياء الله، ألا يمثل شخوصهم فنان يؤخذ عنه وعليه أشياء ويقع فى أخطاء فتنطبع فى ذهن المتلقى أن صورة هذا النبى هى صورة هذا المخطئ وصورة هذا الصحابى هى صورة هذا العاصى.. وفى الحالة الإيرانية فإنهم يبيحون الرسم للشخصيات المقدسة إسلامياً، وهدفهم من ذلك إكبار وإجلال هذه الشخصيات فى نفوس الشباب، خاصة أن صورهم المتداولة فيها قوة وفحولة.. يرسمونها رسماً مؤشراً لإحداث نفس التأثير الذى نريد إحداثه بالمنع.. نحن نريد بالمنع زيادة التوقير لهذه الشخصيات المقدسة، وهم يستخدمون الرسم للهدف نفسه.. ولكن الثابت والراسخ بين علماء المسلمين أنه لا يجوز تجسيد شخوص الأنبياء وصحابة النبى، خاصة العشرة المبشرين بالجنة .. والأزهر ثابت على هذه الفتوى منذ أن بدأ فن التمثيل والسينما وحتى اليوم.

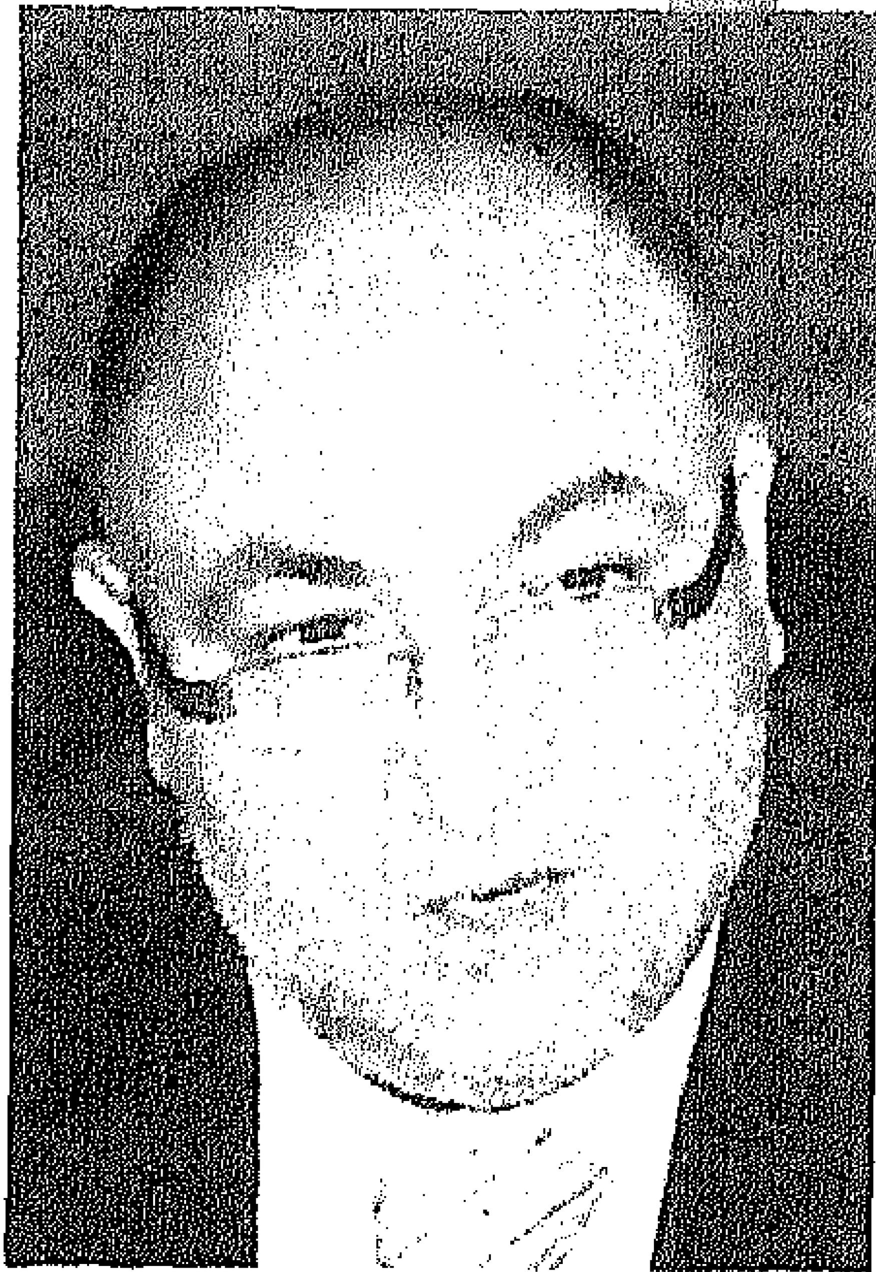
• ولكن الأمر يتحول أحيانا إلى رقابة دينية على الإبداع.. بدليل تدخل المؤسسة الدينية لمنع فيلمى «الرسالة» و«المهاجر»؟

- المسألة كلها اجتهادية.. أنا رأيى الشخصى أنه لا يجوز تصوير الأنبياء والصحابة فى الأعمال الفنية والإبداعية لا تليفزيون ولا سينما ولا فن تشكيلى، خشية أن تنطبع صورة خاطئة عنهم فى نفوس الناس، وبتأثير من يتولون رسم هذه الشخصية.

وبالنسبة لفيلم «الرسالة» فقد شاهدته لأول مرة فى إنجلترا وكنت أعيش يومها فى لندن مع أسرتى.. وأتيح لى مشاهدته مرتين وبشكل عام هو فيلم جيد، ولكن ملاحظتى الأساسية عليه ، أنه يبدو وكأنه يرصد قصة حياة حمزة بن عبدالمطلب وليس قصة الدعوة الإسلامية ، لأن أحداثه تنتهى تقريباً باستشهاد حمزة ، والطبيعى أن تستمر الأحداث لحين وفاة النبى بعده بتسع سنوات.

• ولكن هذا ليس مبررا لمنعه من العرض بقرار من مجمع البحوث الإسلامية؟

- لا أعرف مبررات منعه.. ولك أن تسأل مجمع البحوث.. عن نفسى لا أرى فيه شيئاً يسوغ المنع.. أما فيلم «المهاجر» ليوسف شاهين فلم أشاهده حتى الآن ولا يمكننى أن أحكم عليه، وما إذا كان يتعرض لسيرة نبى الله يوسف من عدمه.



الشيخ الجندى

• الشيخ خالد الجندى يطالب بشكل علنى بفرض رقابة دينية على الإبداع.. ويرى أن المبدعين يشطون ويتجاوزون ويخرجون على قواعد الدين.. بدليل قصيدة الشاعر حلمى سالم التى اتهم بسببها بسب الذات الإلهية.. هل ترى ضرورة

لفرض هذه الرقابة؟

- لا.. أنا ضد فرض رقابة أو وصاية على الإبداع.. لما مبدع يشط أو ينحرف نرده إلى الصواب.. كل الناس تصيبها حالة من الشطط أو النزق ، حتى أنا أتعرض لها وأمر بها.. ولكن هذا ليس مبرراً لفرض الرقابة.. أنا ضد فرض رقابة مسبقة على أى عمل بشرى وضد أن يتحول الأزهر إلى جهة رقابية.

• ولكن الأزهر يمارس هذه الرقابة أحياناً.. ويمنع ويجيز ويتدخل؟

- طبقاً للقانون 103 لسنة 1961 فإن الأزهر يقوم بإبداء الرأى فقط، وليس من سلطاته الرقابة أو المنع.. العمل الوحيد الذى يتولى الأزهر مراقبته بشكل مباشر وصريح ، هو طباعة المصحف الشريف ، خشية أن يتعرض للتحريف.. ما عدا ذلك فإن الأزهر لا يفرض رقابة على أحد، أحياناً ترسل إليه جهات من الدولة كوزارة الثقافة أو الإعلام أو جهات أمنية أعمالاً تطلب فيها الرأى الشرعى.

• على أى أساس يبدى الأزهر رأيا فى عمل أدبى أو إبداعى.. ألا ترى أن التفسير الدينى للإبداع مسألة خطرة جداً؟

- أنا ضد التفسير الدينى للإبداع.. وأذكر أنه لما حدثت أزمة قصيدة «أنا يوسف يا أبى» لمحمود درويش ، التى غناها مارسيل خليفة وقدم بسببها إلى المحاكمة بدعوى أنه استباح آيات القرآن بغنائها ، وكانت القصيدة تحتوى على تعبيرات قرآنية من سورة يوسف.. يومها كتبت مقالاً مطولاً عنوانه «خطيئة مارسيل خليفة وهم أم حقيقة» برأت فيها ساحته قانوناً وشرعاً، واستخدمت المقالة فى الدفاع عنه فى المحكمة، وكانت من أسباب حصوله على حكم البراءة.

• وقصيدة حلمى سالم؟

- صدقنى لم أقرأها حتى الآن.. وقد بحثت عن عدد من مجلة إبداع التى نشرت القصيدة فلم أوفق فى الحصول عليه.. بل حاولت أن أحصل على العدد من المحكمة بعد مصادرته، وطلبت من كاتب المحكمة تصوير القصيدة ولم يفعل حتى الآن.



• لماذا اختفى التسامح الذى كان عليه المجتمع المصرى مع الفن والإبداع فى سنوات الستينيات.. كليات الفنون الجميلة مثلا كانت تسمح وقتها بالموديل العارى؟

- الموديل العارى ليس فناً ولا إبداعاً.. ده قلة أدب يعنى إحنا أخدنا حكاية الموديل العارى ده من الفرنسيين وقعدنا متمسكين به، وشايفين إنه شىء مقدس للفنان.. ولو فتشت فى الأمر بشكل علمى لاكتشفت أن الهدف الأساسى منه تعليم طالب الفنون حفظ النسب فى الجسم البشرى كما أبدعه رب العالمين، وهو أمر لا يحتاج إلى موديل عارى، ويمكن الاستعاضة عنه بنماذج بلاستيكية أو طينية، أو الرسومات التوضيحية فى كتب التشريح وهى متاحة ومتوافرة ، إنما اللى شايف أن الموديل العارى دليل

تقدم حضارى فهذا يحاسب على قدر عقله.

• هذا المجتمع أيضا هو الذى سمح لنجيب محفوظ بنشر رواية «أولاد حارتنا» فى الأهرام؟

- المجتمع المصرى فى الستينيات الذى تراه نموذجا رفيعا للتسامح هو الذى منع نشر «أولاد حارتنا» بقرار من عبدالناصر، بعد أن رفعت إليه التقارير الأمنية مؤكدة غضب الشارع والمؤسسة الدينية من الرواية بعد نشر 24 فصلا منها فى الأهرام، وأنا نفسى كنت أتابع نشر الرواية مسلسلة، ولم أقرأها كاملة إلا فى بيروت، وظلت ممنوعة النشر فى مصر حتى وقت قريب، وكنت أحد الذين أسهموا فى نشرها.



• أى إسهام تقصد؟

- كان نجيب محفوظ يرفض نشرها إلا بعد موافقة المؤسسة الدينية ورجالها واشترطت بنات الأستاذ نجيب أن أكتب كلمة أبرئ فيها ساحة الرواية وأقر بأنها ليست ضد الإسلام.. وكتبت كلمة تصدرت غلاف الرواية الأخيرة واحتفى بها ناشرها الأستاذ إبراهيم المعلم.

• على أى أساس برأت ساحة الرواية وصاحبها رغم أن مشايخ كبارا رأوا فيها تجديفا فى الدين وفى سيرة أنبياء الله؟

- تعاملت مع «أولاد حارتنا» على أنها مجرد رواية والكلام فى الرواية بالرمز والكناية، وهما لا يتم إقامة الحكم عليهما إلا إذا انتقل صاحبهما إلى التصريح بمعنى الرمز والكناية وهذا لم يقع، ونجيب محفوظ رجل مسلم عاش مسلماً ومات مسلماً وأنا أعرفه عن قرب، رجلاً ككل البشر له أخطاء وهنات، ولكنها لا تخرجه من الملة وأحاديثه مع محمد سلماوى فى الأهرام تدل على إيمان عميق.

• ربما تكون آراء قالها بعد أن وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبا ودنا الأجل؟

- المسلم من حقه أن يتوب ما دامت روحه فى بدنه ولم يغرغر.. يا أخى صدام حسين مات مسلماً لأنه نطق بالشهادتين وهو على حبل المشنقة.. والنبى يقول، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

• قالت لى الناقدة والكاتبة الكبيرة صافى ناز كاظم إن نجيب محفوظ حصل على نوبل لأنه أمات الإله فى رواية «أولاد حارتنا» وهو ما صادف هوى لدى الغرب العلمانى الملحد؟

- الأستاذة صافى ناز أخت عزيزة وصديقة قديمة وأعتز بمواقفها الإسلامية.. وكلامها عن نجيب محفوظ لم أسمعه من قبل والحكم هنا هو حيثيات منحه الجائزة.. وأنا أرفض طعن الناس فى دينهم.. وأكرر أن نجيب محفوظ عاش مسلماً ومات مسلماً.

• لمن تقرأ من الروائيين غير نجيب محفوظ؟

- أحب جداً كتابات خيرى شلبى.. قرأت للغيطانى كل شغله..

يعجبنى يوسف زيدان فى أعماله الروائية خاصة «عزازيل» و«ظل الأفعى».. رضوى عاشور تفتننى بعالمها الروائى.. لا أستطيع أن أنسى إبداع محمد المخزنجى، وقبل هؤلاء جميعاً إحسان عبدالقدوس.

• غريبة.. أول مرة أسمع مفكراً إسلامياً يشيد بروايات إحسان.. المتهم الأول بنشر الجنس والإباحية؟

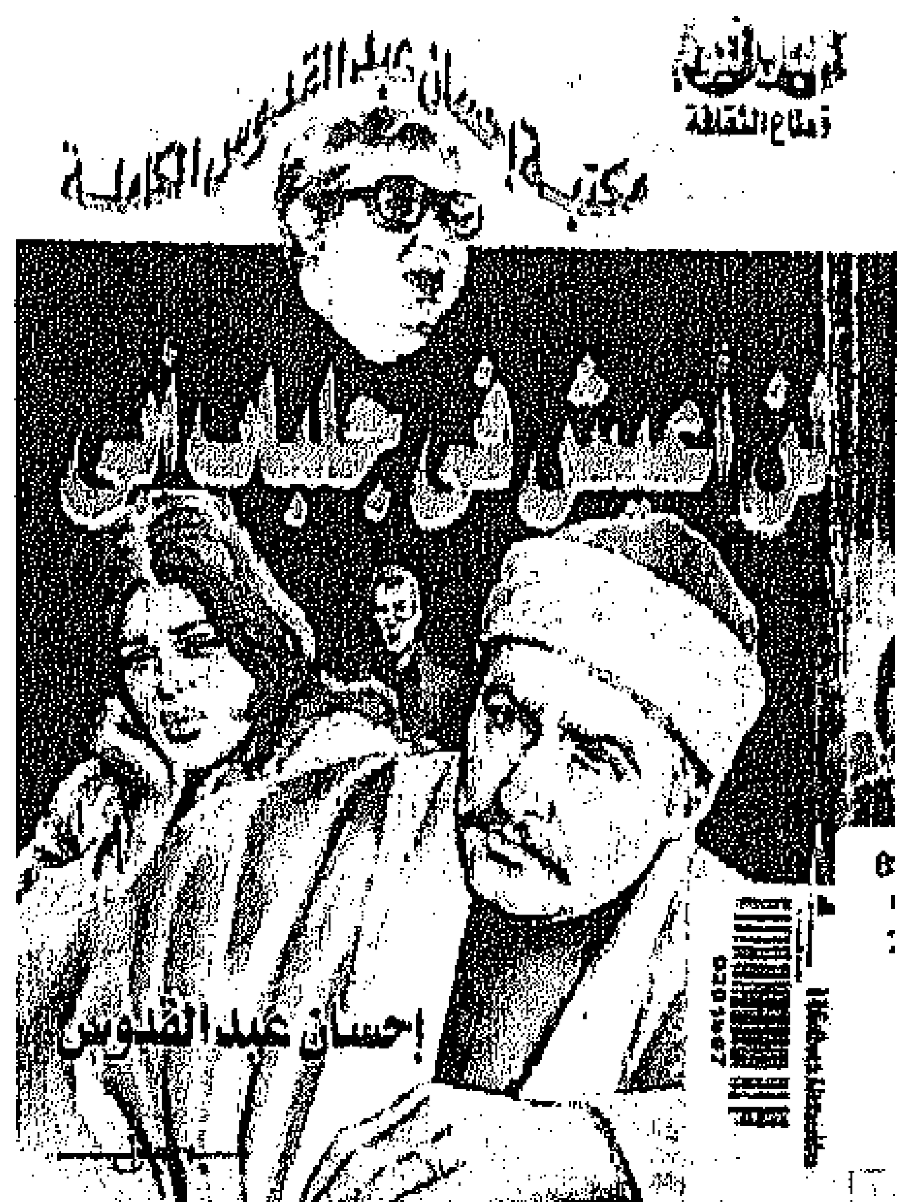


- روايات إحسان أراها فناً فى منتهى الرقى والإبداع وأرفض مقارنتها بما عرف بعد ذلك بتيار الجسد وأدب الفراش، إحسان شئ مختلف، أنا قرأت كل رواياته وطلبت من بناتى قراءتها.... بالمناسبة أنا عندى ثلاث بنات وأطلب من كل من أحبهم قراءتها وفوق الإبداع هى عمل تأريخى واجتماعى مهم لأنها ترصد طبقة كانت موجودة ومهمة فى المجتمع المصرى قبل الثورة ولم نكن نحن أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة نعرف شيئاً عن هذا المجتمع المخملى إلا من خلال روايات إحسان.

لا.. لا.. إحسان مبدع عظيم وأستاذ فى فن القصة والحكى، وأدبه على مستوى هائل من الرقى.. وظلموه كثيراً عندما لم يتوقفوا فى أدبه سوى عند تلك المواقف العاطفية العابرة.

• قرأت عزازيل؟

- طبعاً.. واستفزنى الجدل الدائر حولها، لأنه ليس جدلاً أدبياً ولا فكريا لكن للأسف مجرد تعصب كنسى غير مبرر.. يوسف زيدان قدم عملاً أدبياً ممتعاً ومعتمداً على توثيق تاريخى مدهش للأحداث.. وهو فى النهاية رجل باحث وأديب ومتأمل ومتصوف ويعرف شرف الكلمة وخطرها.. وهو لم يجدف فى عقائد الآخرين، ولا يطالب أحداً بتغيير ملته.



• أخذوا عليه أنه قدم بعض آباء الكنيسة فى صورة لا تليق فلا يصح أن يكتب عن غراميات رجل دين مسيحى؟

- يا أخى التوراة مليئة بقصص جنسية عن أنبياء، وليس مجرد آباء كنيسة أقاموا علاقات كاملة مع بناتهم وبنات أخواتهم.. فهل نلغى التوراة كتاب الله المنزل؟ يوسف زيدان يتكلم فى تاريخ مثبت، فلماذا هذا التعصب المقيت.

• يقولون إن التطرف القبطى رد فعل للتطرف الإسلامى، وهذه الموجة السلفية التى تسيطر الآن على الشارع المصرى، وهناك من يطالب بفصل الدين عن السياسة.. ورفع راية العلمانية؟

- الدين فى مصر مفصول عن السياسة فعليا من ايام محمد على، ومع ذلك لم نتقدم خطوة للأمام، التقدم والتأخر له شروط أخرى مثل العلم والجدية والصدق والإخلاص والحرية والإنتماء.

أما عن شيوع السلفية فأنا أقول إن التيار السلفى موجود وصوته عال ولكنه ليس السائد.. السائد فى الشارع المصرى هو الإسلام الوسطى وبالمناسبة التيار السلفى ليس شرا كله، لأنه يقوم بدوره فى حفظ عقيدة الأمة.. ما آخذه عليهم هو تمسكهم بالقشور دون

الجوهر.. وهو ما أدى إلى هذا الإسلام الوهابى المستورد ، كما كان يسميه الشيخ الغزالى رحمه الله.

• على ذكر الشيخ الغزالى.. هل تعتقد أنه كان سببا فى اغتيال فرج فودة؟

ـ أنا صاحبت الشيخ الغزالى على امتداد ثلاثين عاما وأعد نفسى من تلاميذه وأشعر بحزن أننى لم ألب طلبه عندما عرض علىّ أن أرافقه فى رحلته الأخيرة لحضور مؤتمر الجنادرية بالسعودية ، وندمت بعد ذلك أشد الندم لأنى لم أكن معه فى أيامه الأخيرة.وبحكم هذه الصلة يمكننى أن أقول إن الشيخ الغزالى برىء من دم فرج فودة، ولم يحرض على قتل أى إنسان.

• هل تعتقد أن المفكر البارز د. سيد القمنى يقوم بنفس الدور الذى كان يقوم به فرج فودة؟

ـ لا.. فرق كبير بين الاثنين.. فرج فودة مفكر سياسى من الطراز الأول، ومشكلته مع الإسلاميين مشكلة سياسية ، وأشهد أن الرجل لم يكن يسعى إلى الفتنة.. وفرق كبير بينه وبين الرجل. القمنى ـ الذى يحاول أن يهدم بكتاباته أصول الدين وينشر الفتنة بين الناس وآخر فتنة دعوته الناس للسياحة الدينية فى الوادى المقدس طوى بسيناء لتكسب مصر 3 مليارات جنيه كالتى تكسبها السعودية من الحج والعمرة .... عايز الناس بدل ما تروح تحج تذهب للفسحة فى سيناء.

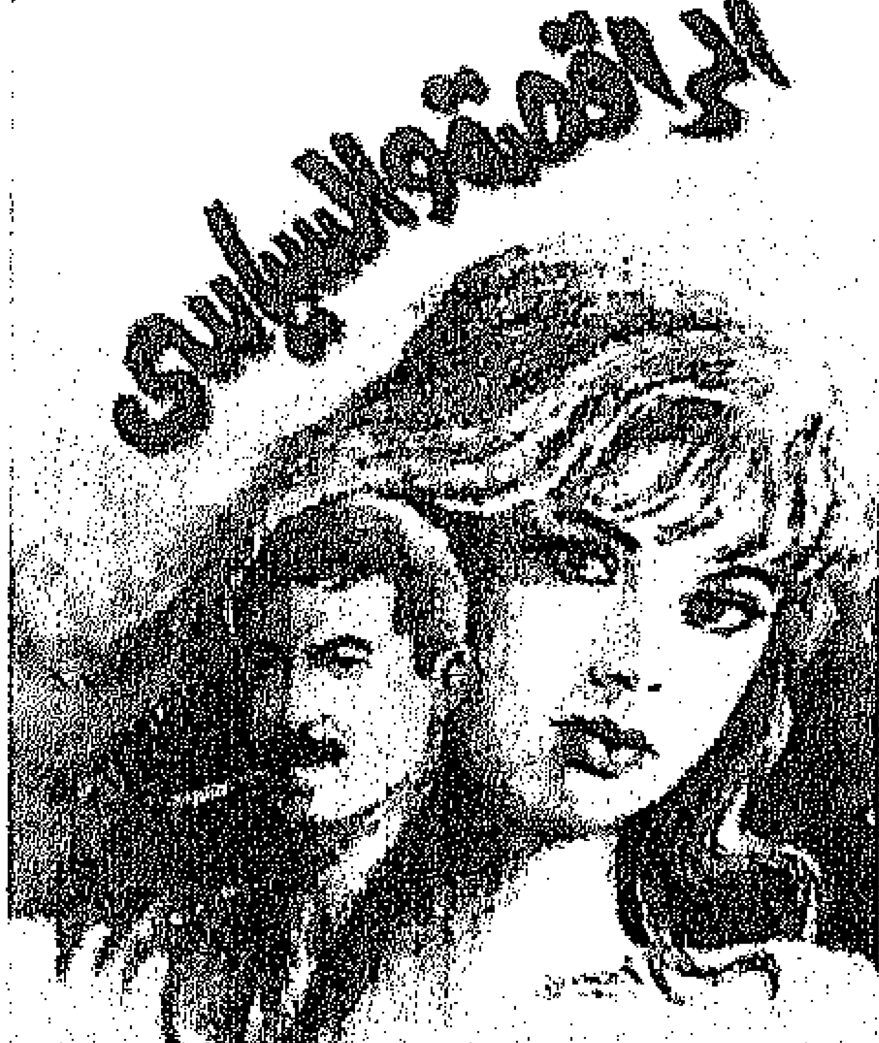

الشيخ الغزالى

• ولكنها ستكون سياحة دولية من كل الجنسيات والأديان؟

ـ إذن.. أهلا باليهود فى سيناء من جديد.. من يدعو إلى هذا الكلام الفارغ، ويحرض الناس على الذهاب إلى سيناء وليس إلى مكة فعليه أن يخاف على دينه.. هذه أمور محسومة ولا يجوز العبث بها!

• بمناسبة الأمور المحسومة.. ماذا تقول فى الغناء؟

ـ فى الغناء أنا أميل إلى الإباحة.. أتفق مع الإسلام الوسطى الذى يرى أن الغناء يرفه عن النفس ويرفع المعنويات ويخرجك من ضغوط الحياة لا شئ فيه.. مباح مباح وكذلك الموسيقى الحسنة مباحة مباحة ، الممنوع فقط هو ما كان يحتوى على خلاعة ومجون وهبوط وقلة أدب.



• لمن تسمع يا دكتور فى مجال الغناء؟

ـأسمع الغناء القديم «أم كلثوم خاصة» وأسمع الموسيقى من العالم كله.. امبارح اشتريت C.D دفعت فيه خمسين جنيها من أعمال نصير شمة لأنى أحب موسيقاه وطريقته فى العزف.

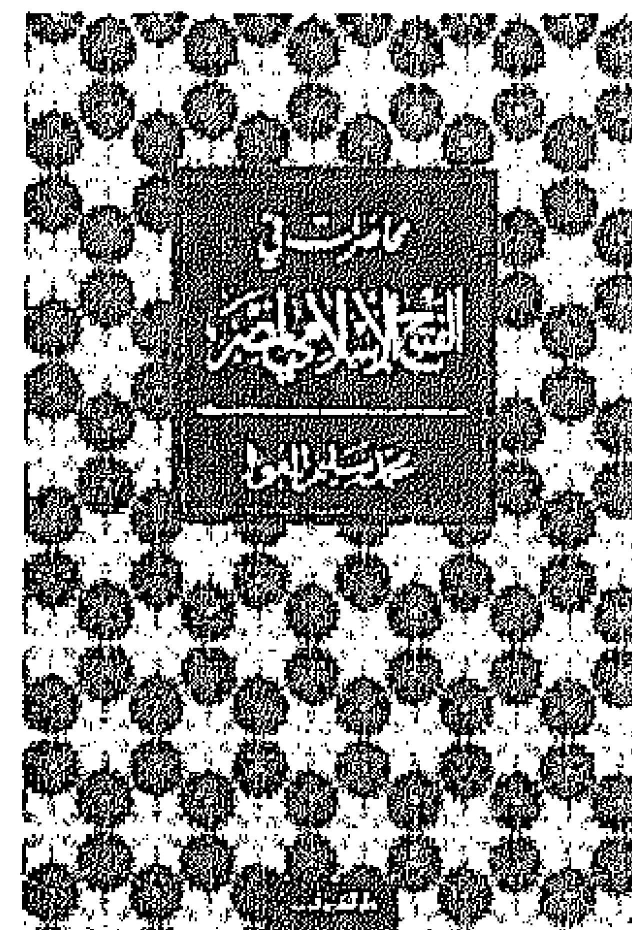
• هل تؤيد فكرة أسلمة الفنون؟

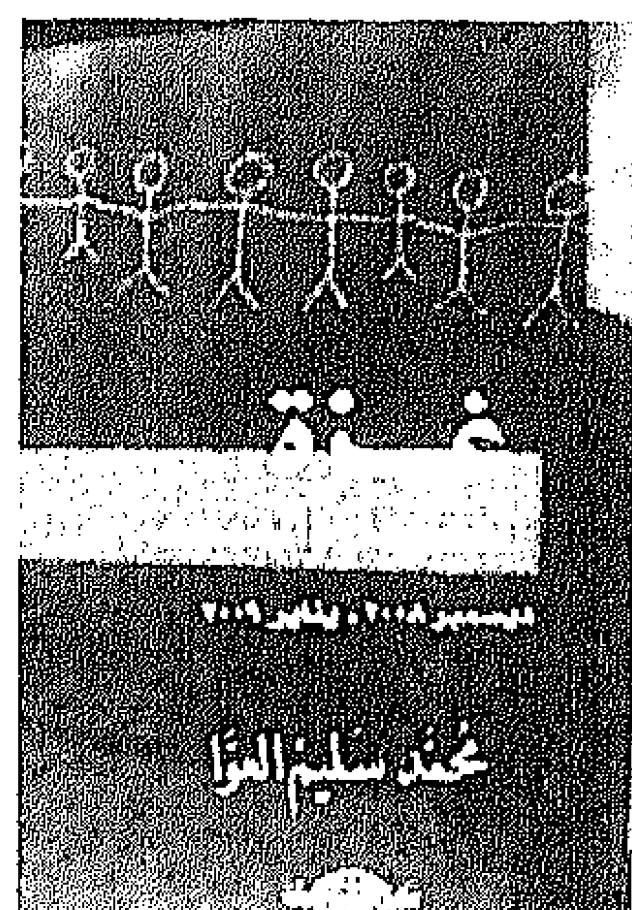
ـ بمعنى إيه؟

• يعنى مثلا ، الاخوان المسلمون فى فترة من الفترات اخترعوا حاجة اسمها المسرح الإسلامى؟

لا.. أنا ضد أسلمة الفنون.. أو أى نشاط بشرى.. ما ينفعش يبقى فيه زراعة إسلامية وتجارة إسلامية وصناعة إسلامية

ورياضة إسلامية.. فى الفن فقط أعطنى إبداعاً يتفق مع القيم والأخلاق والعادات، أنا ضد شعار الفن الإسلامى. يا أخى عمرك سمعت عن مسرح نصرانى أو سينما يهودية؟.





د. محمد سليم العوا

أزمة المؤسسة الدينية

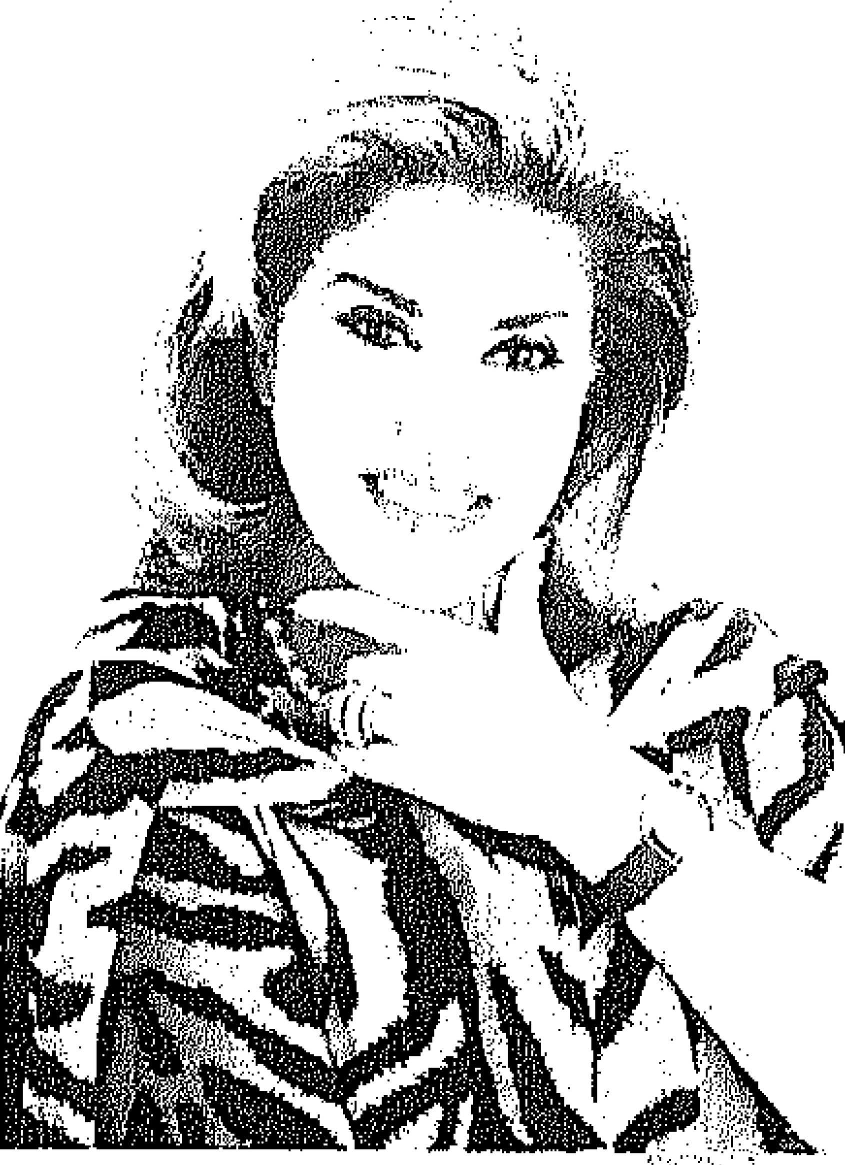
دار الشروق

مناوشات

يوسف البدرى..

الشيخ الأخطر!


الشيخ البدرى


د. هالة سرحان

عندما تتأمل حياة هذا الرجل، المتخمة بالمعارك والأزمات، لابد أن يداخلك شعور قوى بأنه ولى من أولياء الله الصالحين، ورجل صاحب كرامات، أو على الأقل رجل مبروك.. فلا يمكن أن يدخل كل تلك الصراعات والمعارك ويخرج منها منتصرا، إلا إذا كان رجلاً يمشى الحظ فى ركابه، ويتضاعف شعورك بالدهشة عندما تعرف أن هذا الشيخ يدخل عامه السبعين هذه السنة..

استطاع البدرى وهو فى هذا العمر وبعد أن بلغ منه عتيا أن يهزم كل مثقفى مصر بمفرده، فيجرجرهم فى المحاكم، ويمنع إبداعاتهم بحكم المحكمة، ويحجز على بيوتهم ومنقولاتهم ويشردهم فى أربعة أركان المعمورة، ويقاتلهم وحده على شاشات الفضائيات، فلا تنتهى الحلقة إلا بعد أن يهزمهم بالضربة القاضية الكلامية، وبما أتاه الله من بسطة فى بلاغة الكلام، وفى حججه التى تخرج كطلقات الرصاص.

فى وقت اللغو لا يملك المثقفون إلا السخرية منه، وإطلاق التعبيرات اللاذعة عليه من قبيل "عفريت العلبة ومحتسب مصر الجديد، وأمير الانتقام، والمتحدث الرسمى باسم الاسلام، إلى آخر ما جادت به قرائحهم فى وصف الرجل، أما فى وقت الجد، عندما يمتشق سيفه ويدبج فيهم بلاغاته للنائب العام، ويقف فى مواجهتهم على شاشات الفضائيات تكتشف أن صوته هو الأعلى، وأنه تمكن من تفريق شملهم، وبث الفزع فى قلوبهم!!

تعرفت على الشيخ يوسف البدرى عن طريق الإعلامية هالة سرحان.. كنا بصدد تجهيز حلقة فى أحد برامجها عن تقاليع الزواج الجديدة بين الشباب، مثل زواج الدم وزواج المسيار الذى كان بعضهم قد بدأ فى استيراده من موطنه الأصلى "بلاد الخليج".. وقبل ساعات من تصوير الحلقة نظرت هالة سرحان فى قائمة الضيوف وقالت فى عتاب: فين الشيخ يوسف البدرى؟! الحلقة من غيره هتكون باردة!

وأجريت اتصالا به، وأنا أقدم ساقاً وأؤخر أخرى، متوقعاً أن يعطينى درساً فى احترام أقدار الناس، وعدم الاتصال بهم فى الوقت الضائع.. ولدهشتى وافق الرجل بلا تردد، وقال بلغته الفصيحة: سوف أصلى العصر وأنتظر سيارة المحطة لتأخذنى إلى الاستديو!

وما إن دخل الشيخ يوسف البدرى البلاتوه، واستقر فى مكانه حتى اشتعل الحوار، ووصل إلى حد الفوران.. ودخل الرجل فى مواجهة ساخنة، وتطايرت كلماته ككرات النار الملتهبة، وخرجنا بحلقة نموذجية فى الإثارة التليفزيونية!

أدركت ساعتها لأول مرة أن هناك وظيفة جديدة فى البرامج الحوارية الفضائية اسمها "المهيج"، وهو الضيف الذى يتولى تسخين الحوار، وإضافة "البهارات" إنه الضيف "السبايسى" بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وهى وظيفة ذاعت وشاعت فى برامج التوك شو خلال السنوات الأخيرة، وأصبح لها نجومها من مشعلى الحرائق الكلامية.


عبد المنعم رمضان

وفى حالة الشيخ يوسف البدرى فإننى أمام رجل لا يصد ولا يرد، بل إن هناك من يهرب من مواجهته لأنه يعرف النتيجة مسبقاً، كحالة الشاعر عبدالمنعم رمضان، عندما طلب منه الاعلامى جمال الشاعر أن يحل ضيفاً على برنامجه "كتب ممنوعة" ليدير حواراً مع الشيخ يوسف البدرى حول قضية الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى ، الذى حصل الشيخ فى العام الماضى على حكم قضائى نهائى يلزمه بدفع 20 ألف جنيه غرامة بتهمة السب والقذف فى حق الشيخ، ضمن مقال كتبه فى "روزاليوسف" وهو حكم أثار الكثير من الجدل فى الوسط الثقافى المصرى حينها، واحتشد المثقفون لمواجهته، وأراد جمال الشاعر بحس إعلامى أن يجرى مواجهة بين الفريقين ، ففوجىء بفرار فريق المثقفين من مواجهة الشيخ، وامتلك عبدالمنعم رمضان الشجاعة لأن يعترف: "لأننى أعرف أنه لا يوجد من يستطيع محاورة ذلك الشيخ فقد انسحبت!!".


حجازى

ولد يوسف صديق محمد البدرى فى عام 1938 بمحافظة الشرقية، وتخرج فى كلية دار العلوم عام 1959، وواصل دراسته العليا فى دار العلوم، وسجل رسالة الماجستير في فكرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى فكر المعتزلة عام 1989، قبل أن يسافر إلى الجزائر لدراسة الدكتوراه فى أفكار محيى الدين بن عربى شيخ الصوفية الأكبر ،وفى الجزائر عرف أن أستاذ الفلسفة الشهير د.عثمان يحيى له دراسات مهمة بالفرنسية عن ابن عربى، فقرر أن يتعلم الفرنسية، ورشحوا له فتاة فرنسية ليقايضها على لغتها، تعلمه الفرنسية، ويعلمها العربية التى كانت فى حاجة إليها هى الأخرى لمواصلة دراستها.. وتطورت الصفقة إلى حب وزواج، بعد أن أشهرت إسلامها، وطلبت منه بعد فترة زيارة أسرتها فى فرنسا، وهناك تعرضت لضغوط عائلية فعادت

إلى دينها الأصلى، ولم تكن أسرتها راضية عن تلك الزيجة.. فحدث الانفصال.

فى ملفه الشخصى ، يفتخر الشيخ يوسف البدرى بأنه قام بتدريس اللغة العربية لابنى الرئيس السادات، جمال وجيهان الصغرى، وفى هذا الملف ستقف عند معلومات مدهشة عن الرجل، منها تلك المناصب التى حصل عليها؛ إمام الدعاة بجزر البحر الكاريبى، ومفتى إمارة الشارقة، وإمام مجمع عمر بن الخطاب بولاية نيوجيرسى الأمريكية.


عمرو خالد

لكن الأكثر إثارة فى مسيرته هو هذا الكم الهائل من المعارك التى دخلها، وفى مواجهة خليط متناقض من الخصوم، فنانين ووزراء علمانيين ومشايخ، مثقفين وجهلة.. فهو لا يتورع عن تقديم بلاغ للنائب العام ضد أفيش فيلم "طيور الظلام" لأن سيقان يسرا بدت فيه عارية أكثر من اللازم، ويحصل على حكم قضائى بإغلاق دار عرض سينمائى بشارع الجيش لانقاذ الشباب من غواية أفلامها.. ويجرجر يوسف شاهين إلى المحكمة، ويوقف عرض فيلمه "المهاجر" ويقيم الدنيا ولا يقعدها ضد قصيدة "شرفة ليلى مراد" للشاعر حلمى سالم، ويتهمه بالزندقة والاساءة للذات الإلهية . وهى الأوصاف نفسها التى سبق وطعن بها ضد قصيدة لزميله الشاعر عبدالمنعم رمضان فى المجلة نفسها قبل 10 سنوات.


الدكتور زقزوق

ولم يهتز قلبه وهو يقدم بلاغا ضد عتاة المثقفين من أصحاب المناصب البراقة كجابر عصفور وجمال الغيطانى، لمجرد أنهما تضامنا مع الشاعر أحمد عبدالمعطى حجازى، واعترضا على الحكم الصادر لصالح الشيخ بتغريم حجازى 20 ألف جنيه.. بل إنه ذهب إلى مقاضاة موقع على شبكة الإنترنت يخص الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان لأنها ارتكبت الجريمة نفسها؛ التضامن مع حجازى!

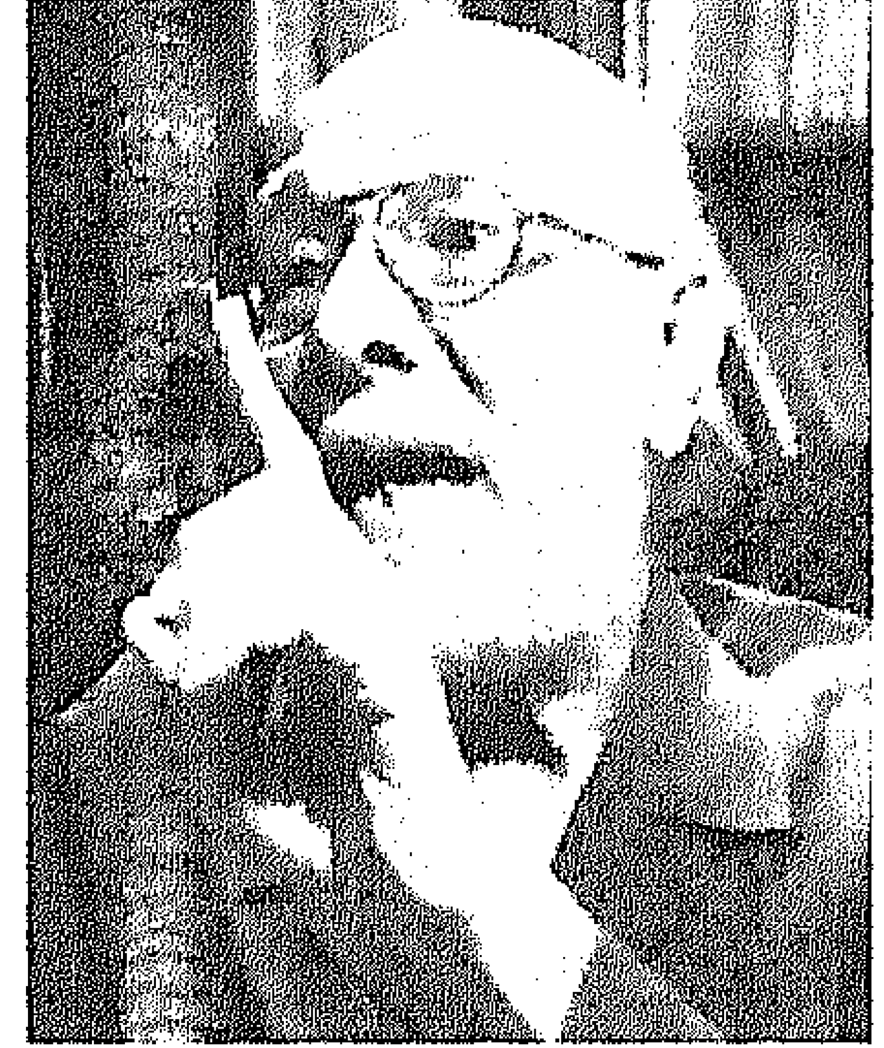
المثقفون والعلمانيون ليسوا وحدهم خصوم الشيخ، فكل من يختلف معه فى الرأى خصم؛ يستوى فى ذلك داعية مثل عمرو خالد، ووزير مثل حاتم الجبلى، فى حالة عمرو خالد ذهب الشيخ البدرى فى نقده لمراحل غير مسبوقة من الطعن والهجوم، بل اتهمه على شاشات التليفزيون بأنه ظاهرة ضارة بالإسلام، ناهيك عن الجهل والسطحية وبطريقته اللاذعة فى النقد كابر النحل وقف على رؤوس الأشهاد ليقول؛ تخيل أن عمرو خالد يذهب إلى انجلترا وفرنسا ليدرس الإسلام؟! يا خيبة الأمل راكبة جمل!

وداعية أخرى مشهود لها بالعلم والفقه مثل د.سعاد صالح ، ذهب الشيخ يجر عباءته إلى مكتب النائب العام ليقدم ضدها بلاغاً لأنها "أهانت النقاب" وأفتت بأنه ليس فرضاً وليس لباساً شرعياً للمرأة المسلمة.

وزير الأوقاف نفسه د.حمدى زقزوق لم يسلم من لسان الشيخ وطعناته فخرج ليقول عنه : " وزير الأوقاف كاذب ! "،

لماذا يا ؟! لأنه صرح بأننى لست عضوا فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى حين أن عضويتى فى المجلس "73" تسبق عضويته "98" وكنت أحيانا أوصله بسيارتى فى مؤتمرات المجلس.

وشيخ وقور آخر مثل د. عبدالصبور شاهين، دخل الشيخ البدرى معه فى معركة حامية الوطيس بعد صدور كتابه "ابى آدم" الذى حملت صفحاته اجتهادا للدكتور يفرق فيه بين البشر والإنسان.



د. عبد الصبور



لا يعرف الشيخ يوسف البدرى اللف ولا الدوران ويؤمن بمبدأ خير وسيلة للدفاع الهجوم، ولذلك فهو يطلق داناته دون أن يرتجف له قلب، وحتى وهو على يقين بأنها ستسبب دويا وجدلا وصدمة.. إنه يكاد يكون الوحيد بين الدعاة الذى يؤمن أن التمثيل حرام بما فى ذلك الأعمال الدينية.. ويقول لك بجرأة: "من ينادى بأن هذه الأعمال تعطى صورة طيبة للإسلام وتساعد الغرب على فهمه واعتناقه أيضا أقول له: هذا هراء.. أفلام مثل صلاح الدين الأيوبى والشيماء ماذا فعلت للإسلام؟ هل زادت معدلات المسلمين بعد عرضها؟.. هوليوود قدمت أكثر من 1500 فيلم تسب الإسلام والمسلمين، ومع ذلك أسلم الكثيرون بلا أفلام أو أعمال درامية.. وهل الذين أسلموا فى أمريكا كلهم شاهدوا فيلما أو مسرحية؟!

السنوات التى جلس فيها الشيخ تحت قبة البرلمان "ابريل 1987 - أكتوبر 1990" نائبا عن الشعب، لم تمنحه حنكة السياسيين وقدرتهم على المناورة. إنه يقول رأيه حتى ولو اشتعلت بعده الحرائق، وذكى نيران الفتنة فى النفوس، وتصرفاته وآراؤه خلال الشهور الأخيرة فيما يتعلق بالملفات الشائكة بين المسلمين والأقباط تدل على أنه بات "لغما" ينذر بالانفجار فى أى لحظة.. ولك أن تعود إلى أزمتى وفاء قسطنطين ومحمد حجازى.. وبلاغاته القضائية وتصريحاته الفضائية، التى شحنت القلوب، وكأننا على أبواب حرب أهلية، كما أنه يقول بأفكار المعتزلة والتيميين - نسبة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية - دون أن يمر الزمن من عنده، أو يشعر بتغير الظروف والأحوال، وأن الغرب لم يعد ديار حرب، وأن النصارى أصبحوا مواطنين كاملى الأهلية غير مطالبين بدفع الجزية أو ركوب الحمار بالمقلوب!

اكتفى مثقف عربى هو "خالد الحروب" بأن يطلق عليه الظاهرة اليوسفية البدرية.. فى حين قال لى مثقف مصرى بارز أن الحل الوحيد لايقاف هذه الظاهرة أن يصنف كمسجل خطر فضائيات وأن على المحطات الفضائية أن تتفق على قائمة من "المسجلين خطر".. الذين يتولون تهييج المشاهدين.. وتحجب ظهورهم.. ولكنه اقتراح غير عملى.. لأن الفضائيات، خاصة برامج التوك شو فيها تحتاج دائماً إلى البهارات.

شمس البارودى..

تشرق من جديد!



هل تسرب حب الدنيا وزخرفها من جديد إلى قلب الحاجة شمس البارودى؟!

هل يلح عليها حنين طاغ إلى الأضواء التى غادرتها وودعتها برغبتها وإرادتها قبل أكثر من ربع قرن؟! هل تعود شمس الملوك جميل عزت البارودى لتقف أمام الكاميرات من جديد، متنازلة ومتراجعة عن تصريحاتها السابقة القاطعة الحاسمة بأنه لا تراجع ولا استسلام ولا عودة مهما كانت الاغراءات والمغريات؟

أذكر الحاجة شمس البارودى بتلك التصريحات التى لا تحتمل التأويل:

" كانت هناك محاولات معى لأعود، لكن نفسى لا تراودنى أبداً أن أعود إلى الفن، لأنها صفحة وانطوت للأبد.. أنا أحمد الله وأدعوه أن يعيننى على طريقه حتى ألقاه ولا يشغل عقلى وقلبى بعد حبى وطاعتى لله ورسوله صلى الله عليه وسلم سوى أبنائى وزوجى وأرحامى وحبيباتى فى الله، هل بعد هذا أعود لما كرهته وتبرأت منه، حاشا لله".

" لم أتحجب وأرتدى هذا الساتر الذى لا يصف ولا يشف ولا يلفت كما أمرنا الله فقط، ولكننى اعتزلت كل ما يشوب طاعتى بفتنة أو رياء أو مكسب دنيوى مادى أو أدبى، ومكثت فى بيتى أرعى حق الله فى نفسى وأهل بيتى، وأنعم بالسكينة وحلاوة الرضا.. فكيف أترك هذا الكنز لألهث وراء لهو الدنيا أو مكاسبها؟! بالرغم من كثرة العروض التى عرضت علىّ من جانب محطات فضائية عربية وأجنبية، وبالرغم من الاغراءات المادية الطائلة، لكننى اعتذرت باصرار رغم شدة إلحاحهم علىّ، أنا الحمد لله لست محتاجة لعمل أتكسب منه، لأن زوجى لا يجعلنى أريد أى شىء ولا أحتاج إلى أى شىء!

عندما قررت الاعتزال قررت الاحتجاب أيضاً، وذلك لان كل دقيقة أقضيها مع الله وفى قربه وعبادته تغنينى عن الدنيا وما فيها".

نشر بمجلة الاذاعة والتليفزيون فى 19 ابريل 2008

وقس على ذلك تصريحات أخرى منسوبة للحاجة شمس البارودى تؤكد على المعنى نفسه. وأنها طلقت الدنيا وما فيها. منذ أن اتخذت قرارها بالحجاب فى فبراير من العام 1982 أى قبل 26 عاما. وقد حكت أنها كانت وقتها تؤدى فريضة العمرة بصحبة والدها. ولم تكن فى نيتها الابتعاد عن الفن أو الحجاب. إذ كانت يومها من نجمات الشباك فى السينما. وكل الظروف مهيأة أمامها للاستمرار. فهى مطلوبة ومرغوبة. وفى بيتها عشرات من المشروعات السينمائية والتليفزيونية التى تنتظر موافقتها.

ثم حدث ما لم تتوقعه ولم تحسب له حسابا . جاءها النبى صلى الله عليه وسلم - حسب روايتها - فى المنام. ووضع على جسدها غطاء أبيض. فوجدت نفسها فى بكاء متصل. لم ينقطع حتى بعد أن أيقظت والدها فى الثلث الأخير من الليل. راجية منه أن يصحبها إلى الكعبة. فوقفت خاشعة تصلى . ووجدت لنفسها طريقا سهلا إلى الحجر الأسود فقبلته. وسعت الأشواط السبعة. معتمرة متبتلة. وعادت من عمرتها لتتخذ القرار الذى أثار عاصفة من الدهشة وقتها بالاعتزال . وكانت قبل ذهابها إلى العمرة عائدة لتوها من باريس بصحبة زوجها الفنان حسن يوسف. وفى حقائبها أحدث ما أنتجته عاصمة الموضة من أزياء.


سهير رمزى


سهير البابلى

أصبحت شمس البارودى أول فنانة تعتزل وتتحجب. فاتحة الباب لموجة الاعتزال والحجاب التى لم تنته حتى اليوم. ومازال الجدل حولها قائماً لم ينقطع. خاصة أن أغلب المعتزلات تراجعن بسهولة. وعدن من جديد إلى الأضواء والبلاتوهات وإلى التمثيل بالحجاب. سهير البابلى. سهير رمزى. صابرين. منى عبدالغنى. عفاف شعيب. وبعضهن فضلن الاتجاه إلى تقديم البرامج الدينية "الحاجة شهيرة مثلاً" وبعضهن امتلكن الجرأة للعودة إلى التمثيل بدون حجاب. وكأنهن كن فى أجازة.. أو تغيير جو!

اثنتان فقط صمدن أمام إغراءات العودة. ورفضن كل العروض لا تمثيل ولا تقديم. ولا ظهور. ولا حتى حوارات صحفية: الحاجة شمس. والحاجة شادية. والاثنتان اكتسبتا احتراما مضاعفاً بسبب هذا الاصرار وتلك الممانعة. احترام كان له بريقه مع موجات تراجع الاخوات من الفنانات عن الاعتزال الكامل.

أذكر أننى أجريت حواراً مع الفنانة عفاف شعيب بعد حجابها بأيام . وكان أول حوار تجريه بعد الضجة التى أثارها قرار الاعتزال فى خريف العام 1993. ولفت نظرى حجم التقدير الذى تكنه للحاجة شمس بالذات. ومازلت أذكر أنها وصفتها وشبهتها بـ"رابعة العدوية" فى التقوى والزهد والصلاح. وحكت لى الحكاية التالية التى كان علىّ أن أصدقها رغم خيالها المفرط: منذ ثلاث سنوات. أى فى العام 1990 ذهب الأخ حسن يوسف - الله يبارك له - ليعمل عمرة وطلبت منه زوجته الأخت شمس البارودى أن يحضر لها من الأراضى المقدسة "سبحة" تضم ألف حبة تستعين بها فى تسبيحها وذكرها لله. وهناك نسى الحاج

حسن هذا الطلب أو ربما لم يجده، وفى يوم كان يقرأ القرآن الكريم فى الحرم المكى فتقدم منه شخص غريب وقال له: أنت السيد حسن؟ أجاب: نعم، سأله من جديد: وزوجتك السيدة شمس؟ أجاب: نعم. سأله ثالثا: وماذا طلبت منك؟ قال: مش فاكر. قال الرجل الغريب: طلبت منك سبحة ألف حبة، ها هى.. خذها وأعطها إياها، قل لها إن الله يدافع عن الذين آمنوا ثم اختفى الرجل، وتلفت الحاج حسن حوله فلم يجده، ويومها علقت عفاف شعيب على هذه الواقعة بقولها: أنا أظنه جنديا من جنود الله وملكا من ملائكته وسوف ينصرنا الله بهم.

الأخبار القليلة التى كانت تتسرب عن الحاجة شمس، لم تكن تشبع فضول محبيها، خاصة أنها كانت ترفض إجراء أى حوارات صحفية أو تليفزيونية، مصرة على الاعتزال الكامل، مبتعدة عن الدنيا التى هى "لهو ولعب" مفضلة السير فى طريق الله.. فى هدوء وسكينة قاطعة كل أمل فى مسألة العودة.


عفاف شعيب

وامتلكت الحاجة شمس الجرأة لأن تتبرأ من تاريخها الفنى. وتتمنى لو أحرقت كل أفلامها بما تحتويه من إغراء، أو على حد قولها فيما بعد: كنت فى بداية حجابى أريد أن أسحب أفلامى من السوق ، وعرفت بعد فترة تأمل وتفكير أن ذلك أمر مستحيل، وقلت فى نفسى: أنا يارب تبت عن التمثيل وما يتضمنه من أى شىء يغضبك ، وحسبى الله ونعم الوكيل فيمن يساعد على عرض أفلامى فى الفضائيات العربية.. وقالت أيضا: أكثر الأشياء التى يضيق بها صدرى وأكثرها بشاعة هى أفلامى التى تصر جميع القنوات الفضائية على عرضها باستمرار، وهو ما يضايقنى بشدة، لأننى لم أكن أرتدى الزى الإسلامى، وبالتالى كانت الكاميرات تظهر مفاتنى، وأقسم بالله أننى لو ملكت شراء جميع هذه الأفلام لأمنع عرضها لفعلت، لكن أكثر ما يهون آلامى أننى ندمت على ما فعلت، كما أننى أفضل حالا من كثيرات معتزلات عدن للتمثيل بالحجاب، وبنفس الجرأة وصفت الحاجة شمس هؤلاء العائدات بذلك الوصف القاسى: رقصن على السلم بعدما أغرتهن الأموال!

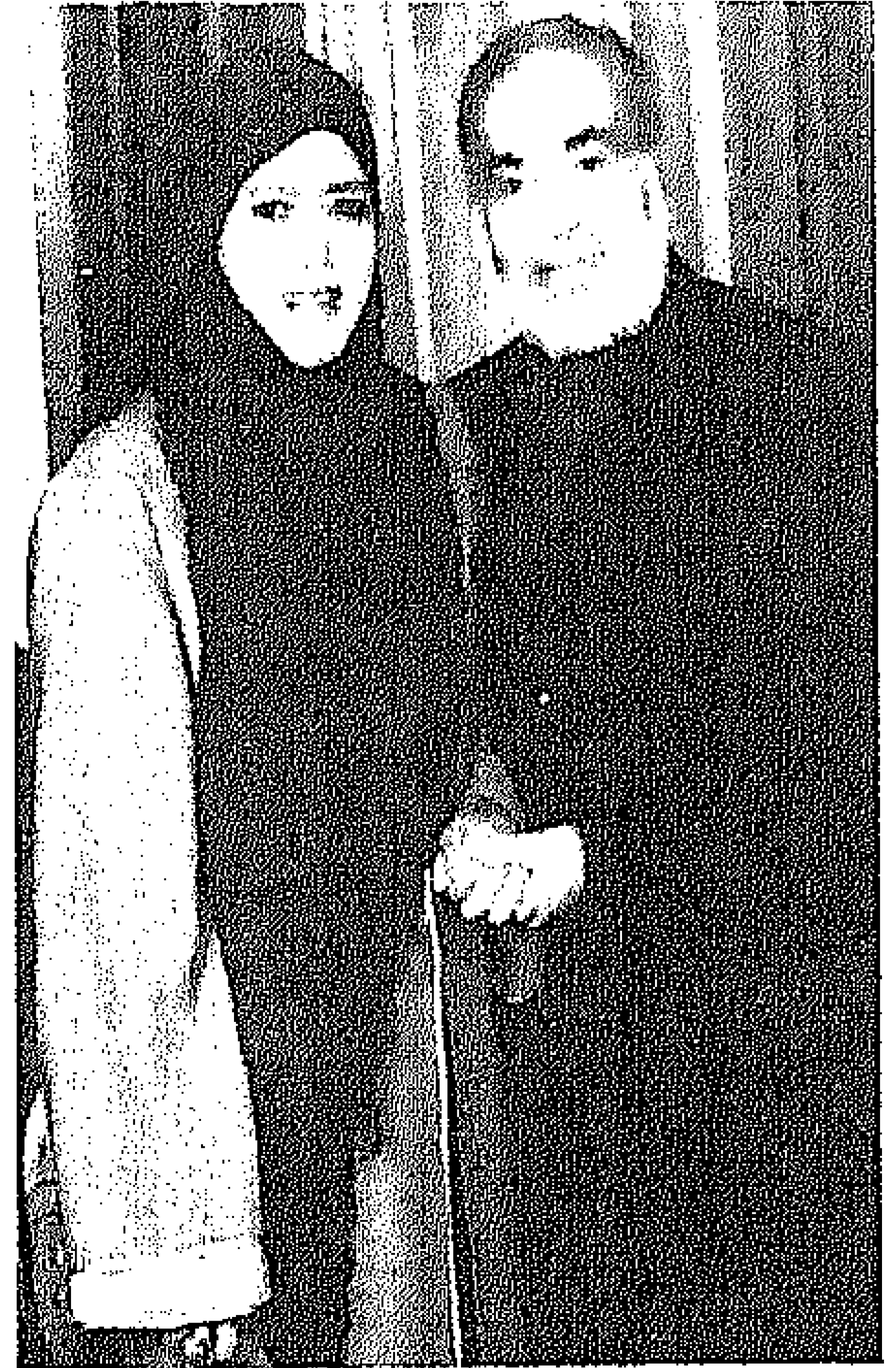

منى عبد الغنى

وحتى عندما ظهرت فى الساحة الفنية ممثلة شابة جميلة مغرية تتدلل على أغلفة المجلات وتتباهى بصلة قرابتها مع شمس البارودى أسرعت الحاجة شمس، وأرسلت تكذيبا إلى الصحف تنفى فيه أى صلة أو صفة بينها وبين ريم البارودى وتتهمها بأنها تتمسح فيها وفى عائلتها - ذات الأصول السورية - وتاريخها وشهرتها ، وأصرت الحاجة شمس على التكذيب والنفى بعد أن نشرت ريم البارودى ما يثبت أنها بنت ابن عم والد الحاجة شمس.

وكان على الجميع أن يحترم رغبة فنانة طلقت الأضواء والأموال وظهر لها النبى فى المنام، وأرسلت لها الملائكة "مسبحة" طلبتها من زوجها فنسى!

ولكن محبو الحاجة شمس - وأنا منهم - كان عليهم أن يتساءلوا، بعد أن علت الدهشة وجوههم، من تلك التغيرات الجديدة التى طرأت على حياتها وتصرفاتها فى السنوات الأخيرة، وأخذتها من طريق الله، وقربتها من الحياة الدنيا وزخرفتها خطوة خطوة.

خلعت النقاب.. وكشفت وجهها، وتسربت صورها بغزارة إلى الصحف، وكان لديها مبررات منطقية: منذ عدة سنوات شعرت بأن الواجب أن أخلع النقاب فلقد كبرت فى السن، وقد استشرت الشيخ القرضاوى، وهو أحب وأصدق العلماء الأجلاء إلى قلوبنا، وتجمعنا صداقة عائلية، فقد سألته عن النقاب هل ارتداؤه أفضل أم لا؟ فقال لى: هو أفضل فعلا لكنه ليس فرضا، وعليك بخلعه فقد كنت فى الماضى أكثر فتنة، لكن بعد تقدم العمر يجب أن أخلعه. فقد شعرت أننى لو التقطت لى أى صورة مع أولادى بالنقاب الأسود بعد سنوات عندما يرى أحفادى هذه الصورة سيقولون: من هذه المرأة؟!



حسن وشمس

وقبلها ظهرت الحاجة شمس على شاشة التليفزيون وجلست أمام الكاميرات التى أقسمت على طلاقها، رأيتها على شاشة قناة قطرية تحكى عن تجربة اعتزالها.. ورأيتها فى حديث طويل مع الزميل محمد بركات على شاشة قناة إقرأ تحكى وتتكلم وتفيض فى الحديث عن أيامها بعد الاعتزال.

وتعددت حواراتها فى الصحف، بكثافة واستسلمت للعدسات باسمة وهى التى ظلت لسنوات طويلة بعد الاعتزال ترفض، حتى مجرد الرد على الافتراءات التى تطاردها.

وذهبت إلى حفل تخرج ابنتها "ناريمان" فى الجامعة الأمريكية وكانت المفاجأة الأهم، هو حضورها للعرض الخاص لفيلم "شارع 18" أول بطولة لابنها عمر فى السينما، ذهبت لتشجعه وتدعمه وتقف إلى جواره فى خطوته الأولى مع الفن، وهى التى سبق أن تبرأت منه، وتمنت لو تجمع أفلامها وتحرقها وتمنعها من العرض.

لكن الخبر الجديد الذى استوقفنى ولفت نظرى، وأثار دهشتى ودفعنى إلى الكتابة هو تلك المفاوضات التى تدور بين الحاجة شمس وبين المسئولين فى قناة فضائية - ملتزمة - حيث تقول تفاصيل الخبر الذى لم تكذبه الحاجة شمس، أنها وافقت على تقديم برنامج تليفزيونى على تلك الشاشة - قناة البدر - والمشكلة لم تعد فى الموافقة وإنما فى العائد المادى الذى ستتقاضاه الحاجة شمس، حيث طلبت مليون جنيه شهرياً، وهو مبلغ استكثره مدير المحطة د.حسين شورى، وطلب تخفيضه واعتبره مبالغاً فيه.

فهل تعود شمس البارودى إلى الأضواء، وتظهر على الشاشة مقدمة لبرنامج تليفزيونى؟! وهل التقديم التليفزيونى مجرد مقدمة للعودة إلى التمثيل؟! وهل تبقى الحاجة شادية وحدها بين قائمة المعتزلات القابضة على الجمرة الرافضة لمجرد مغادرة صومعة الصلاة؟!

أما سبب السؤال الأخير فهو واقعة كنت شاهداً عليها وطرفاً فيها فى 8 فبراير الفائت أشرفت على إعداد احتفالية تليفزيونية بقناة المنوعات فى مناسبة عيد ميلاد الحاجة شادية، شارك فيها نجوم بحجم الفنان محمود ياسين والمايسترو سليم سحاب والناقد الصحفى محمد سعيد، بالإضافة إلى "شاكر" حفيد الحاجة شادية، الذى ربته صغيراً، واعتبرته بمثابة حفيدها وهو نجل خالد شاكر ابن شقيقها وعرفت من خالد أن عمته الحاجة شادية قامت فى منتصف الحلقة، ودخلت سريرها لتنام كما اعتادت فى العاشرة والنصف لتلحق بصلاة الفجر، إذ لا يشغلها أى شىء عن مواعيد نومها وصلواتها، حتى لو كانت احتفالية بعيد ميلاها، ثم طلبت شريطاً مسجلاً للحلقة لتشاهده فى وقت فراغها.. لقد طلقت الأضواء والدنيا وزينتها، طلاقاً بائناً لا رجعة فيه.. لا ظهور ولا حوارات ولا حتى خبر عن تفاصيل حياتها الجديدة، الذى لا مكان فيه إلاّ حُبّ الله.

وفى القناة نفسها وفى الاستديو نفسه وفارق أسابيع قليلة، كانت هناك حلقة مع النجم الشاب عمر حسن يوسف وأثناء اللقاء جاءتنى معدة الفقرة تخبرنى أن الحاجة شمس البارودى تريد أن تجرى مداخلة تليفزيونية مع ابنها، تهنئه فيها على دوره فى "شارع 18"، وتشد من أزره فى بداية مشواره مع الفن، ظننتها فى البداية تمزح، ولكن صوت الحاجة شمس جاء عبر الهاتف قوياً لا لبس فيه، بسحره وطلاوته، اللذين لم يأخذ منهما الزمن، تحدثت وأفاضت واحتضنت عمر بقلب الأم وحنانه متمنية له التوفيق فى مسيرته الفنية القادمة، مؤكدة أنه يمتلك كل مواصفات النجومية، لم أصدق أذنى وأن أسمعها تتكلم باحترام وتقدير عن الفن الذى سبق أن تبرأت منه، واحتسبت عند الله من يصر على عرض أفلامها وتعرية جسدها..


شادية


المايسترو سليم سحاب

ولم أصدق عينى وأنا أقرأ عن إعجابها بمسلسلات فيفى عبده الأخيرة وتقديرها للمضمون الراقى الذى تحمله أعمال يسرا التليفزيونية بل: "وأنا أقضى أوقاتاً جميلة أمام النت، فقد علمته لى ناريمان ابنتى حبيبتى ، وتأتينى على الايميل الخاص بى مشاكل عديدة اجتماعية من ناس كثيرين أقوم بحلها لهم ، إلى جانب تليفونات عديدة وتأتى لى ولا أبخل على أحد بأية نصيحة يحتاجها، وأحياناً كثيرة تلتف النساء من حولى فى نادى الجزيرة عندما أذهب أنا وحسن ويسألوننى عن تجربتى ويحكين لى مشاكلهن وأحلها لبعضهن سواء من خلال التليفون أو عندما أقابلهن.

قلب الأم - أم ناريمان ومحمود وعمر وعبدالله - هو الذى قادها إلى التخلى عن تشددها والذهاب إلى قلب الوسط الفنى لتشجيع "عمر" فهل يقودها إلى خطوة أبعد..؟

وهل تكون مفاجأة 2008 عودة الفنانة شمس البارودى؟ عن نفسى لا أريد أن تكون الإجابة بالإيجاب، لا أفضل عودة الحاجة

شمس إلى التمثيل لسببين:

الأول: إن كل تجارب الأخوات المعتزلات بعد العودة إلى التمثيل لم تكن مشجعة. باختصار كلهن فشلن. بدرجات متفاوتة، ولأسباب مختلفة.

الثانى: نريد - لها ولنا - أن نحتفظ بصورتها الجميلة القديمة المشرقة كنموذج فريد للجمال "المتوحش" على شاشة السينما. نموذج لم يتكرر ولا نظنه سيتكرر.

الحاجة شمس.. نرجوك.. لا تفعليها!







هل ترتدى هيفاء وهبى الحجاب

تحت تهديد الجماعات السلفية؟!



موقعها على الإنترنت تعرض لقرصنة وتخريب.. وكتبوا عليه: اللهم إنى برىء من هذا الموقع!

لدى هيفاء وهبى عشرة أسباب على الأقل تجعلها ضد ثورة يناير، أو على الأقل تضعها فى قائمة غير المرحبين بها.. على رأس تلك الأسباب أن الزلزال الذى حدث فى مصر أصاب بضاعتها بالكساد، وأفسد عليها مشروعات وأحلاماً كانت كفيلة بأن تثبت أقدامها كواحدة من ألمع الأسماء فى ساحة الغناء العربى!.

استقبلت هيفاء هلال العام الجديد ـ 2011 ـ بتفاؤل استثنائى، إذ أنه العام الذى تضرب فيه موعداً مع السعادة.. ففيه كانت ستخطو خطوتها الأولى المنتظرة نحو الدراما التليفزيونية بعد أن سجلت نجاحاً لا بأس به كممثلة فى تجربتها السينمائية الأولى مع المخرج خالد يوسف..

بعدها جاءتها أفواج المنتجين تطرق أبوابها، حاملة سيناريوهات مفصلة على مقاسها، وشيكات على بياض تنتظر رضاها السامى.. واختارت هيفاء التعامل مع المضمون.. مسلسل من إنتاج شركة تحمل اسم أشرف الشريف، صاحب النفوذ والفلوس والتسويق المضمون وسيناريو يمنحها شخصية بنت البلد.. الدور الذى يضمن لها دخول قلوب المصريين بلا استئذان فلابد أنها ستلهب خيالهم بدلالها الذى لا يقاوم..

واتفقت هيفاء على عشرة ملايين جنيه أجراً لها.. وعلى شهر رمضان موعداً للعرض.. وعلى أن تأمر فتطاع طوال أيام التصوير، وتعامل كأنها ملكة الدراما المصرية المتوجة فى 2011!!.

على أبواب العام الجديد كانت هيفاء تعيش زهوة أيامها ونجوميتها.. فقد اختيرت لتحيى حفل رأس السنة فى بيروت أمام نجمها راغب علامة، لتحظى بالشرف قبل ملكات الغناء فى لبنان، وكثيرات منهن يفقنها موهبة وصوتاً..

نشر بمجلة الاذاعة والتليفزيون فى 16 ابريل 2011

بعدها أحيت حفلاً على شرف مهرجان دبى للتسوق، حضره 40 ألف شخص، دفعوا ملايين الدراهم فى سبيل الفرجة على "أجمل امرأة عربية".. وهو أمر لم يعجب ناقدة فى جريدة الحياة اللندنية، فكتبت مقالا تنعى فيه الغناء العربى، الذى جعل من هيفاء مطربة، رغم أن صوتها يخلو من الطرب، ولا بضاعة لها إلا جسدها واستعراضاتها الساخنة، وكلمات أغانيها "المتبلة" .. ولم تمر سوى ساعات على نشر المقال، حتى كانت إمبراطورية هيفاء الإعلامية ترد بمدفعيتها الثقيلة، وتملأ ساحات الإنترنت بحملة هجوم جبارة على تلك التى تجرأت على نقد الملكة.. نقدا اعتبرته من قبيل الغيرة النسائية ليس إلا، خالعة أوصافا باذخة على نجمتهم الأثيرة التى هى "حالة فنية نادرة فى الأغنية العربية، وفنانة متكاملة تقلدها الكثيرات".



تركت هيفاء عشاقها يردون على حسادها وراحت هى تتابع تسجيل ألبوم جديد، حددت شهر مارس لتطرحه إلى الأسواق، ليسبق عرض المسلسل ويروج له.. وراحت فى الوقت نفسه تقبل عرضا أكثر سخاء بتتويجها نجمة جديدة لفوازير رمضان..

دانت الدنيا لهيفاء على أبواب العام الجديد.. استقبلته وهى تحمل لقب النجمة الأكثر جماهيرية لست مرات متتالية.. زاد عدد أعضاء موقعها على الإنترنت على مليون شخص.. حقق كليبها "بابا فين" عدد زوار قياسيا تجاوز ثلاثة ملايين مشاهد، وهو رقم لم يصل إليه مطرب عربى أو مطربة، بمن فيهم أساطين الغناء، كأم كلثوم وفيروز.. وإذا كانت أم كلثوم لم تحظ فى تاريخها كله سوى بلقبين لا غير: "كوكب الشرق - وسيدة الغناء"، فإن هيفاء نالت ضعف العدد من الألقاب: "عطر الليل، ملكة جمال الأغنية العربية، مارلين مونرو الشرق، فراشة الوادى"!.

بل أزيد عليها فأقول، إن هيفاء دخلت تاريخ الغناء بإنجاز لم يسبقها إليه أحد، وهى أنها غيرت الحواس المستقبلة للغناء، فلم تعد الأغنية تسمع بل تشاهد.. باختصار نقلت هيفاء الأغنية العربية إلى مرحلة الفرجة.. فأنت تشاهد أغنية لهيفاء لا تسمعها.. سيذكر تاريخ الأغنية "أتكلم جاداً لا هازلاً" أن هيفاء هى رائدة الغناء بالجسد!.

ولذلك لم أستغرب عندما قالت لى عندما التقيتها فى كواليس لقاء تليفزيونى أجرى معها فى مطلع العام 2007 أنها قررت أن تؤمن على جسدها، وأن شركة تأمين عالمية وافقت على شروطها مقابل مبلغ كبير.. كانت هيفاء واعية ومدركة أن جسدها وليس صوتها هو رأس مالها!.

جسدها كامل الأوصاف هو الذى فتح لها باب الشهرة والمجد، ونقلها من مجرد بائعة فى محل مجوهرات إلى نجمة يسعى الملايين إلى مشاهدتها.. لمجرد الفرجة على تلك المرأة النموذج، التى أصبحت حلم رجال الأمة ونسائها..

لقد بدا المشهد مثيراً عندما ذهبت هيفاء لتغنى لأول مرة فى

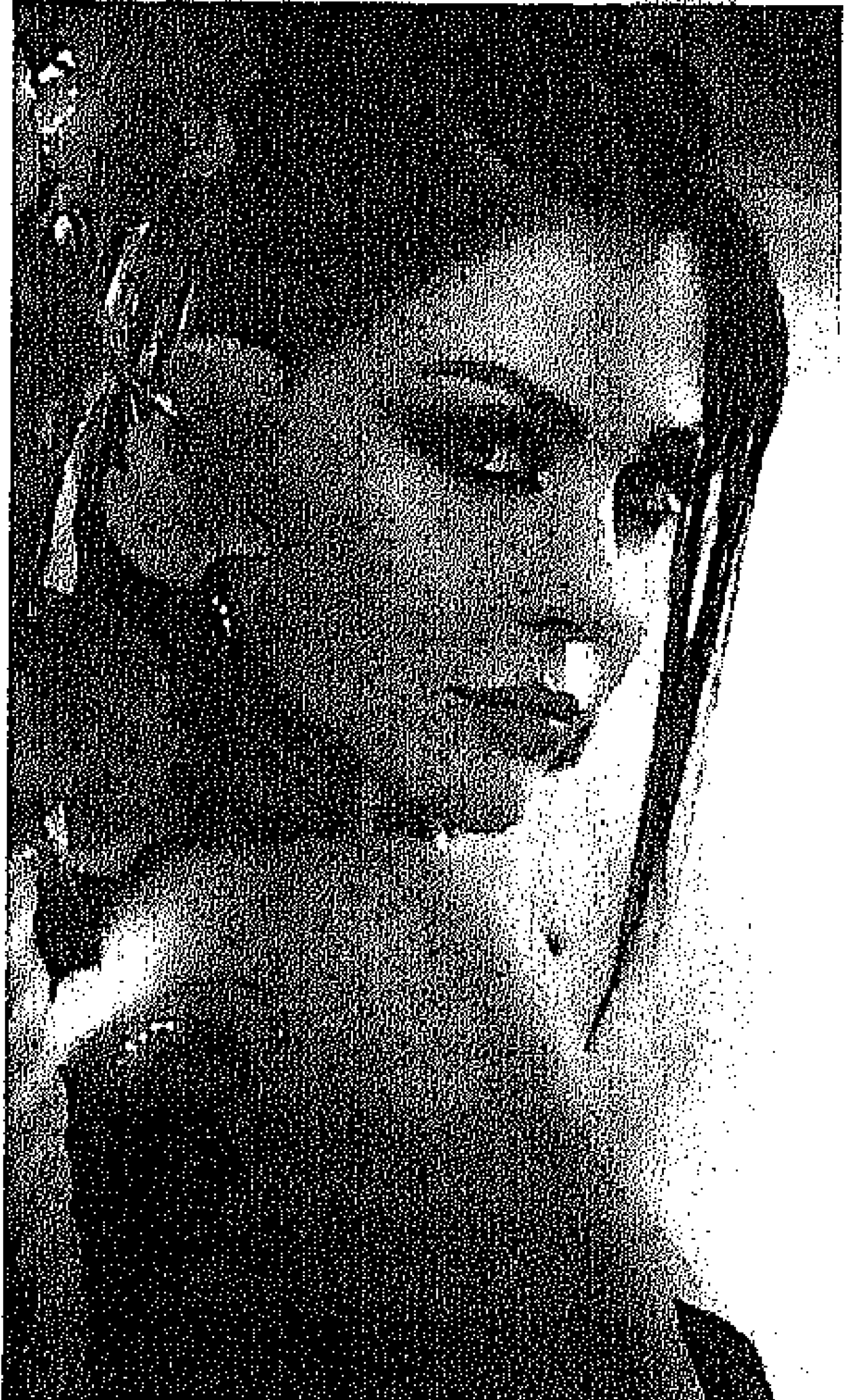
سلطنة عمان، ذلك البلد المحافظ الهادئ فإذا بنحو 200 ألف عمانى رجالاً ونساء يتسابقون لحضور الحفل، والفرجة على "المرأة الحلم"!.

وتحولت هيفاء إلى رمز للأنوثة.. إلى امرأة توزن بالذهب.. بل بما هو أثمن من الذهب.. وهو ما كان على استعداد لأن يدفعه ثرى خليجى مثل طارق الجفالى، تقدم إلى خطبتها وسعى إلى الزواج منها. حكى لى صديق أثق فى معلوماته وكان مقرباً من الطرفين فى تلك الأيام، أن الجفالى استأجر يختاً لمدة عشرة أيام لا غير فى مدينة "كان" الفرنسية الساحلية لتصور فيه هيفاء حلقة تليفزيونية من برنامج كان يقدمه هذا الصديق، ودفع من جيبه 800 ألف يورو إيجاراً لليخت الفاخر..



وحسب الصديق نفسه فإن الجفالى عرض عليها شبكة قيمتها 200 مليون دولار، وشقة هدية العرس ثمنها 2 مليون دولار فى أفخم أحياء لندن، وكان مستعداً لأن يدفع المزيد فى سبيل إتمام الزواج، لولا أن والدته رفضت واعترضت واستعانت بأحد أهم أمراء العائلة المالكة السعودية ليقنع ابنها بالتراجع عن هذه الزيجة التى ستجلب للأسرة الشهيرة وجع الدماغ وكلام الناس..!

بعد الجفالى ـ الذى مات فجأة فى عز شبابه قبل سنوات قليلة ـ كان هناك طابور من الأثرياء على أتم الاستعداد لأن يوزن هيفاء بالذهب.. وفاز أحمد أبوهشيمة رجل الأعمال الشاب بـ"المرأة الحلم"!.



كانت هيفاء تستعد فى 24 أبريل الجارى للاحتفال بعيد زواجها الثانى من أبوهشيمة.. خططت لأن يكون الاحتفال على قدر المناسبة، ومتزامناً مع صدور ألبومها الجديد، وظهور كليبها الجديد، وبدء تصوير مسلسلها الجديد لكن المقادير كان لها رأى آخر.. قامت الثورة فأحبطت كل مشروعات هيفاء وأحبطتها..!

اختفت هيفاء طيلة الشهور الماضية.. لا حس ولا خبر.. بل كانت متسقة مع نفسها وقناعاتها عندما لم تدخل مزاد الأغانى الوطنية الثورية، وتسابق الزملاء والزميلات فى تقديم القرابين الغنائية لثوار يناير وتتملقهم، وتقدم فروض الطاعة والولاء لهم حتى ولو بكلمات ركيكة وألحان باردة وأغنيات بلا إحساس!.

عندما سألوها فى أيام الثورة الأولى: لماذا لم تغنى لها؟!، أجابت بعد ارتباك: لم أغن للثورة لأننى لا أحب استغلال المواقف.. جلست مع ملحنين وشعراء ولم تعجبنى أى أغنية سمعتها..

وكانت أكثر شجاعة من كثيرين عندما رفضت التطاول على شخص الرئيس المخلوع أو إهانته واعتبرته رمزاً لكل المصريين.. ولم تبدو فى المقابل ترحيباً بالثورة ونتائجها، وكان أكثر ما لفت نظرها فيها منظر بنات الطبقات الراقية وهن يكنسن الشوارع وينظفن الميادين!!.

على عكس كثيرين احترمت موقف هيفاء.. وأجدها أكثر

وفاء من كثيرين استفادوا من النظام المخلوع وأكلوا على موائده وتحصلوا على امتيازات فى عهده ثم انقلبوا عليه وصبوا عليه اللعنات بعد ساعات من سقوطه!.

انسحبت هيفاء فى هدوء... أدركت أن الأيام القادمة ليست أيامها.. تغير النظام والظروف وأمزجة الناس.. الشباب الذين كانوا يتسابقون للفرجة عليها شغلتهم السياسة وما يحدث فى ميدان التحرير.. لم يعد هذا زمان "بوس الواوا" بل "بوس الوطن"..!

الإعلام الرسمى الموجه الذى كان يستخدمها فى إلهاء الناس وتخديرهم وتغييبهم بعيداً عن بؤس الواقع، فيفرط فى عرض كليباتها وتكثيف ظهورها وتقديمها على أنها النموذج والمثال للشهرة والنجاح.. انتهى..!



وفى هذا المناخ الثورى، والإعلام المحرر لم يعد هناك مكان لـ"رجب حوش صاحبك عنى"!.

والأنكد الذى لم تحسب له هيفاء حساباً، هو هذا المد السلفى الهائل، والنفوذ المتعاظم للجماعات الإسلامية التى ترى فى هيفاء وأخواتها نماذج لـ"الفسق والفجور والعصيان".. أدوات للغواية.. تحريض على الانحراف.. مضادات للأخلاق.. ولا يعرف كثيرون أن مواقع هيفاء الآن تتعرض للقرصنة من جانب الجماعات السلفية، وعلى أحدها ـ بعد تخريبه وقرصنته ـ كتبوا تلك العبارة الدالة: اللهم إنى برىء من هذا الموقع!.

زمان كان هجوم الجماعات المتطرفة على هيفاء يزيدها شهرة وذيوعاً.. النواب الإسلاميون فى برلمان البحرين منعوا لها حفلاً فى بلادهم فى العام 2008 بدعوى أنها مثيرة للغرائز الجنسية.. ووضعها نقيب الموسيقيين فى سوريا صباح عبيد ضمن قائمة المطربات العرايا الممنوعات من الغناء فى سوريا..

لكن هذا المنع كان يزيد هيفاء قوة.. فالممنوع كان مرغوباً، خاصة مع إعلام عربى حكومى موجه يساندها بقوة، ويستخدمها فى تغييب وعى الناس، وسحبهم بعيداً عن السياسة وألغامها!

لكن بعد حمى الثورة التى اجتاحت العالم العربى من المحيط إلى الخليج.. وبعد تهاوى الإعلام الحكومى.. وبعد هذا المد السلفى لم يعد لهيفاء "ظهر".. بل إن هناك من يتوقع أن تنحنى هيفاء للعاصفة، وتركب موجة التدين، وربما ترتدى الحجاب، تحت ضغط وتهديد الجماعات السلفية، وعند هؤلاء الذين يتوقعون لها تلك النهاية المثيرة إشارات وعلامات ..، منها الدعوة التى تدعمها على موقعها لمساندة المنكوبين فى اليابان، والذين شردتهم الزلازل.. دعوات إنسانية ربما تتطور قريباً إلى توجهات دينية.. وليس بمستبعد فى رأى هؤلاء أن تطل علينا هيفاء بحجاب إسلامى شرعى لتغنى:

إلى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله فى عرفات.

المتحدث الرسمى باسم
الدعوة السلفية

يرد على اتهامات هيفاء وهبى

ندعو الأخت هيفاء بالهداية
ونحذرها من الغواية


عبد المنعم الشحات

لم يقتصر الفزع من المد السلفى على الشارع السياسى وتياراته وأطيافه، بل امتد إلى فئات أخرى بعيدة عن السياسة ولا شأن لها بصراعاتها ، وعلى رأس تلك الفئات الفنانون والمبدعون الذين كانوا أكثر فزعا لانطباعات راسخة لديهم أن الجماعات السلفية تجتمع على محاربة الفن والإبداع ، وترى فيه ملهاة لا طائل من ورائها.. بل تصل بعض هذه الجماعات فى موقفها المتشدد من الفن وأهله إلى النظر إلى كثير من بضاعتهم نظرة هى إلى التحريم أقرب، فالكثير من أفلام السينما التى تحتوى على مشاهد ساخنة ورقصات عارية وألفاظ خادشة ، والكثير من كليبات الأغانى التى تتضمن مطربات سافرات وموديلز فاتنات وحركات مغويات كلها بضاعة لا توافق الشرع بل هى خروج سافر عليه.

فى الماضى كانت الجماعة السلفية وشيوخها يؤثرون السلامة ويخشون الصدام الحاد مع المجتمع ولا يعلنون موقفهم الحقيقى من الفن والإبداع ، لأن السلطة وقتها كانت تدعم هذه الفنون وتساند أصحابها وترى فيهم واجهة مشرفة تدل على مدنية الدولة وتحضرها أمام العالم.

الآن وبعد أن سقط النظام ولم يعد للجماعات السلفية من يعملون حسابه ويوائمون مواقفهم من أجله فقد ارتفع صوتهم وتعاظم نفوذهم فإنهم بدأوا فى "محاربة" المنكر باليد وليس باللسان، وخرج من يتهمهم بالبدء فى إعلان الجهاد الالكترونى على شبكة الإنترنت لمحاربة ما يمس الأخلاق ويحض على الرذائل ، كالمواقع الإباحية ومواقع الفيديو كليب خاصة أغانى من يطلق عليهن مطربات الجسد.

نشر بمجلة الاذاعة والتليفزيون فى 23 ابريل 2011

وخلال الأسابيع الأخيرة شهد موقع المطربة هيفاء وهبى عمليات تخريب ملحوظة وأعلن مرتادو موقعها ومحبو فنها أن هذا التخريب يقف وراءه جماعات سلفية متطرفة.

وفى الوقت نفسه خرج الفنان الكبير محمد صبحى ليعلن بشكل واضح ومباشر وبدون لف ولا دوران ، أنه يفكر فى الهجرة خارج مصر خوفا من هذا الجو المعادى للفن والإبداع، وقال إن وصول السلفيين للسلطة معناه أن يجلس الفنانون فى بيوتهم بلا عمل ، لأن الفن الذى يقدمونه سيكون غير مرغوب فيه، وبمعنى أكثر وضوحا حرام!



وقد كتبت فى العدد الماضى إشارات عن الذعر المتزايد فى الوسط الفنى من جراء المد السلفى، وقد تلقيت هذا التوضيح من المهندس عبدالمنعم الشحات المتحدث الرسمى باسم الدعوة السلفية، يرد فيه على كل التساؤلات ويفند كل الاتهامات ويعلن رأى السلفية فى الفن والإبداع وهو رد يحتاج الى تأمل كل كلمة فيه بدقة وهذا نصه:

تتهمونا بأننا نقوم بنوع من الجهاد الالكترونى بتدمير وتخريب وقرصنة المواقع التى تنشر الرذيلة وتدمر أخلاق الشباب المسلم.. وأرد على هذا الاتهام بأن هذه إحدى أهم قضايا الخلاف بين الاسلام و الليبرالية، حيث تتبنى الليبرالية -المطبقة جزئيا فى القانون الحالى- رفع سقف الحريات دون مراعاة للأخلاق العامة للأمة، بينما يطالب المجتمع متمثلا فيما يمكن تسميته بالمصطلح المعاصر بالمجتمع المدنى بإنكار الخروج على الاداب العامة للأمة ، كما يطالب السلطة التنفيذية باستعمال صلاحيتها فى منع مثل هذه الأمور وهو المتمثل فى هذه الحالة بحجب المواقع التى تخرج عن هذه الثوابت.

ولا نرى أن ينشغل الشباب المسلم بتتبع هذه المواقع ولكن ننصحهم بأن يتوجهوا إلى زملائهم من الشباب حاملين لهم منهج حياة جاد ، يبنى الأمة ويستشرف المستقبل و لا يمانع من اللهو البرئ المحافظ.

وفى هذا الإطار وجهت المطربة المعروفة هيفاء وهبى اتهامات إلى الجماعات السلفية بأنها تطارد مواقعها الالكترونية على شبكة الإنترنت بما تحمله من أغان وكليبات وصور، فما صحة هذا الاتهام ، وأعلق على كلامها فأقول: لم أكن أود ان يشار الى اسم شخصية بعينها فى السؤال حتى لا تتم شخصنة القضية ونحن ندعو لها هى و من سار على دربها بالهداية ونحذرهن من طريق الغواية:

كما نحذرهن من أن يضفن إلى معاصيهن معصية التحريض على شباب مسلم ملتزم كل ذنبه أنه أعرض عن الفيديو كليب ومطرباته.

وطبعاً الجميع يعلم أن الفنانين يحرصون على أن تبقى أخبارهم فى وسائل الإعلام والبعض يريد أن يعيش دور الشهيد،

لا سيما أن الشباب المصرى بصفة عامة أعرض عما يشغله عن صنع مستقبل بلده.

فما الموقف الشرعى من مشاهدة كليبات الأغانى الخاصة بهيفاء وأخواتها ممن يطلق عليهن مطربات الإغراء، وهنا أستشهد بقول الله تعالى "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم" و قال "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" فالحكم واضح بعدم جواز كشف المرأة عن شئ من بدنها إلا الوجه والكفين فى قول بعض أهل العلم . ولا خلاف على عدم جواز النظر إلى مثل هذا الاسفاف . ولابد أن هناك من سيوسع دائرة السؤال ويسأل عن موقف الجماعات السلفية من الفن والإبداع بشكل عام، وهل توافقون على الطرح الخاص ببعض مفكرى جماعة الإخوان الذى يسمونه الفن الإسلامي؟ وأقول: موقفنا من الفن هو موقفنا من كل شئ الأصل فيه الإباحة إلا ما حرمه الشرع . ولكن عندما يعم الحرام فى أمر ما يظن الناس أن كله محرم وصور الفن المباح كثيرة منها:

1 - الشعر طالما كان بعيدا عن الإثارة والتهييج ومعارضة ثوابت الدين.

2 - القصة التاريخية . والبعض يقول بجواز القصة المختلقة إذا كانت للعظة والعبرة .

3 - النثر.

4 - الغناء بكلمات مباحة و بدون معازف.

5 - الرسم مع تجنب رسم وجوه ذوى الأرواح.

6 - الرسوم الزخرفية .

7 - الخط العربى.

8 - شغل الزجاج.

9 - الأرابيسك.

10 - النحت مع تجنب تماثيل ذوى الأرواح.



صبحى

وقد سمعت أن الفنان محمد صبحى قال إنه ينوى الهجرة خارج مصر إذا وصلت التيارات السلفية إلى السلطة لأنهم فى ظنه سيصادرون كل أشكال الفنون.. ما ردكم عليه؟ وأقول له:

أولا: نحن لم نهاجر حينما راجت السينما والفيديو كليب وأفلام الجنس، ولم نهدد بالهجرة حينما صورونا أننا أتينا من كوكب آخر فى أكثر من عمل تليفزيونى وسينمائى، ولم نهدد بالهجرة حينما خرج الفنانون يتكلمون عن بابا مبارك وعن الأعمال (اللاأخلاقية) التى تتم بين الشباب والفتيات فى التحرير نتيجة (الاختلاط المريب الذى لم يعتبروه مريباً إلا عندما كان ضد بابا مبارك).

كما أننا نطمئنه أننا لن يكون لنا مرشح رئاسة ولا نتوقع الحصول على أغلبية برلمانية.

وأخيراً أستغرب صدور هذا التصريح من محمد صبحى وهو وفق ما قرأت يمكن أن يستغنى عن العنصر النسائى فى أعماله

ويبقى أعماله دون كبير تأثر، كما أنه يعتمد على الفكرة مما يجعل أعماله مرشحة لأن تكون أفلام كارتون هادفة.

وللأسف يطالب بعض المثقفين هذه الأيام بالغاء الرقابة على الإبداع، ويرون أن الرقابة قيد على المبدع الذى من حقه أن يبدع دون قيود أو شروط. ونحن نستنكر احتكار الخارجين على الآداب العامة للامة وصف المثقفين وهؤلاء مجرد مستهلكين للثقافة الغربية وليسوا صانعين لها ولا حتى دارسين لها، والقانون يجب أن يعكس ثقافة الشعب لا ثقافة نخبة (على حد تعبيرهم).

وأنصحهم أن يقرأوا تعليقات القراء على مواقع الإنترنت على أخبارهم ليعرفوا شعور الجمهور تجاه خروجهم على آدابه. حتى هؤلاء الذين يشاهدون إنتاجهم، والجمهور غالبا ما يعلق على مثل هذا الانتاج المسف.. أين الرقابة أين الرقابة ؟.



الفهرس